

عمرو مرزوق

رواية

الكابوس







الكابوس



الكتاب: الكابوس
المؤلف: عمرو مرزوق
تصميم الغلاف: أسامة علام
رقم الإيداع : 25092/2016
الترقيم الدولي : 978-977-778-092-6



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02 35860372
Noon_publishing@yahoo.com



الكابوس

رواية

عمرو مرزوق





إهداء:

إلى هؤلاء الذين رحلوا عنا تاركين تلك القلوب تائهة فى فضاءات الغياب..

إلى هؤلاء الذين حملوا معهم ظلال أيامٍ جميلة قضيناها معهم ورحلوا..

ولكنهم تركوا عبقها يحيي قلوبنا التى أدماها الرحيل..

إلى قلوبنا التى أضناها نبض الشوق لهم..





مقدمة

لقد خلق الله البشر فى هذه الحياة وجعل قلوبهم وعقولهم حرة، إلا أن الإنسان غالبًا ما يأبى إلا أن يكون عبدًا لشهواته، فهو دائمًا ما يسعى للقيود التى تغل حريته التى وهبها الله له، بل ويقتل أخاه من أجل تلك القيود والشهوات..

الإنسان ذلك الكائن الذى وهبه الله نعمة العقل والإحساس والحب، ذلك الكائن الذى استغل كل تلك النعم أسوأ استغلال ليحل محل الحب أسوأ المشاعر الإنسانية كالكره والحقد والحسد..

وفى صراع الخير والشر فى حياة البشر لا تنتهى الأمور دائمًا بانتصار الخير ولكن أحيانًا ما تكون الغلبة للأذكى، وهذا لا يعنى أن تستمر الأمور على هذا النحو فسنة الله فى خلقه قضت أن يسود الحق والخير وتسود العدالة الإلهية فى النهاية.. حتى ولو وقفت قوانين البشر عاجزة مغلولة الأيدى.

حتى إذا كانت هناك نماذج إنسانية سيئة قد تكون أقرب لمسوخ الشياطين فليس معنى ذلك أنه لا توجد نماذج ربما هى أكثر براءة وملائكية..

ولكنها الأقنعة التى تخفى عنا الحقيقة أحيانًا..

فقد تخفى الشر فى نفوس البشر لتخبئ ورائها أسوأ الصفات البشرية..

وقد تخفى الخير فى النفوس التى تجبرها الظروف على ارتداء قناع القسوة والشدة لتخفى أروع وأنقى الصفات الإنسانية..

وفى روايتنا تلك سنرى النوع الأول من تلك ا لأقنعة .. تلك الأقنعة الرائعة التى تخفى ورائها وجوه ربما تنافس فى بشاعتها مسوخ الشياطين..

إنها تلك الأقنعة التى سنراها حين تنهار الأخلاق وتغتال القيم .. حين يموت الصدق وتُبرر الخيانة.. حين يجمع الحب أوراقه ليرحل ..حين تطغى الكراهية وتحتل القلوب.. تلك الاقنعة التى سنعيش معها ذلك الكابوس





كلنا نرتدى فى الحياة أقنعة مختلفة لكننا نخلعها فى الشدة والمرض والمحن ليظهر لنا من تحتها وجوه ربما هى أسوأ من مسوخ الشياطين.. وربما.. ملائكية بريئة .. نقية .. صادقة ...





(الأقنعة)

القنـاع الجيـد قـد يخدعنـا مـرة ولكـن حـين يسـتمر فى خداعنـا فليـس ذلـك لإتقانـه بقـدر مـا هـو بسـبب غباءنـا وعنادنـا ورفضنـا لفكـرة أننـا كنـا بتلـك السـذاجة ..





صباح الأول من ديسمبر

كانت غادة لا تزال تعبث بهاتفها المحمول محاولة التقاط إشارة إنترنت دون جدوى خلال سفرها فى الطريق الصحراوى إلى الإسكندرية بينما كان السائق يسير بسرعة جنونية رغم إلحاحها عليه أن يبطئ إلا أنه ظل على سرعته قائلًا:

- الطريق يكاد أن يكون فارغًا فى هذا الوقت من الصباح، ألم تلاحظى قلة السيارات المارة منذ أن ولجنا للطريق الصحراوى؟ إننا نريد أن نكون فى الإسكندرية قبل الظهر لذا عليكِ أن تحتملى قليلًا..

تجاوز السائق بصعوبة فى هذه اللحظة سيارة نقل كبيرة ظهرت فجأة أمامه نتيجة لسرعته الزائدة مما جعل غادة تنتفض، ثم أردف قائلًا وكأن شيئًا لم يحدث:

- ولكن أخبرينى مالى أراكِ متوترة بهذا الشكل؟

تنهدت غادة فى توتر وحاولت الاسترخاء على مقعدها وهى تتطلع للطريق قائلة:

- ألا تعلم السبب .. كل ذلك ولا تعلم .. لقد اتصل بى ذلك التعس بالأمس مما أدهشنى .. ولقد ...

قاطعها ذلك السائق متأففًا:

- يا ربى .. ها نحن عدنا مرة أخرى .. ألايوجد لديك حديث أخر؟ لقد أخبرتنى بذلك عدة مرات منذ أن انطلقنا، ألا يمكنكِ أن تهدأى قليلًا..

زفرت غادة فى توتر وهى تتراجع برأسها لتستند على المقعد:

- أخبرنى إذن .. لماذا أشعر وكأنى سألقى حتفى قريبًا؟ أشعر أن هناك شيئًا ما جاثم على صدرى يجعلنى أختنق ولا أستطيع التنفس .. لماذا أشعر وكأنك ذاهب بى إلى نهايتى..

توقف بالسيارة على جانب الطريق وهو ينظر إلى الطبيبة الجالسة فى المقعد الخلفى قائلًا فى هدوء:



- ربما لأن كل ما مربك خلال الأسبوعين الماضيين لم تريه قبل ذلك فى حياتك .. عمومًا إذا كنتِ تريدين التراجع والعودة للقاهرة فمن اليسير الرجوع الآن .. أو عليكِ بالصبر فخطتنا تسير على ما يرام .. كما أن التوتر هو آخر ما ينقصنا بالله عليك..

أومأت برأسها باستسلام:

- حسنًا حسنًا .. سأكون على ما يرام .. ولكن عدنى..

- بالله عليكِ يا غادة اصمتى من فضلك .. أنتِ تثيرين أعصابى ويبدو...

قطع حديثه صرير عجلات لسيارة مسرعة توقفت فجأة بمحاذاة مقدمة سيارته مما أثار دهشة السائق والطبيبة فالتفت إلى الباب المجاور له محاولًا فتحه وهو يلعن ذلك الغبى الذى كاد أن يصطدم بمقدمة السيارة لكنه فوجئ بلكمة قوية فى أنفه وشخص ملثم يصوب سلاح إلى رأسه صارخًا فى غادة التى بدأت فى الصراخ بهيستريا عندما رأت ذلك المشهد الذى لم تكن تتوقعه..

- اصمتى يا امرأة وإلا أفرغت هذا السلاح فى رأسيكما ..

تراجعت غادة فى رعب واضعة كلتا يديها على فمها وهى ترتجف من الرعب فى حين حاول سائق سيارتها إيقاف ذلك النزيف المتدفق من فمه وأنفه، والغريب يردف مكملًا:

- إهبطا من السيارة فى هدوء .. ولا تحاولا التذاكى فرصاصاتى لن ترحمكما.

بدأت غاده فى البكاء والنحيب وهما ينزلان من السيارة بينما ابتعد المهاجم قليلًا ليفسح لهما المجال .. قائلًا فى توتر:

- والآن قفا خلف السيارة؟ هيا هيا لن نقضى اليوم بطوله .. أمامكم ثلاث دقائق فقط أو أن..

قطع كلامه محاولة السائق الاقتراب منه ولكن طلقة من سلاحه فى الهواء أعادته مرة أخرى إلى مكانه بجوار غادة مما جعل السائق يصرخ فى الرجل الغامض قائلًا:

- هل لك أن تتوقف عن التهديد وتخبرنا من أنت وماذا تريد؟



نظر إليه ذلك الغريب قائلًا له فى سخرية وتهكم:

- كل ما أريده هو شىء بسيط واعذرانى لاضطرارى لذلك فلديكما شيئًا ما أريده ..

وتبدلت لهجته قائلًا فى قسوة وهو يلكز السائق فى صدره:

- افتح حقيبة السيارة أيها الذكى .. هيا فليس لدى اليوم بطوله لإجراء حوار صحفى معك.

بدأت غادة فى استعطاف ذلك الغريب والتوسل إليه عندما شعرت أن الموقف يتطور من سىء إلى أسوأ .. وخاصة عندما توقعت ما هو المطلوب..

- بالله عليك خذ كل ما نملك لكن دعنى فأنا لا أريد أن أموت الآن .. أنا لم..

التفت إليها الغريب صارخًا فيها:

- قلت لكِ اصمتى يا إمرأة وإلا قتلتك بالفعل..

اقترب السائق من حقيبة السيارة وفتحها فبرزت حقيبتان فى الخلف وما أن رآهما الرجل الملثم حتى صدرت عنه تنهيدة ارتياح وصرخ مرة أخرى:

- والآن إلق مفاتيح السيارة وهواتفكم المحمولة بجوارى وابتعدا عنها وسيرا فى الاتجاه المقابل .. هيا لا تقفا تتأملانى هكذا..

قالها وابتعد عنهم بضع خطوات متراجعًا للوراء وهو يتأمل فى قلق ملحوظ غادة التى كانت تبكى بشدة وهى تنظر إليه برعب..

- هل تعرفينى أيتها الساقطة؟ لماذا تنظرين إلى هكذا؟ هل رأيتِنى من قبل؟

هزت غادة رأسها فى هلع محاولة تذكر صاحب الصوت الغاضب ثم صرخت فى رعب:

- لا..

- فلتتوقفى عن البكاء إذن ولا تثيرى أعصابى..



والتفت إلى السائق قائلًا فى توتر:

- وأنت يا هذا .. هيا ألقِ إلى المفاتيح سريعًا .. وإلا ..

قالها وهو يشير بسلاحه إشارة فهمها السائق مما جعله يلقى إليه بالمفاتيح وهاتفه وكذلك فعلت غادة فى رعب إلى الرجل الذى تلقاها بهدوء وهو يشير إليهم بسلاحه للسير إلى الجهة المقابلة، فأمسك السائق بيد غادة التى كانت على وشك الانهيار وبدءا فى السير بعيدًا..

أما الرجل الملثم فقد اقترب من الحقيبة الحمراء الموجودة بالسيارة وحاول أن يفتحها لكنها كنت مغلقة بأرقام سرية، إلا أنه لم يستوقف غادة لمعرفة أرقامها وقام بحملها وهو يهمس:

- سأحطمك إن استطعت ولكن ليس الآن أو حتى هنا ..

وبالفعل أخذ الحقيبة خارج السيارة لكنه توقف عدة ثوانٍ مفكرًا وهو ينظر إلى الحقيبة الأخرى والتى انحنى والتقطها هى أيضًا .. وبحث فى السيارة فلم يجد أى حقائب أخرى .. فاعتدل حاملًا الحقائب وجرى سريعًا إلى سيارته وألقى الحقيبتان فى المقعد الخلفى وأدار السيارة وهو يشير مودعًا الإثنين بينما ضحكته تتعالى فى نشوة عجيبة..

حاول السائق أن يلحق به دون جدوى فرجع مرة أخرى إلى غادة التى كانت جالسة على الأرض تنتحب .. ونظر إليها قائلًا فى حنق:

- لما تنتحبين هكذا .. هى مجرد سرقة لبعض ملابسك ..

صرخت فيه غادة بانهيار:

- ملابسى!! إن فى الحقيبة الحمراء اثنين مليون جنيه أيها الغبى..

فغر فاه وهو يتصنع الدهشة (التى نجح فى إظهارها فعليًا على وجهه) قائلًا لها:

- يا إلهى .. لماذا لم تخبرينى بذلك؟ كنت أعتقد أن..

حاولت غادة النهوض وهو تجفف دموعها مقاطعة إياه:



- ليس وقت الحديث عن هذا .. هيا بنا الآن .. أخبرنى هل تستطيع تشغيل السيارة دون مفاتيح؟

- بالطبع ولكن أخبريني عن موضوع حقيبة الأموال تلك؟

- سأخبرك في الطريق هيا..

- أتودين الرجوع إلى القاهره إذن أم نستمر في خطتنا؟

لوحت غادة بيدها في توتروهي تدلف للسيارة قائلة:

- لا مفر من إبلاغ الشرطة .. ونحن الآن أقرب إلى الإسكندرية منا إلى القاهرة وسأبلغها بمجرد أن تهدأ أعصابي.

أما السائق فقد حاول كثيرًا حتى دارت السيارة وما إن هدأت غادة قليلًا حتى همست في اندهاش قائلة..

- لم أتوقع ذلك .. لم أتوقع ذلك أبدًا؟ أبعد كل ما فعلته من أجله يقوم بسرقتي ومحاولة قتلي أيضًا؟

غمغم السائق في توتر حذر:

- ماذا؟ أتعلمين من اللص الذى سرقنا يا غادة؟ من هو؟

- بالطبع أعرفه .. رغم محاولته تغيير نبرة صوته لكني لم أُظهر له أني اكتشفته، وإلا قتلنا نحن الإثنين..

قالتها وابتسمت في مرارة وهي تتطلع بحزن إلى الطريق الصحراوى الممتد إلى مالا نهاية، بينما كان السائق لا يزال يضغط بمنديل على أنفه التي توقف منها الدم لاعنًا ذلك المجهول الذى اقتحم خطته وقلبها رأسًا على عقب ..

كانت الأفكار تتصارع في رأسه .. هل يكمل ما خطط له أم يعود ليفكر بخطة جديدة، ظل هكذا إلى أن اهتدى أخيرًا إلى فكرةٍ ما..

وضع المنديل إلى جواره صامتًا ونظر إلى غادة في المرآة الخلفية .. وتوقف بسيارته مرة أخرى على جانب الطريق قائلًا في هدوء..



- غادة .. أنصتى إلى جيدًا .. لن نبلغ الشرطة .. لقد حان وقت إخبارك بكل شيء .. يجب أن تعرفى الحقيقة ولا شيء إلا الحقيقة..

****

فى مساء ذلك اليوم فى إحدى المناطق البعيدة عن العمران وقف ذلك اللص المجهول وهو يكاد يغشى عليه من هول المفاجأة التى وقعت على رأسه كالصاعقة .. كان مندهشًا فقد خطط لكل شيء فور علمه بموعد سفر غادة..

كل شيء سار كما رتب وخطط له تمامًا .. لم يشعر بذرة من تأنيب الضمير عن جريمته التى اقترفها منذ ساعات .. كل ذلك لم يكن يعنيه مقابل تلك الحقيبة والتى فعل كل شيء وضحى بكل شيء للحصول عليها .. حتى حياته السابقة كان من المستحيل العودة إليها بعد شعوره أن غادة قد عرفته بالفعل..

وقف يتطلع بحسرة للحقيبة التى كسر قفلها بعد أن وصل إلى ذلك المكان البعيد حتى لا يكون أحد فى مراقبته..

لقد أدرك الآن فقط من الذى أدار كل ذلك بذكاءٍ قاتل ودفعه فى نهاية الأمر أن يفعل ما قام به للحصول على تلك الحقيبة الحمراء المزيفة .. تلك المرأة الملعونة .. تلك التى كان يظن أنها آخر من تفكر بذلك، من كانت تدعى الشرف والمبادئ ..

ثم لم يلبث أن انفجر فى نوبة من الضحك الهيستيرى وهو يتفرس محتويات الحقيبتين وكأن جنونًا قد أصابه..

تلك الحقيبة التى كانت فارغة إلا من بعض الملابس والجرائد القديمة

****



قبل هذ ا التاريخ بإسبوعان

في تلك الغرفة وعلى ذلك الضوء الخافت الذى ينبعث من إحدى المصابيح الصغيره الموجودة .. وعلى ذلك الفراش الوثير الذى يتوسط الغرفة تمددت تلك الأجساد التى كان يسيل منها العرق على الرغم من برودة الجو فى ذلك الوقت من شهر نوفمبر.. لم يشعرا بتلك الساعات المسروقة من الزمن، ولم يدرِ أحدهم كم مر من الوقت إلا عندما امتدت يد هانى لإنارة ذلك المصباح المجاور للفراش ليغمر ضوئه الغرفة من حوله، وهو ينهض ليستند برأسه على العارضة الخشبية للفراش ناظرًا إلى ساعته وهو لا يزال منتشيًا من اللحظات السابقة .. بينما مدت صفاء يدها لتتناول علبة السجائر الموجودة بداخل حقيبتها لتلتقط منها لفافة تبغ لتضعها فى شفتيها فى نشوة بالغة .. بينما تسرع يد هانى ليبحث عن قداحته ثم يشعلها لها وهو ينظر إليها فى سعادة بالغة وهى مستلقية شبه عارية إلى جواره .. مرت عدة دقائق وهما يحدقان فى سقف الغرفة حتى قامت صفاء إلى المرآة الموجودة بجوار الفراش لتمد يدها بتلقائية نحو زجاجة العطر الموجودة لتُسقط منها بخات قليلة على رقبتها قائلة فى برود واضح:

- ألايزال ذوق غادة فى منتهى الرداءة كما هو؟ إن عطرها يكاد يصيبنى با لغثيا ن .

توتر هانى عندما ذكرت أمامه اسم زوجته ونظر مرة أخرى إلى ساعته .. فعلى الرغم من سفرها عدة أيام خارج القاهرة إلا أن مجرد سماع اسمها قد أصابه بضيق مفاجئ .. لكنه أفاق من أفكاره على صوت صفاء وهى تصيح به فى عصبية:

- فيم تفكر؟ لماذا تصمت وتشرد هكذا حينما أذكرها؟ ألازلت تخاف من تلك المرأة إلى هذا الحد؟

ازدرد هانى لعابه بصعوبة وحاول أن يُهدئ من عصبيتها قليلًا:

- لا .. لا .. ليس الأمر هكذا يا صفاء أنا لا أخاف منها ولكنى لا أعلم كيف سأُنهى علاقتى معها..



أطفأت صفاء سيجارتها وهى تهتف به فى عصبية:

- ماذا؟ لا تعلم؟!! ماذا تعنى بأنك لا تعلم؟ لقد اتفقنا مرات ومرات على ما انتوينا عليه منذ بداية علاقتنا سويًا .. ولكنك أبدًا لا تأخذ أى خطوات إيجابية فى إنهاء تلك العلاقة .. لقد أصبح لديك الآن شركتك الخاصة التى تديرها وتمتلك ما يكفى من الأرصدة المحترمة فى البنوك .. وأن لدىّ أيضًا ما يكفينى وأكثر مما تتصور .. فلماذا إذن الصبر كل هذا الوقت؟

حاول هانى أن يمتص غضبها ويُهدئ من عصبيتها حينما أردف:

- أنا متفق معكِ يا حبيبتى فى كل شىء ولكن .. لكن الطلاق فى حد ذاته قد يكون قرارًا مصيريًا وليس سهلًا بأىِّ حالٍ من الأحوال .. على الأقل بالنسبة لى فى الوقت الحالى.

فقدت صفاء أعصابها وهى تصرخ فيه:

- ليس سهلًا!! أبعد كل هذا الوقت معًا وبعد كل ما حدث بيننا تقول ليس سهلًا؟ أعتقد أن هذا كان اتفاقنا منذ البداية .. الطلاق .. أليس كذلك؟

قالتها وأخذت ملابسها لتذهب فى غضب إلى خارج الحجرة لترتدى ما تبقى منها وهى تنظر إليه فى اشمئزاز..

تلاشى هانى النظر إليها .. فأشعل سيجارة أخرى وهو مندهش كيف انجذب إلى تلك الفتاة العصبية .. عاد بذاكرته إلى الوراء عندما كان مهندسًا ناجحًا فى إحدى الشركات التى تعمل فى مجال الإنشاءات .. وقتها تعرف إلى صفاء .. أعجبته بمجرد أن وقعت عيناه على تلك الدمية الجميلة كما كانت تبدو أمام الجميع .. كانت مرحة .. ذكية .. على قدر هائل من الجمال والثقة بالنفس .. بوجه صبوح أبيض تشع من عيناها البنيتان البهجة والحيوية .. لا يضاهيها جمال سبق أن رآه فى جميع النساء التى رآهن من قبل..

هو نفسه لم يكن يدرى وقتها هل أحبها أم أن اقترابه منها ومحاولته التودد إليها كان



مجرد إعجاب؟ حاول مرارًا أن يتعرف عليها عندما كانت تأتى إلى الشركة لإنهاء بعض الأعمال المتعلقة بفيلتها الخاصة حيث أن القسم الذى كان يعمل به كان هو المنوط بإنهاء تصميمها .. ولكنها كانت تصده بدلال فى كل مرة .. وقتها علم منها أنها زوجة لرجل أعمال شهير.. لكنه لا يملك الوقت الكافى لها فقد كثرت مشاغله وأسفاره...

كانت تقوم بإلهاء نفسها بتلك الأعمال لانشغاله عنها .. أما هو فقد شعر بوحدتها منذ الوهلة الأولى .. فبدأ بنصب شراكه حولها ..

ولمَ لا؟ فظروفها تقارب ظروفه جدًا .. فزوجته غادة تعمل طبيبة ولديها عيادة ومستشفى خاص بها .. الجميع يعلم لماذا تزوجته منذ البداية .. ربما لأنه بارع فى خداع النساء وإيهامهن بولعه بهن وقد تفنن فى إظهار حبه لتلك الطبيبة ليوقعها فى حبائله حتى تم الزواج .. وعن طريقها تسلق أكثر فأكثر.. وأسس لنفسه شركته الخاصة والتى بدأت العمل فى مجال الاستيراد والتصدير.. ولكنه كعادته كان دائمًا يتوق إلى ما فى أيدى الآخرين..

وعلى الرغم من تمنع صفاء وصدها له فى بادئ الأمر.. إلا أنه بغريزته شعر أنها فى وقتٍ ما سوف تستجيب لنزواته .. وقد حدث بالفعل وبدأت علاقتهم منذ أكثر من عام ونصف..

كانا يتلاقيان فى عدة أماكن وكانت شقة الطبيبة المخدوعة مكانًا للقائهم فى العديد من المرات .. فى البداية كانت لقاءات عابرة عند سفر زوجته الشهرى الدائم إلى الإسكندرية .. ولكن تلك المرات بدت وكأنها لن تنتهى أبدًا..

وهكذا أدمن صفاء .. وهى أيضًا أدمنته .. ولم يتمكنا من التوقف أو الابتعاد عن بعضهما .. ففى كل مرة يحاولا الابتعاد كانت تجذبهم لبعضهم خيوط خفية .. ما إن يبتعدا حتى تقربهم أكثر فينغمسون أكثر فى ذلك المستنقع الذى لا نجاة منه.

قطع أفكاره عودة صفاء إلى الغرفة لتلتقط حذاءها الملقى بجوار الباب لتنظر مرة أخرى على صورتها التى عكستها المرآة وتتأكد أن كل شىء على ما يرام..



بادرته بضيق مرة أخرى وهى تعدل من وضع بعض مساحيق التجميل على وجهها:

- أعتقد أنه من المستحيل أن أستمر معك على هذا الوضع .. لقد جعلتنى لا أطيق زوجى ولا أستطيع التعايش معه على الرغم من تلبيته لجميع متطلباتى .. لكنى أصبحت لا أريده ولا أريد أمواله .. وأريدك أنت بكل عيوبك .. وأعتقد أن هذا كان اتفاقنا منذ اليوم الأول .. أن ننتظر فترة لتحسين أوضاعنا ثم نرتبط إلى الأبد ولكنك كعادتك تهرب دائمًا من المواجهة مع زوجتك .. لا تريدنى إلا لإرضاء نزواتك .. ولذلك لا تحاول إيجاد حلول جذرية لمشكلتنا .. كأنك طفل تريد أن تلهو بدمية فقط..

والتفتت لتغادر الغرفة فى حنق تاركة إياه .. لكنه لحق بها إلى الصالة محاولًا الإمساك بيديها وتهدئتها قائلًا لها وهو ينظر لعينيها مباشرة:

- أنا أيضًا أريدك وأكثر مما تتصورين وربما أكثر مما تريدينى يا حبيبتى .. وأقسم لك أنى لا أستطيع العيش بدونك .. لكننى لا أستطيع الانفصال عن غادة الآن لعدة أسباب .. فالشركة التى أديرها لازالت هى الشريك الأكبر فيها .. وليس لى سوى حق الإدارة فقط .. هذا بالفرض أن زوجك سيوافق بسهولة على تطليقك .. ومن ناحية أخرى لو علمت غادة بعلاقتنا ستلقى بى إلى الشارع .. ولا أستطيع أن أعود مرة أخرى إلى ما كنت عليه قبل زواجى بها فقيرًا معدمًا لا أملك حتى قوت يومى وأنا بالطبع لن أتنازل لها عن كل ذلك بسهولة ..

جذبت يديها بشدة من يده متناولة حقيبة يدها وهى تتجه نحو الباب الخارجي وهى تنظر إليه فى غضب لتقول محتدة:

- أعتقد أنك لست بملوم .. بل أنا التى أستحق كل ما يحدث لى .. هذه آخر مرة ترانى فيها على هذا النحو إلى أن تجد حلولًا لهذا الأمر .. ولتعلم أنى أستطيع الحصول على الطلاق فى أى وقت سواء بموافقته أو على الرغم منه حتى لا يكون ذلك سببًا لتبرير موقفك تجاهى .. ولكى تبتعد عن تلك الحجج الواهية .. إذا كنت تعلق طلاقك أو استمرار علاقتنا بطلاقى ..



اقترب منها محاولًا تهدئتها ولكنها خرجت لتغلق الباب خلفها فى عنف تاركة هانى فى قمة توتره وحيرته..

****

كانت صفاء تقود سيارتها متجاوزة الحد المسموح به من السرعة طوال طريق عودتها إلى منزلها حيث مر أمامها شريط حياتها وكأنه فيلم مصور يعرض أمام عينيها..

لقد ولدت فى أسرة متواضعة .. بل بسيطة جدًا فى الواقع .. لكن طموحها كان أكبر من كل الظروف المحيطة بها .. بل كان المحرك الأساسى لها منذ طفولتها .. كانت دائمًا تحلم بمستوى معيشى أفضل مما كانت تحيا فيه طوال عمرها .. حاولت الدخول فى علاقات عدة لكن وعلى الرغم من جمالها الأخاذ إلا أن الجميع كان يبتعد عنها بمجرد علمه بجديتها فى الزواج .. تخرجت من إحدى الكليات وعملت فى عدة شركات حتى تعرفت أخيرًا على نبيل علام ..

تلك الشخصية الفاحشة الثراء الذى كان ثراؤه هو كل ما يميزه .. كان هذا هو أقصى ما كانت تحلم به الثراء .. هذا الثراء الذى يجعلها من سيدات المجتمع الراقى .. فلديه أحد أكبر مصانع مستحضرات التجميل .. بالإضافة إلى مجموعة من الشركات التى يمتلك الحصة الأكبر منها .. وأيضًا أرصدته فى البنوك .. والأهم من كل ذلك هو أنه غير متزوج .. وقد كان ذلك هو ما تريده..

فبدأت كعادتها فى نصب شباكها حوله، حتى نجحت أخيرًا فى الحصول على قلب الرجل .. وعن طريق قلبه استطاعت أن تصل إلى نصف ممتلكاته بعد الزواج .. إلا أنها بعد أن وصلت إلى ما لم تكن تحلم به فى أفضل أحلامها أو تصبو إليه يومًا بدأت سريعًا فى النفور منه بعد أربع سنوات من زواجهما .. خاصة بعد أن أصبح ضعيفًا جدًا أمامها .. فقد كان لا يستطيع الابتعاد عنها أو حتى فراقها .. مما أصابها بضيق ونفور شديد منه، فرفضت أن تنجب أطفالًا منه حتى هذه اللحظة .. أما هو فلم يكن حبه الشديد لها أو ولهه بها هو السبب الوحيد لضعفه أمامها فلقد دفعه ذلك أن يطلعها على ما كان يخفيه عن الآخرين .. كانت تعلم عن بدايته ونشاطه الغير مشروع



قبل افتتاحه لمصنعه الذى كان بداية طريقه إلى عالم رجال الأعمال .. فلقد وضع فيه كل ما يملك وكان طريقه إلى غسل أمواله تاركًا حياته السابقة إلى الأبد..

وبالرغم من كل ذلك إلا أنها لم ترض أبدًا .. لم تشعر بالسعادة قط مما دفعها لدائرة الاكتئاب .. حتى ظهر هانى منذ عدة سنوات ..

فى البداية أعجبت به ثم تجاوبت معه بل وأحبته .. لم تعد تستطيع الابتعاد أو الاستغناء عنه فقد رأت فيه ما حرمها منه طموحها الجامح...

واتفقا على كل شىء، اتفقا على أن تحصل على حريتها بالطلاق، وهو أيضًا وعدها بأن يطلق زوجته فى أقرب فرصة، ليستطيعا إكمال حياتهما سويًا بعيدًا عن تلك العلاقة المحرمة..

كانت تعلم أن زوجها لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا، حتى وإن كان هذا الطلب هو الطلاق، فهى تعلم ماضيه المشبوه والذى تستطيع أن تهدده به فى أى وقت .. كما أن هانى هو الآخر لا يستطيع الابتعاد عنها أو تركها..

****

فى إحدى العيادات الموجودة فى وسط القاهرة .. كان سليمان الممرض العجوز يصب للفتاة التى تجلس أمامه كوبًا من الشاى الساخن وهو يرتعد من البرد القارس هذه الليلة .. وأمسكت الفتاة بالكوب لتلف يداها خلفه وهى تكمل حديثها:

- أعلم ذلك يا عم سليمان، ويشهد الله أنك كنت نعم الأب الذى عوضنى عن والدى الذى لم أنعم بحنانه سوى سنوات قليلة من عمرى.

هز العجوز رأسه فى حنان بالغ و هو يردد:

- أنا لم أقل لكِ هذا الحديث لتخبرينى بذلك .. فأنا أعتبرك أنتِ وأخاكِ أولادى يا إلهام، منذ وفاة والدك الطبيب منذ زمن بعيد، كل ما هنالك أنى لا أريد أن تحملى أية ضغينة لغادة.

نهضت إلهام من مكانها واتجهت نحو النافذة لتشرد ببصرها من خلالها وهى تردف



فى نبرة حاولت أن تخفى منها تلك النيران المتأججة داخلها بالرغم من برودة الجو:

- ألا زلت تذكر ذلك الموضوع القديم يا عمى؟، لقد تناسيته بالفعل فمنذ أن ساعدتنى فى الالتحاق بالعمل مع غادة فى بيتها وأنا أقوم بعملى على أكمل وجه ولا أنظر للفوارق الاجتماعية التى بيننا، فلولا ما حدث مع والدى رحمة الله عليه والذى كان شريك لوالد غادة ربما لكنت مثلها الآن، ولكن ما حدث قد حدث وأنا الأن قد أكون خادمة لديها كما يخبرنى ابنك دائمًا .. وليس فى ذلك ما يشوب سمعتى أو ينتقص منى فى شىء .. ولعل استمرارى للعمل كل هذه المدة لديها يؤكد لك أن الماضى قد انتهى ولم يعد يعنى شيئًا بالنسبة لى الآن.

ابتسم العجوز ابتسامة حانية و قام ليربت على كتفيها قائلًا فى حنان:

- هذا ما كنت أرجوه منكِ يا ابنتى .. فأنتِ وأخاكِ قد بدأتما من الصفر حتى تخرجتما من الجامعة، وهو الآن قد شق طريقه ليبنى مستقبله، أما أنتِ فكان لابد أن أطمئن عليكِ ولذلك كنت آمل أن تقومى بالعمل مع الطبيبة وقد كان .. وإنى أحمد الله ليل نهار على أنك ستصبحين زوجة ابنى فى القريب العاجل حتى لا نفترق أبدًا.

وفى هذه الأثناء دخل «على» الابن الوحيد لسليمان وهو يسعل ولكنه فوجئ بوجود خطيبته مع والده .. فبادرها قائلًا:

- إلهام .. ما الذى أتى بكِ إلى هنا؟

- وما الغريب فى ذلك يا على؟ أنا هنا لأن الطبيبة أخبرتنى هاتفيًا باحضار عدة أوراق هامة نسيتها فى غرفتها .. وانتهزت هذه الفرصة لأقابل حماى العزيز وأحتسى معه الشاى .. وأنت ما الذى أتى بك الآن؟

ارتبك على دون سبب واضح ونظر إلى والده قائلًا فى خفوت:

- أنا هنا لسببٍ ما سوف أخبرك به لاحقًا .. والآن هيا لتعودى للمنزل قبل أن تمطر بالخارج فالجو بالخارج ليس مستقرًا..

أومأت إلهام برأسها ثم قامت بعد أن حيت سليمان قبل أن يصحبها على إلى الباب

الخارجى، وما لبث أن دخل سريعًا إلى المطبخ ليعد كوبًا من الشاى الساخن ليخرج به ويجد والده والذى كان يتحدث مع أحد المرضى الموجودين فى العيادة .. فأخذ الكوب ليجلس بالقرب من شاشة التلفاز لينظر إليه فى شرود ..

أما سليمان فكان يعلم أنه وبعد انصراف آخر المرضى الموجودين فى البهو الخارجى ستجمعه جلسة مع الطبيبة غادة موافى صاحبة العيادة ليخبرها بما حدث خلال الأيام الماضية كما طلبت منه. قطع حديثه مع نفسه صوت الشاب:

- ما بك يا أبى؟ ألا زلت تفكر فى هذا الأمر؟

- بالطبع يا على فذلك ما يشغلنى .. هيا أخبرنى تحديدًا ما الذى جرى..

- حسنًا .. لقد راقبت هانى جيدًا فى الأيام الماضية خلال سفر الطبيبة إلى الإسكندرية كما طلبت هى منك .. حتى وقع أخيرًا فى الفخ. ورأيت تلك المرأة تزوره فى الشقة .. وقد راقبت تلك الساقطة واستطعت أن أحصل على عنوانها حتى أرقام هواتفها هى وزوجها .. كل ما طلبته منى قمت به. فهل أدخل أنا وأخبر غادة بكل تلك الأخبار أم تقوم أنت بذلك؟

كان سليمان شاردًا وهو يستمع إلى حديث على مما جعله يقطع حديثه ليربت على كتفه مردفًا:

- أبى هل تسمعنى؟. لمَ أنت شاردٌ هكذا؟

نظر إليه سليمان بألم وحيرة قائلًا:

- إن غادة فى مقام ابنتى أيضًا .. وأعلم أن هذا الأمر سوف يترك أثرًا على نفسها .. فلقد كنت دائمًا أتساءل كيف لطبيبة ناجحة مثلها أن تتزوج مثل هذا الرجل؟ فقد كنت أعمل مع والدها رحمة الله عليه حين تقدم لها ذلك الشاب وأتذكر رفضه لهذا الأفَّاق .. كنت دائمًا ما أسمع مشاداتهم فى العيادة وبالرغم من إصراره على الرفض إلا أن غادة قد ضربت برأى والدها وأهلها عرض الحائط وتزوجته .. لا زلت أذكر حفل زفافها حين رأيته لأول مرة فبمجرد وقوع عينى عليه شعرت على الفور أنه غير مناسب لها على الإطلاق..



هز على رأسه فى لا مبالاة قائلًا:

- أبي .. ذلك ليس من شأننا .. المهم أن كل ما طلبته منى قد قمت بتنفيذه .. وها قد أخبرتك بما حدث .. هل ستخبرها أنت أم أدخل أنا؟

كان سليمان مطرق الرأس يفكر فى ما سمعه من ولده فى حين ارتشف على بضع رشفات من الشاى ثم استدرك:

- ثم إن هناك أمرًا آخر، فما أعطته لك الطبيبة من مال لإنجاز تلك المهمة ليس كافيًا على الإطلاق فدعنى أقابلها ربما أحصل منها على مبلغ أكبر..

نظر إليه أبيه فى غضب قائلًا:

- ماذا تقول؟ أى أموال أيها الغبى؟ أنا فى حيرة من أمرى بسبب هذا الموضوع.. ولا أستطيع أن أخبرها وأصدمها .. وفى نفس الوقت أجد أنه من واجبى أن أخبرها بما يفعله فى بيتها وجرأته فى إحضار امرأة أخرى لشقتها وفى غرفة نومها..

نظر إليه على فى استنكار قائلًا:

- أبى .. أنا أتحدث عن النقود وليس عن جرح مشاعرها فلقد..

قاطعه أباه فى غضب:

- فلتصمت أنت ولا تتحدث عن النقود الآن أيها التعس .. ألا يكفيك ما ترسله غادة لوالدتك فى بداية كل شهر.. ألا يكفيك أنها قد جعلتك المشرف على العمال فى مشفاها الجديد بهذا الراتب الذى لا تستحق ربعه؟ ألا يكفيك أن خطيبتك تعمل عندها بأضعاف مرتب خريج الجامعة..

- لا تنس أنك من أجبرت الطبيبة على قبول إلهام للعمل كخادمة لها..

- خادمة؟ إن الفتاه وافقت على العمل معها وهى فى منتهى القناعة والرضا بما هو مقسوم لها .. وأنت لازلت تصر على أنها مجرد خادمة؟

- أنا نفسى مندهش من موقفها إلى الآن يا أبى .. فإلهام ابنة طبيب يتوفى فى حادث فجأة فى الوقت الذى يقوم فيه شريكه العزيز والد غادة بتزوير أوراق ليثبت



أحقيته فى العيادة الخاصة بهما .. ويترك زوجته وأولاده وهم لا يجدون قوت يومهم فتضطر الأم للعمل فى أحد الإصلاحيات حتى تسد رمق أبنائها .. وفى نهاية الأمر الفتاة تصر أن تعمل كخادمة فى منزل ابنة ذلك الطبيب اللص وأخاها فى أحد شركات زوجها .. كيف استطعت أيها العجوز أن تقنعهم بذلك؟

- لأنهم مختلفين عنك تمامًا أيها الغبى .. فأنت مثل أمك تمامًا .. هيا اغرب عن وجهى ولا تأتى إلى العيادة مرة أخرى حتى أطلبك..

****

أغمضت غادة عينيها فى ألم وهى تستمع إلى سليمان وهو ينقل إليها ما توصل إليه ابنه من أخبار بعد مراقبته لزوجها .. تركها العجوز بعد أن انتهى من سرد كل ما لديه ليحضر لها كوبًا من الليمونادة لتهدئة أعصابها ولكنها كانت تبكى بشدة بالرغم من محاولته التخفيف عنها ..

كانت تشعر دائمًا أن هناك شيئًا ما يبعد زوجها عنها فى الآونة الأخيرة .. على الرغم من سعيه الدائم لإرضائها ولكنها كانت أحيانًا تُرجع ذلك لإنهاكه فى العمل فهو يقضى وقت كبير فى تطوير الشركة والتصدى للمنافسين ولكن الفجوة بينهما بدأت تتسع بالتدريج إلى أن صار الصمت والبرود هو السمة الأساسية فى حياتهما شعرت أن هناك من تملأ حياته وتبعده عنها .. إنها غريزة المرأة التى لا تُخطئ أبدًا .. كانت متأكدة من وجود امرأة أخرى فى حياة زوجها .. فقط كان ينقصها الدليل ..

دارت الدنيا برأس غادة غير مصدقة أن زوجها قد يأتى بتلك اللعوب إلى منزلها بل وعلى فراشها .. انهمرت الدموع من عينى غادة وهى تتذكر كيف التقت به وكيف تم زواجهما بالرغم من رفض أهلها ..

منذ العام الأول لزواجهما اكتشفت الكثير من عيوبه .. فبعد عدة أشهر سقط قناع الحبيب ولكن قلبها أعماها عن رؤية وجهه الحقيقى ربما هو الحب أو ربما هو عنادها وكبريائها .. فالقناع الجيد قد يخدعنا مرة ولكن حين يستمر فى خداعنا فليس ذلك لإتقانه بقدر ما هو بسبب غباءنا وعنادنا ورفضنا لفكرة أننا كنا بتلك السذاجة..



ولطالما حاولت أن تُصلح ما به من عيوب وكانت تنجح أحيانًا فى علاجها كما تعالج مرضاها..

فهى من أسرة غنية وهو من أسرة بسيطة والجميع يعلم أنها تزوجت هانى رغم رفض أهلها .. هى فقط من خدعت فيه .. فقد أوهمها بحبه الشديد لها فأحبته وضعفت أمامه .. وكان يدرك ذلك فاستغل ذلك أسوأ استغلال وحتى تُؤمِّنَ له مستقبله افتتحت له شركة خاصة ووقفت بجانبه ودعمته حتى ازدهرت الشركة وأصبح له رصيد غير متواضع فى أحد البنوك..

كل ذلك فعلته حتى لا يشعر أنه أقل منها ولتثبت هى للجميع خطأهم وتسرعهم فى حكمهم عليه وأن اختيارها كان صائبًا منذ البداية.

كانت تعلم بنزواته ودائمًا ما كانت تستطيع إيقافها فيما مضى .. أما الآن فقد تمادى كثيرًا وربما فات الأوان للإصلاح .. فهذه المرة تختلف كثيرًا ..

توقفت غادة عن أفكارها وهى تعتدل لتجفف دموعها ثم أمسكت بالورقة التى تركها لها على ابن المريض العجوز والمدون بها عدة أرقام لهواتف وعنوان منزل تلك السيدة التى يخونها معها زوجها .. ودارت فكرة ما برأسها .. هل ستستطيع إبعاد تلك الساقطة عن زوجها؟ وكيف؟، أم ستضطر إلى الانتقام من ذلك التافه بنفسها!!

هزت رأسها بشدة وهى تطرد هذا الاحتمال من خاطرها وقامت لتلتقط حقيبتها وتحزم ما تبقى من أوراقها عائدة إلى المنزل..

وعندما دلفت إلى شقتها وجدت هانى كعادته جالسًا أمام التلفاز فألقت عليه تحية بسيطة .. لم تفكر فى مصارحته بعلمها بعلاقته وإن أرادت أن تصرخ فيه بشدة وتخبره أنها تعلم كل شىء، كم أرادت ذلك، وكم أرادت أن ينتهى كل ذلك بعودته إليها نادمًا مستعطفًا طالبًا للمغفرة ولكن هل ستقبل وقتها؟ هل ستغفر له خيانته؟ ولكنها لن تفعل .. لن تواجهه الآن يجب عليها أن تنتظر حتى تهدأ لتخطط لشىءٍ ما .. شىء يجعله يندم لبقية عمره على مجرد التفكير فى خيانتها مع امرأة أخرى..



هرعت إلى غرفتها لتستريح فلم تكن ترغب فى رؤية وجهه أو حتى فى سماع صوته فى تلك اللحظة .. ولكنه حاول أن يتجاذب معها أطراف الحديث إلا أنها كانت تجيبه بإجابات مقتضبة .. وعندما لاحظ ذلك أخبرته أن لديها صداع قاتل وأنها فى طريقها للنوم فتركها لترتاح وغادر الغرفة.

أما هو فقد شعر أن هناك شيئًا ما يدور داخل رأسها فهى تتلاشى النظر إلى وجهه كعادتها دائمًا عندما يوجد لديها ما تخفيه عنه .. أتكون قد عرفت شيئًا عن علاقته بصفاء؟

هز رأسه بشدة طاردًا ذلك الاحتمال ليفاجأ باتصالًا من صفاء وكأنها شعرت بتفكيره بها فى هذه اللحظة مما جعله يتلفت حوله ليتأكد أن غادة لن تسمعه قبل أن يجيبها ليجدها تصرخ كعادتها:

- أخبرنى ماذا فعلت وماذا قررت؟ لا تظن أنى سأصبر عليك كثيرًا دون أن تتحرك أو تفعل شيئًا .. يكفى انتظارى طوال الفترة الماضية وأنت تختلق الأعذار واحدًا تلو الآخر.

- بالله عليكِ يا حبيبتى ليس ذلك الوقت المناسب لهذا الحديث .. لا تقلقى سأهتدى إلى حلٍ ما، ولكن يلزمنى بعض الوقت للتفكير جديًا فى مخرج يضمن لنا العيش سويًا فى نفس المستوى.

- أى تفكير هذا الذى تتحدث عنه .. الأمر مُنتهى .. الحل الوحيد لمشكلتنا هو الطلاق، والطلاق فقط.

- حاولى أن تتفهمى الوضع يا صفاء، لقد أخبرتك مرارًا أن هذا الحل فى الوقت الحالى يعتبر مستحيلًا، فيجب أن نؤمن مستقبلنا أولًا وإلا سنخسر كل شىء.

صرخت فيه صفاء بعصبية تكاد تصل لحد الجنون:

- أنصِت إلى جيدًا أيها الغبى .. لقد أخبرتك أنى لن أظل أدور فى فلكك هكذا .. إن لم تجد حلًّا خلال الأيام القادمة لن ترانى مرة أخرى .. فأنا لن أقضى بقية حياتى



إما مع محتال أو مع شخص جبان خائف متردد..

قالتها وأغلقت الهاتف فى وجهه لكنه لم يندهش من تصرفاتها المعتادة فلقد كان على ثقة من أنها لن تستطيع أن تُنهى علاقتها به أو تبتعد عنه ولكنها فقط تريده أن يفعل شيئًا ليثبت جديته فى الزواج منها .. ظلت أفكار كثيرة تدور برأسه فهو نفسه لا يدرى كيف سينجو من هذا المأزق بعد أن بدا بالفعل أنه غارق فى حب صفاء حتى النخاع .. فهو لا يستطيع الاستغناء عنها .. أما علاقته بزوجته غادة فكانت علاقة مادية بحتة .. فهو يحاول منذ فترة أن يُنهى هذا الزواج بأقل الأضرار الممكنة .. فهو مرتبط بمؤخر صداق مرتفع، كما أن الشركة التى يديرها لا تزال باسم زوجته .. ولكنه لن يستسلم .. سيهتدى إلى حل إن آجلًا أو عاجلًا.

****





(الماضى)

المـاضى كالبـذور التـى مهـما حاولنـا أن ندفنهـا ونطمهرهـا إلا أنهـا دائمًـا مـا تجـد طريقهـا للنـور لتنمـو وتكـبر رغـمًا عنـا وتجبرنـا عـلى المواجهـة حتـى لا تلتـف بأغصانهـا حـول أعناقنـا فنبقـى أسرى لهـا إلى الأبـد..





فى اليوم التالى وبعد أن أنهت غادة آخر كشف لها وما إن خلت بنفسها حتى أمسكت بورقة الهواتف الخاصة برجل الأعمال نبيل علام زوج صفاء التى تقيم علاقة مع زوجها .. وهى تفكر كيف ستبدأ الأمر معه...

وعندما اهتدت للحل أخيرًا أمسكت بهاتفها لتطلب الرقم .. آثرت أن تدخل فى موضوعها مباشرة .. ترددت كثيرًا وهى تبدأ حديثها .. صارحته بما حدث ويحدث ما بين زوجها وزوجته .. والخداع الذى يمارسونه معهما ..

لم يصدقها الرجل الذى لم يتمالك نفسه وظل يصرخ فى وجهها ويتهمها بالكذب لأن زوجته لا يمكن لها أن تخونه أو حتى تفكر فى ذلك وظل يهدد ويتوعد ..

شعرت أن الرجل فى طريقه لأزمة قلبية فى الحال فحاولت تهدئته ولكنها لم تفلح فى ذلك حتى أنهى الرجل مكالمته معها بعنف وأغلق الهاتف فى وجهها..

أصاب غادة الذهول من ردة فعله ولم تصدق أنه أغلق الهاتف فى وجهها دون حتى أن يسألها أو يتحرى عن الأمر منها .. أيثق فى زوجته لهذه الدرجة؟ أم أن صدمته فيها كانت عنيفة لدرجة أنه يرفض تصديق فكرة أنها تخونه؟ أم أنه رجل ضعيف الشخصية مغلوب على أمره؟ لكنها التمست له العذر فهى تمر بنفس الظروف ولم تصدق فى بداية الأمر أن زوجها يستطيع أن يخونها .. وفى مخدعها..

لم تستغرق غادة كثيرًا فى هذه الأفكار، فقد قاطعها رنين هاتفها الذى لا يزال بيدها فنظرت إليه لتفاجأ بالرقم الذى يتصل بها فلقد كان رقم نبيل علام مرة أخرى، لم تفكر كثيرًا حينما بادرت بالرد عليه ليفاجأها بقوله بنبرة صارمة جافة:

- هل أنتِ متأكدة مما قلتيه؟ هل لديكِ الدليل على صحته؟

لم تفارق المفاجأة غادة التى ارتبكت من تغير نبرة حديثه بهذه السرعة حين أجابته قائلة:

- بالطبع لدىّ وإلا ما كنت اتصلت بك .. فأنا.....

قاطعها بنفس الصرامة وبنبرة آمرة:



- قابليني غدًا لتُطلعيني عليه..

وافقته غادة بالرغم من اعتراضها على طريقته في الحديث، وحددا موعدًا في اليوم التالي في تمام العاشرة صباحًا في مشفاها الخاص، والذي بدأت في تشييده منذ شهرين حتى يقطع الشك باليقين ويتأكد من أن زوجته هي المرأة المقصودة ..

لم يلبث أن دق هاتف غادة مرة أخرى بعد أن أنهت اتصالها بزوج صفاء لتجد أن المتصل هو هاني زوجها، مما جعلها تشعر بالاشمئزاز، فقد كان هاني يشعر أن غادة ليست طبيعية، فاتصل بها محاولًا أن يتجاذب أطراف الحديث معها إلا أنها أخبرته أنها في المشفى حاليًا وأنها لن تعود إلى المنزل قبل عدة أيام لإنشغالها بإجراء عدة عمليات ورغبتها في المرور على مشفاها الجديد لمتابعة التجديدات وكذلك متابعة تركيب أجهزة خاصة بنفسها حتى لا يرتكب العمال أي خطأ في تركيبها ..

كانت في الحقيقة لا تستطيع العودة إلى تلك الشقة وذلك الفراش مرة أخرى، مازالت تتخيل ما جرى عليه منذ عدة أيام .. وكيف جمع بين امرأة أخرى وبين زوجها ..

كان يؤلمها رؤيته بعد أن علمت بخيانته حتى مجرد سماع صوته كان يعذبها وبالرغم من ثباتها إلا أنها لم تكن تحتمل حقيقة أنه فضل عليها امرأة أخرى لذلك أنهت الاتصال سريعًا قبل أن تسمع كلمات الاشتياق من ذلك المخادع..

أما هاني فقد تأكد من أن هناك شيئًا ما غير طبيعي في زوجته، فهي تتصرف معه ببرود دون أسباب .. فهذه ليست طبيعتها معه حتى وإن تعللت بانشغالها في العمل على إنهاء مشفاها الخاص.

ذلك المشفى الذي كانت تحلم بإنشائه منذ سنين، لم يكن مشفى كبيرًا وإنما هو عبارة عن شقتين بمساحة كبيرة في أحد المناطق الموجودة بوسط القاهرة، طلبت منه أن يكلفه من أرباح الشركة إلا أنه تعلل بأن أموال الشركة تدور في السوق حتى تكبر وتنمو ولا يستطيع أن يقترب منها ولكنه ألح عليها أن تبيع الأرض التي ورثتها عن



والدها، وكذلك عيادته القديمة .. كان ذلك أفضل من إعطائها جزء من أمواله التى تعب بها لتحقق هى حلمها وها هو المشفى وقد شارف على الانتهاء.

نمت بذرة الشك داخله خوفًا من أن تكون قد شعرت بأى شىء .. مما جعله يراجع نفسه هل ارتكب خطأً ما؟ هل ترك أية آثارلتلك الليلة فى المنزل؟ هو متأكد أنه أزال كل أثرلتلك الليلة حتى لا تشك غادة فى شىء .. تُرى ما الذى أصاب غادة، وما هو سبب ذلك البرود الذى تتعامل به معه؟

****

فى صباح اليوم التالى كان الممرض سليمان وابنه على فى المستشفى يشرفان على العمال الموجودين فى إحدى الغرف لإنهاء تركيب بعض الأعمال الكهربائية .. كان سليمان مرهق بسبب عمله فى المشفى بالصباح وفى العيادة ليلًا مما جعله يحتد على أحد العمال الذى أخطا فى إحدى الوصلات فأصيب بشحنة كهربائية، بينما وقف على يضحك على هذا الموقف دون سبب .. لكنه توقف فجأه عندما دخلت غادة محتدة لتصيح فى العمال ليسرعوا فى إنهاء أعمالهم لقرب ميعاد افتتاح المشفى.

قاطعتها دقات على الباب الخارجى فذهب على لفتح الباب وذهبت هى إلى غرفتها متوقعة الضيف الذى أتى فى تمام العاشرة تمامًا .. فجلست فى مكتبها حتى طرق «على» باب غرفتها ليخبرها أن هناك من يطلب مقابلتها دون أن يفصح عن شخصيته...

دق قلبها بعنف دون سبب وكأنها تذكرت تلك المرأة وهى تحاول أن تقتحم حياتها الهادئة .. وما هى إلا دقائق حتى كانت تستمع إلى محدثها الذى شعرت نحوه بالنفور والاشمئزازمنذ أن وقعت عيناها عليه والذى لم يكن سوى نبيل علام زوج تلك المرأة..

كان عجوزًا فى الستين من عمره تقريبًا .. يغطى الشعر الأبيض رأسه بطريقة غريبة .. طويل القامة .. أحدب الظهر بصورة مبالغ فيها .. بقدمه اليسرى عرج خفيف جعله يستند دائمًا إلى عكازخشبى .. والذى كان يقع منه أثناء انفعاله فى حديثه معها، يرتدى ملابس فضفاضة بدرجة كبيرة وكأنه قد خسر الكثيرمن وزنه فى الفتره الأخيرة..



يرتدى نظارة سميكة على عينيه .. كان أقرب ما يكون إلى الشخصيات الكاريكاتيرية منها إلى الواقع وخاصة عندما بدأ فى الصياح بصوتٍ عالٍ..

فقد كان العجوز غير مصدق تمامًا لخيانة زوجته متهمًا غادة بأنها قد تكون أخطأت فى شخصية زوجته .. أو أن هناك أمرًا ما خطأ فزوجته مستحيل أن تخونه بعد كل ما قدمه لها..

وأمام رفضه تصديق قولها اضطرت غادة لاستدعاء «على» ليقص عليه كل ما حدث أمامه وطلبت منه أن يذكر كل ما يعرفه عن خيانة زوجها لها فى منزلها .. وكيف أتى بعشيقته أثناء سفرها الدائم الشهرى إلى الإسكندرية وما حدث فى تلك الليلة فى مخدعها .. وكيف اهتدى إلى الزوجة الخائنة .. وكيف أنها قضت أكثر من ليلة فى فراشها مع زوجها..

أما على فقد نفذ ما طلبته منه غادة وقد أدرك أن ذلك العجوز ربما كان قريبًا لزوجها وهى تشكو إليه، لذلك أدلى بكل ما يعرف دون أن يفطن إلى أن الجالس أمامه هو زوج تلك العشيقة ولذلك أخبره بكل تلك التفاصيل المؤلمة..

وعندما انتهى على من حديثه كان العجوز قد بدت الصدمة على وجهه، فاستند إلى عصاه الخشبية وكأن عشرات السنين قد أضيفت إلى سنوات عمره فظل صامتًا لبضع دقائق وازدرد لعابه فى صعوبة حتى ظنت غادة أن الرجل سيحدث له شيئًا لا محالة فسارع على بتقديم كوب الماء الموضوع على مكتب غادة له، فتناول منه عدة رشفات قبل أن يدس يده فى جيبه الداخلى ليخرج علبة ما بيضاء اللون ويتناول قرصًا ليضعه تحت لسانه وهو يحاول التنفس بصعوبة .. ظهرت علامات القلق على وجه غادة التى خشيت من أن يصاب العجوز بجلطة فى مشفاها، وعندما هدأ الرجل أشارت لعلى بالانصراف، فاستطرد العجوز قائلًا فى ألم:

- أهذا كل ما حدث؟ أأنتِ على تمام الثقة من هذا الشخص المكلف بمراقبة زوجك؟



- بالطبع يا أستاذ نبيل .. أنا ليس لى أى هدف من الكذب عليك أو الادعاء على زوجتك..

قامت غادة من وراء مكتبها لتجلس على المقعد المواجه للعجوز، ثم أردفت قائلة:

- ها هى الحقيقة واضحة أمامك كوضوح الشمس .. نحن الإثنان أصابنا الغدر .. لقد تم خداعى مثلك تمامًا، لذلك فنحن الإثنان فى قارب واحد..

نظر إليها العجوز بحزن وانكسار قائلًا فى تلعثم:

- ولكن صفاء .. من المستحيل أن ترتكب هذه الفعلة الشنعاء و... و... صفاء كانت.... لقد وضعتها فى مستوى معيشى لم تكن لتراه حتى فى أحلامها .. جعلتها سيدة مجتمع .. حولتها من فتاة فى أسفل السافلين إلى ما أصحبت عليه الآن .. أعطيتها كل ما أملك .. أعطيتها حبى وقلبى الذى لم يسكنه أحد سواها .. أعطيتها من الأموال ما يكفيها هى وأسرتها أن يعيشوا فى رغد وسعادة طوال عمرهم، لست أدرى يا ابنتى ماذا أقول لكِ؟، ولكنكِ قتلتِنى بحديثك هذا..

نظرت إليه غادة فى شفقة وهى تقول:

- يا سيدى وكأنك تتحدث عن هانى زوجى تمامًا .. لقد كان فى ماضيه مجرد أَفَّاق .. عرف كيف يصل إلى قلبى .. كان الجميع يراه على حقيقته إلا أنا .. الكل حذرنى من الاقتراب منه أو السماح له حتى بالاقتراب منى .. ولكننى لم أستمع لأحد، وهذا هو خطأى .. فأحيانًا يعمينا الحب عن رؤية الحقيقة فنتحدى العالم من أجل مجرد سراب يخدعنا فنرى فيض من المشاعر التى نطمع أن تروى جفاف القلب لنصحو على واقع يجعلنا ندرك أن كل ذلك لم يكن سوى خيبة جديدة تطرق أبواب القلب بلا رحمة ..

فبعد أن أعطيته كل ما يملك الآن وأوصلته إلى تلك المكانة، وبعد أن أصبح لديه شركته الخاصة والتى أنشأها من أموالى .. والتى لم يكن يحلم يومًا أن يعمل بها ولو مجرد موظف تافه .. أتذكركم عارضت أسرتى لأرتبط بهذا الخائن..أتذكركم مر على



والدى ووالدتى من شهور لم يخاطبنى فيها منهم أحد لوقوفى ضد إرادتهم، حتى توفى أبى قهرًا بسببى، وكأنهم كانوا يرون ما أعمانى الحب عنه ..

وبعد أول سنة لزواجنا ظهر على شخصيته الحقيقة .. وقتها علمت كم كنت مخدوعة .. وفهمت أنه لا يريد إلا أموالى فقد وضعتنى حقيقته أمام المرآة ويومًا بعد يوم كانت عيوبه تتضح لى أكثر. حاولت جاهدة أن أصلح منه ولكن بلا جدوى لا أدرى لِمَ صبرت عليه أربع سنوات .. أربع سنوات يا سيدى لم أذق فيها طعم السعادة إلا عدة شهور .. أربع سنوات كان ينتقل فيها من خطيئة إلى أخرى، ومن نزوة إلى نزوة حتى جعلنى أفقد الثقة تمامًا فى نفسى..

هز العجوز رأسه متفهمًا ولكنه أردف قائلًا:

- ولكنى .. اعذرينى فلابد لى من التأكد من كل ما تقولينه .. أقصد بالطبع التأكد من خيانة زوجتى، أما زوجك فليس لى شأن به، فهذه أموركم الداخلية..

هتفت فيه غادة باستنكار:

- ماذا تقول؟

أردف العجوز بهدوء:

- أقول أن كلامك قد يكون غير صحيح، مجرد كلام مبنى على شهادة شخص لا يعرف زوجتى، لذلك ربما يكون الأمر قد اختلط عليه بالنسبة لها، لذلك يجب علىّ التريث حتى التأكد من صحة كلامه، فقد..

قاطعته غادة غاضبة:

- التأكد؟ ماذا تقصد بالتأكد؟ هل يجب أن يقوم أحدهم بتصوير زوجتك فى أحد الأوضاع المخلة حتى تتيقن؟ أم أن ترى بعينك تلك الساقطة على فراشك مع زوجى؟ هل ستتأكد عندها أم ستكذب نفسك وعينك أيضًا؟

نظر إليها العجوز ببرود قائلًا:

- اسخرى منى كما تشائين ولكنى يجب أن أتأكد .. صفاء من المستحيل أن



تفعل ذلك بى .. صدقينى أنتِ لا تعرفينها على حقيقتها .. فهى وإن كانت بها بعض العيوب البسيطة إلا أنها ملاك فى مجملها، ولا يمكن .. لا يمكن أبدًا أن تقوم بتلك الفعلة الشنعاء ولربما غيرتك على زوجك التى جعلتكِ تشكين فى كل من حوله..

بالكاد حاولت غادة أن تتمالك أعصابها، بل إنها قد منعت نفسها وبشدة من أن تستدعى العمال ليلقوا بذلك العجوز الخَرِف خارجًا، لذلك بذلت مجهود خرافى حتى قالت بصوت خرج متهدجًا رغمًا عنها من فرط الغضب بالرغم من محاولاتها لإظهار الهدوء:

- حسنًا يا سيد نبيل .. كيف ستتأكد؟ ما الذى سوف تقوم بفعله حتى تتأكد وتعلم أنى لا أخدعك أو أتجنى على ملاكك البرىء المُنَزَّل من السماء؟

تراجع العجوز فى هدوء ليستند بظهره على المقعد قائلًا:

- سوف أقوم بمراقبتها .. وسوف أراقبه هو أيضًا..

- وكيف ذلك؟

- سأجعل شخصٌ ما أثق به جيدًا يقوم بذلك .. وصدقينى لو تأكدت أن كل ما تفوهتِ به صحيحًا سوف يكون رد فعلى غير متوقع تجاههما .. فعلى قدر الحب تكون الكراهية والانتقام.

وبدا صوته فى الخفوت وكأنه يحدث نفسه:

- ثم لماذا؟ لماذا تفعل صفاء ذلك بى؟ أيكون ذلك لأنى أكبرها سنًا؟ أم لأنى لا أُلبى كل ما تطلبه منى؟ هل لأنى أشعر بالغيرة عليها طوال الوقت؟أم لأنى أحبها أكثر من اللازم؟ أتكون قد اختنقت من ذلك؟ربما .. فالكثير من النساء ينظرن لحب الرجل الزائد لهن واهتمامه بهن على أنه قيدًا فى رقابهن فيسعون دائمًا للتخلص منه..

أشفقت غادة على الرجل فهى تشعر بما يعانيه فحاولت أن تهون عليه قائلة:

- الخيانة ليس لها أية مبررات .. الخيانة شىء مكتسب ليس له أى علاقة بالعمر.. الخيانة ما هى إلا نتاج الشعور بالنقص .. لا المستوى الثقافى والتعليمى ولا



حتى المستوى الاجتماعى نفسه قد يعطى لها ذريعة .. قد لا يكون هناك عيبًا فيك منذ البداية .. لكنه ذلك النقص الموجود فى بعض النفوس المريضة.

أردف العجوز مذهولًا وكأنه يخاطب نفسه، وكأنه لم يسمع غادة:

- أتكون صفاء تخوننى فعلًا بهذا الشكل؟ أكانت تخدعنى كل هذا الوقت؟ ولكنها مثل الملائكة أقسم لكِ .. على الأقل هى ملاكى أنا فقط..

نظرت غادة للعجوز بشفقة قائلة:

- أستاذ نبيل كلنا نرتدى فى الحياة أقنعة مختلفة لكننا نخلعها فى الشدة والمرض والمحن ليظهر لنا من تحتها وجوه ربما هى أسوأ من مسوخ الشياطين .. وربما .. ملائكية بريئة .. نقية .. صادقة. .. فحقيقة الإنسان لا تظهر إلا فى لحظات الاختيار الحر مهما حاول أن يُخفى حقيقته ويتلون، وهم قد اختاروا خيانتنا.

نهض العجوز من مقعده متكئًا على عصاه بالرغم من حالة الذهول التى لم تفارقه، فلم يكن مهتمًا بما قالته غادة، وغادر المشفى بعد أن وعدها بأنه سوف ينفذ اتفاقهما وسيبلغها إذا تيقن من قولها، وترك غادة وهى فى حيرة من أمرها أتشفق عليه من هول الصدمة التى تلقاها والتى لم يستوعبها بعد، أم تسخط على ذلك الرجل ضعيف الشخصية مسلوب الإرادة وكأنه لا يرى فى دنياه إلا زوجته العاهرة اللعوب التى سلبت منها زوجها وسعادتها..

****

أما خارج الغرفة فلم يفطن الإثنان لوجود «على» الذى كان يسترق السمع طوال الوقت .. وعندما شعر بانتهاء المقابلة دخل سريعًا إلى أحد الغرف المجاورة وهو يقلب الأمر فى رأسه..

أما نبيل فعلى الرغم من الشعور بالعجز الذى أظهره أمام الطبيبة، إلا أنه وبمجرد ركوبه سيارته تحول إلى ما يشبة البركان الثائر.. فقد كانت عشرات الأفكار والخواطر والأسئلة والذكريات تدور برأسه ..



تذكر بداية علاقته بذلك الكابوس الملقب بصفاء .. تلك الفتاة المتطلعة دائمًا إلى الشهرة والنجاح .. وكيف أنه انتشلها من الفقر إلى حياة الترف بعد أن ارتبط بها .. كان يعلم أنها من سعت إليه .. ولا ينكر أنه فى بداية ارتباطه بها جعلته يعيش معها أسعد أوقات حياته .. أبعد كل ذلك تأتيها الشجاعة لخيانته .. بعدما بذل كل ما بوسعه ليجعلها سيدة مجتمع راقية

لم يكن يستطيع طلاقها .. ليس بسبب ما أعطاه لها من أموال أو أملاك .. ولكن تلك الشيطانة كان لديها سر ماضيه القديم .. فالماضى كالبذور التى مهما حاولنا أن ندفنها ونطمرها إلا أنها دائمًا تجد طريقها للنور لتنمو وتكبر رغمًا عنا وتجبرنا على المواجهة حتى لا تلتف بأغصانها حول أعناقنا فنبقى أسرى لها إلى الأبد ..

وهى لم تترك الفرصة وتعاملت مع سره وكأنها امتلكت مصباح علاء الدين .. نعم .. وكيف لا بعد أن ألمحت له فى العديد من المرات وبشكل غير مباشر أنها تستطيع أن تزج به فى السجن إذا أرادت .. ولذلك كان يتحاشى دائمًا الاصطدام بها، وعلى الرغم من حبه الشديد لها فى بداية الأمر إلا أنه قد اكتفى بما رآه منها ومن غرورها ونفورها المستمر ومن نزواتها ..

نعم هى نزواتها التى طالما أنكرها دومًا .. نزواتها التى ظلت فى الظلام .. نزواتها التى كان يتمنى أن يجد دليلًا ماديًا عليها .. وإن آثر أحيانًا أن يتستر عليها حفاظًا على مكانته فى عالم رجال الأعمال، إلا أنه لن يفعل ذلك الآن، فالأمر تخطى كل الحدود كما أن هناك العديد من الشهود على ما حدث وتلك الطبيبة لن تتوقف عند ذلك الحد..

كانت تلك القشة التى ستقصم ظهر البعير.. كان من داخله يتمنى أن يصل إلى أى دليل على خيانتها المستمرة له .. وها هو الدليل يأتى إليه بعد طول انتظار..

ظل يجوب الشوارع بسيارته على غير هدى محاولًا أن يجمع شتات نفسه .. مر فى طريقه على أحد الفنادق الكبيرة التى اعتاد أن يستأجر بها غرفة ليريح فيها أعصابه ويختلى بنفسه كلما أهمه أو شغله أمر ما، وذلك ليفرغ غضبه قبل أن يذهب لفيلته حتى لا تشك صفاء بشىء وظل فيها لأكثر من خمس ساعات .. كان يريد أن يختلى بنفسه ليستطيع التفكير حتى أنه أغلق هاتفه..



غادر بعد عدة ساعات غرفته بالفندق متجهًا إلى فيلته القابعة فى أحد الأماكن الهادئة بالقاهرة .. وعندما دلف إليها كانت صفاء جالسة على أحد المقاعد الكبيرة وهى تقرأ فى أحد مجلات الموضة والأزياء غير مهتمة بمجيئه..

بادرته قائلة دون أن ترفع عينيها عن المجلة:

- هل أجعل الخادمة تجهز لنا الطعام؟

نظر إليها باشمئزاز دون أن تراه أو تلاحظ نبرة صوته الباردة:

- لا ليس الآن فسأراجع بعض الأوراق الخاصة بالمصنع، وعلىَّ إنهاؤها قبل أن أنام .. كما أنى لا أشعر برغبة فى تناول الطعام الآن..

قالها وذهب إلى غرفة المكتب ليفتحها ولكنه التفت ليتطلع إلى صفاء التى كانت لا تزال تتطلع إلى المجلة بغير اكتراث قائلًا:

- أتعلمين يا صفاء .. بعض الظروف القاسية التى مررت بها فى حياتى علمتنى أن تناول الطعام مع أحدهم يمنعنى من خيانته ما حييت..

وضعت صفاء المجلة بجانبها وهى تلتفت إليه مندهشة من حديثه الذى أقلقها وجعلها تشعر بوجود شيءٍ ما يحاول أن يخفيه .. مما جعلها تنهض وتقترب منه وتلف يديها حول رقبته وهى تحاول أن ترسم ابتسامة باهتة على شفتيها قائلة بلهجة ساخرة وبنبرة ذات مغزى:

- ما بك يا حبيبى؟ أتنوى خيانة أحدهم فى العمل؟ أم أنك تخطط لخيانتى أيها التعس؟

نظر نبيل فى عينيها مباشرة وهو يقول بغموض:

- توقعى أنتِ يا عزيزتى .. هل يمكن أن أخونك ذات يوم؟

مطت صفاء شفتيها فى دلال قائلة:

- لست أدرى .. ربما .. فأنتم معشر الرجال أحيانًا قد لا تكتفون بامرأة واحدة .. فلكل واحد منكم أساليبه الخاصة التى تجعل النساء يلتفون حوله بشتى



الطرق الملتوية .. مثل النار التى تجذب إليها الفراشات الجميلة، فتلك زوجتك، وتلك تستميلها لتطلق عليها شقيقتك، وتلك عشيقتك، وتلك محظيتك، وتلك السكرتيرة الخاصة بك .. تختلف المسميات ولكنه الجنس الذكورى يا عزيزى دائمًا مخادع..

ضحك بمرارة قائلًا:

- وأنتم يا معشر النساء لا أحد يعرف متى ترضون، لا أحد يفهمكن أبدًا لا أحد يعرف متى تحبون ومتى تكرهون.... ولا حتى متى تخونون وتبيعون ..

تبدلت ملامحها فجأة ونظرت إليه بغضب وسحبت يدها من حول رقبته وقد تحولت لهجتها الساخرة حين هتفت غاضبة:

- ماذا تقصد؟ عمومًا أنا لست فى حالة تسمح لى بأى مشادة معك، والتى يبدو أنك تبحث عنها..

أدهشه ذلك التبدل السريع فى مزاجها ولكنه هز رأسه فى لا مبالاة قائلًا:

- ولا أنا .. فأنا متعب منذ الصباح، ولم أستطع الذهاب إلى المصنع، فقد كنت فى زيارة لمكتب المستشار عنانى لأخذ رأيه فى بعض الأعمال..

- هل هناك مشكلة فى العمل؟

- إلى حدٍّ ما يا عزيزتى .. لا تقلقى يا ملاكى .. اعذرينى الآن فلدى بعض الأعمال فى غرفة المكتب يجب أن أنهيها قبل أن أسافر فى رحلة عمل قصيرة..

نظرت إليه بدهشة قائلة فى استنكار:

- ماذا؟ رحلة عمل؟ إلى أين؟ ولِمَ لم تخبرنى عنها مسبقًا..

- هناك عدة مشاكل فى فرع المصنع بالإمارات .. والأمر يستدعى ذهابى هناك خلال الأيام القادمة، وكلما أسرعت كان ذلك أفضل لنا..

- هل أسافر معك؟

- لا تقلقى .. لن أتغيب طويلًا وسوف أهاتفك يوميًا..



قالها وتركها ليدلف إلى غرفة مكتبه ويجلس ليفكر مكملًا تخطيط ما بدأه منذ الصباح حتى قبل ذهابه للقاء الطبيبة .. ليخرج بعدها بعدة ساعات ليجهز حقيبته ليسافر فى الصباح الباكر.

****

كانت إلهام والتى بدأت العمل فى منزل غادة منذ العام الماضى تعد طعام العشاء لغادة وزوجها، لم يكن ذلك بالأمر الهين عليها أبدًا، فقد كان والدها يحلم دائمًا باليوم الذى ستصبح فيه ابنته طبيبة لتكمل مسيرته هى وأخاها، كان يحلم بتأسيس مشفى خاص به هو وصديقه والد غادة ليرثه أولادهما من بعدهما ليكملوا ما بدأوه معًا ويتوجوا تلك الصداقة التى دامت لسنوات منذ الطفولة، إلا أنه لم يكن يعلم أن لكل شىء وجهان بل وربما أكثر من وجه تخفيهم جميعًا أقنعة متقنة قد وضعها أصحابها بمهارة لتخفى تلك العتمة التى طمست على قلوب ماتت داخلها القيم والمبادئ حتى الرحمة لم تجد لها مكانًا هناك فلملمت أشلاءها ورحلت من نفوس شوهتها يد الطمع والخيانة، لم يكن يعلم أن النفوس والضمائر قد تتغير كتغير الفصول، لم يكن يعلم أن صديقه الذى ائتمنه على ماله سيطمع فيه من بعده ليترك أولاده وزوجته بعد وفاته يصارعون شبح الحاجة والفقر لتضطر زوجته والتى تحمل شهادة جامعية أن تلتحق بعمل متواضع لكى تربى أولادها، لم يكن يعلم أن الممرض البسيط الذى كان يعمل عنده سيكون أوفى وأحن على أولاده وزوجته من صديقه الذى كان يعتبره بمثابة أخيه، ذلك الصديق الذى استولى على كل شىء تشاركه معه، لينعم به هو وأولاده، فى الوقت الذى كانت فيه هى وأخيها ووالدتها يعانون للحصول على قوت يومهم.. وها هى الآن وقد رضيت أن تعمل خادمة لتسترجع حقها وحق أخيها فى الوقت الذى تتنعم فيه غادة هى وأخيها بمال أبيها الذى استولى عليه والدهما لتضيعه على ذلك المحتال هانى، ولكنها لن تسمح لها بذلك..

كانت إلهام تحضر العشاء وهى شاردة تجتر جراح الماضى عندما وصل إلى مسامعها ضجيج فى الطابق العلوى .. حيث كانت غادة وهانى يتشاجران كعادتهم يوميًا، ولكن



هذه المرة كانت تشعر أن كلاهما لن يتوانى عن أن يقتل الآخر لو كان بمقدوره ذلك..

كانت هى الأخرى يقتلها الفضول .. فقد كان فضولها يشبه فضول القطط، كم كانت تود لو كان باستطاعتها إسكاتهما إلى الأبد لشجارهما المعتاد كل يوم فى مثل هذا الوقت، والذى تستطيع أن تحدده يوميًا قبل طعام العشاء بدون أسباب واضحة.

اقتربت من الردهة الخارجية وهى تحاول أن تسمع ما بعد صراخ سيدتها الهيستيرى، كانت تود أن تسمع كل كلمة كما طُلب منها، فالمطلوب منها هو أن تنقل إليه حرفيًا ما يدور من خلافات بين الزوجين .. لكنها أصابها الرعب عندما شعرت أن سيدتها قد تخرج فجأة من الغرفة لتجدها وهى تسترق السمع كعادتها مما دعاها إلى الدخول سريعًا إلى المطبخ غير عابئة بصوت غادة التى استمرت فى الصراخ:

- كيف لا يوجد لديك تلك السيولة؟ لا أدرى أين ولا كيف تقوم بصرف كل تلك الأموال التى تربحها الشركة؟

- قلت لكِ عشرات المرات أنه لا يوجد لدىَّ سيولة فى هذه الفترة لدخولى أحد المشاريع الهامة وقد أخبرتك بذلك عدة مرات خلال الأسابيع الماضية، ولم أكن أعلم أنكِ سوف تحتاجين كل هذا المبلغ لإنهاء المشفى الخاص بكِ.

- وأنا أيضًا لم أكن أعلم أن الجمارك سوف تقوم بمطالبتى بثلاثة أضعاف المبلغ المتفق عليه لاستيراد الأجهزة الطبية وقد دفعت آخر مبلغ لدىَّ الأسبوع الماضى حتى فوجئت اليوم بضرورة سفرى إلى الإسكندرية لإنهاء إجراءات استلام المعدات وكل يوم يمر على هذه المعدات داخل تلك المخازن يتضاعف المبلغ ويعرض تلك الأجهزة الحساسة للتلف ..

- ولكنه مبلغ ضخم جدًا يا غادة ..

- هذا المبلغ ضخم لأنى سوف أقوم أيضًا بدفع الجزء الأخير من أقساط التركيبات الجديدة فى المشفى قبل بداية شهر ديسمبر القادم ولا تنس أن هذه هى أول مرة أحتاج فيها إلى نقود منك، ولا تنس أيضًا أن تلك النقود التى تبخل علىّ بها هى ملكى أنا.



حاول هانى تهدئة غادة وخصوصًا حينما أتت على ذكر ملكية الأموال:

- حسنًا حسنًا دعينى أفكر كيف سأستطيع تدبير جزء من المبلغ ولكن لتعلمى أننى سوف أحاول تدبير جزء وليس كل المبلغ فقط أعطينى مهلة حتى ينتهى هذا الشهر وسوف أرى ما أستطيع تقديمه لكِ .. وأتمنى ألا تذكرينى دائمًا أن هذا من مالك فأنا أيضًا من ضاعف هذا المال من كدى وجهدى طوال السنوات الماضية..

لم تجادله هذه المرة ولكنها نظرت إليه بازدراء قبل أن تسحب حقيبة صغيرة بها بعض الملابس بعد أن أخبرته أنها ستقيم فى مشفاها لعدة أيام للإشراف على تركيب بعض الأجهزة .. وصاحت على إلهام لحملها حتى سيارتها بالخارج..

وفى طريق ذهابها للمشفى تساءلت هل يكون هانى قد صدق تلك الخدعة التى قامت بها؟ كل ما أخبرته به لم يكن له أى أساس فى حقيقة الأمر وإنما كانت مجرد خدعة منها لكى تحصل على كل ما لديه من سيولة قبل أن يقدم هو على طلاقها، وهو ما شعرت أنه سيفعله خلال أيام سيقوم بعمل ذلك بالتأكيد. فغريزتها كأنثى لا تخطئ وموقفه اليوم حين طلبت منه هذا المبلغ يدل على أنه فى طريقه بالفعل لذلك فهو لم يوافق فى بادئ الأمر على إعطائها ما لديه من مال فالمبلغ المطلوب هو كل ما لديه تقريبًا من سيولة وفى نفس الوقت لم يستطع الإفلات من السداد لذلك طلب مهلة منها فقط إلى نهاية الشهر.. فهو يدعى عدم وجود سيولة لديه حاليًا بسبب دخوله فى صفقة كبيرة ونقص السيولة لديه .. عمومًا ستنتظر حتى ترى ما سيفعله..

بدأت تفكر فيما جرت به المقادير طوال سنوات عمرها مرة أخرى، وكأنها تستلذ بعذاب نفسها السرمدى الممتد إلى ما لا نهاية .. وكيف تدهور بها الحال حتى وصلت إلى هذه الحياة الباردة، ربما كان بداخلها جزء من عذاب الضمير..

فعلى الرغم من صورة الطبيبة الملتزمة حسنة الخلق إلا أنها فى بداية زواجها كان لديها هى أيضًا ما يسليها ويشغلها عن نزوات زوجها بعد أن كان يهجرها هو الآخر بحجة سفره خارج البلاد .. مما دفعها لعمل علاقة عابرة مع زميل لها فى العمل، جمعت بينهما عدة لقاءات .. وكانت تشعر وهى معه أنها تنتقم من خيانة زوجها، كانت



تستمتع بذلك الشعور وكأنها بهذه الأوقات ترد لنفسها ما أهدره زوجها من كرامتها، ولكن بعد زواج زميلها الشاب وابتعاده عنها آثرت أن تتوقف تلك العلاقة حتى تظل صورتها كما هى ويظل القناع الذى ترتديه بريئًا نقيًا ..

ولكن لم يمنعها ذلك من محاولة الوصول إليه فى الفترة الأخيرة ومهاتفته بالرغم من أنها كانت تنقصها الشجاعة لفعل ذلك .. أيكون ما تمر به الآن عقاب على ماحدث بالماضى؟

أفاقت من شرودها على صوت رنين هاتفها المحمول لتجد على وهو يطلب منها القدوم سريعًا للمشفى لمحاسبة العمال الموجودة لأن النقود التى أعطتها له قد نفدت.. مما جعلها تتأفف فقد كانت تشعر أن هذا الأخير أيضًا يستغلها ويتعامل معها وكأنها تملك كنز من الأموال .. فقد كان يطلب منها كل فترة مبلغ كبير دون أن تحاسبه أبدًا.

****

فى تلك الأثناء كان ذلك الطبيب يجلس متوترًا بإحدى المقاهى الموجودة بالقرب من مسجد السيدة عائشة وهو ينظر لساعته للمرة العاشره خلال الربع ساعة الماضية وَهَمَّ بالانصراف حين أقبل عليه أحد الأشخاص فى بداية العقد الثانى من عمره ومعه شخص آخر يحمل ملامح قاسية والذى جلس على أول مقعد وجده موجهًا نظرة نحو الطبيب فى تحدٍّ واضح .. بينما اقترب الآخر من الطبيب المذعور وهو يبتسم ابتسامة لم ترق للطبيب أبدًا الذى بادله نظرة احتقار قائلًا فى غضب:

- آخر شىء كنت أتوقعه أن تغدربى أيها الغبى .. أبعد كل ما فعلته لك تبتزنى؟

تجاهل الآخر قول الطبيب وهو ينظر إليه باحتقار مماثل ويشير إلى الحقيبة الصغيرة التى يمسك بها الطبيب:

- أهذا كل ما طلبته منك؟

- إنك أحقر مما كنت أتخيل .. إن الكلاب التى..



قاطعه الرجل وهو يقترب منه بهدوء ودون أن يشعر أحد أخرج سكين صغير ليضعه فى ظهر الطبيب قائلًا فى هدوء:

- هيا سِبَّنِى مرة أخرى حتى لا تخرج حيًا من هذا المكان .. وأجب عن سؤالى قبل أن أصيح على زميلى لترى ما الذى سوف نفعله بك..

ازدرد الطبيب لعابه بصعوبة وتناول كوبًا من الماء كان موجودًا أمامه وهو يرتعد وبعد أن تناول ما تبقى من الكوب أخفض صوته متضرعًا وهو يناوله الحقيبة التى كان ممسكًا بها:

- أنت تعلم أنى لا أملك كل المبلغ، وأقسم لك أن هذا كل ما أملك، وهذا كل ما لدى من السيولة فى البنك .. هذا نصف ما طلبت خذه ولا تجعلنى أراك مرة أخرى..

تناول الرجل الحقيبة ليفتحها دون أن يشعر أحد ليجدها وقد أكتظت بالآلاف من الجنيهات .. فأغلق الحقيبة مرة أخرى وأشار إلى صديقه الذى كان ينتظر تلك الإشارة فاقترب سريعًا وتناول الحقيبة واختفى فورًا من المقهى .. وهو يتابعه بنظره حتى توارى ثم اقترب من الطبيب وهو يمسك ياقته فى شدة صائحًا:

- يا دكتور سمير.. يبدو أنك لا تفهمنى جيدًا .. ليس شأنى إن كان ذلك هو كل ما تملك أم لا .. أنا طلبت منك المبلغ كاملًا .. وأنت تأتينى بنصفه؟ هل تريدنى أن أغضب منك..

- وكأننى لم أعرفك قبل ذلك .. أنت مختلف عن ذلك الشخص الطيب الذى..

قاطعه قائلًا:

- صه .. ليس هذا وقت مناقشة إن كنت مختلفًا أم لا .. كل منا تأتى إليه الفرصة مرة واحدة فى عمره وأنا أريد أن أنتهز تلك الفرصة التى منحتها لى الأيام ولذلك كن على ثقة أنى لن أتردد أو حتى أعفو عنك .. ولتعلم أن أمامك حتى نهاية الشهر الحالى لتحضر لى ما طلبته منك وإلا فأنت تعلم .. من سوف يهتم بأمر بتلك



القتيلة .. زوجتك أم نقابتك أم أهل تلك المسكينة يا ... دكتور..

وقام من جواره ليترك الطبيب وهو لا يزال يرتعد ليمد يده ويتناول الكوب الذى أمامه مرة أخرى دون حتى أن يشعر أنه فارغ..

****

فى مساء تلك الليلة كان هانى يغدو جيئة وذهابًا فى الغرفة بعد أن أصبح فى منتهى التوتر منذ أن تركته غادة .. كانت بذرة الشك داخله قد بدأت تنمو وأصبحت بلا حدود .. فى بداية الأمر شعر أنها تخفى شيئًا ما عنه ولكن بعد مشادتها الأخيرة اليوم تأكد أن هناك مصيبة تلوح فى الأفق ..

أمسك هاتفه وحاول أن يهاتف صفاء التى لم تجب لعشرات المرات على اتصاله بها .. حتى أجابت أخيرًا فى الواحدة صباحًا .. ظل قرابة العشرون دقيقة محاولًا التودد إليها حتى استجابت لملاقاته غدًا فى منزلها..

أغلق الهاتف وجلس إلى كرسيه الخشبى وبدأ يفكر فى طريقة للتخلص من غادة... وللأبد...

****





(الشيطان)

حـين يحـب الرجـل امـرأة بصـدق يفعـل مـن أجلهـا أى شىء ليحتويهـا ويُغنيهـا عـن العـالم مـن حولهـا، يبنـى لهـا فى صـدره عـالم آخـر، عـالم لا تحتـاج فيـه لأحـد .. ففيـه كل مـا تحتـاج إليـه لا يـرى فى حبهـا المسـتحيل .. فهـو يعطيهـا أغـلى مـا يملـك .. قلبـه وفى ذلـك قـوة وليـس ضعـف .. ولكـن حـين يُجـرح مثـل ذلـك الرجـل فـلا شىء يقـف فى وجهـه حتـى ولـو كان قلبـه..





فى عصر اليوم التالى وبداخل فيلا نبيل جلس هانى بغرفة الاستقبال وحيدًا بعد أن استقبلته صفاء والتى أعطت لخادمتها إجازة لمدة يومان حتى يصفولها الجو مع عشيقها .. استأذنته عدة دقائق لتستبدل ملابسها .. تاركة إياه فى انتظارها.

كان هانى يدخل فيلا صفاء ونبيل للمرة الأولى فأخذ يتفرس فى تلك اللوحات والتحف التى يكتظ بها المكان من حوله .. لفت نظره وجود مجموعة صور لنبيل فى شبابه .. وأخذ يقلب فى ألبوم صور وجده على أحد الرفوف مما أثار استياء صفاء عندما دخلت عليه فجأة، وأمسكت الألبوم من يده قائلة بحدة:

- لست أدرى لماذا وافقت على استقبالك هنا فى منزلى فأنت لم تفعل شيئًا مما إتفقنا عليه بعد، ولم أكن أنوى أن...

قاطعها هانى وهو يتجاهل نظراتها الغاضبة له وهو يشير إلى مجموعة اللوحات المعلقة على الحائط قائلًا فى هدوء وكأنه يحاول أن يدير دفة الحديث:

- لم أكن أعرف أنكِ مهتمة بالفن إلى هذه الدرجة.

نجح هانى بالفعل فى إدارة دفة الحديث فقد أجابته فى لا مبالاة وهى تعيد الألبوم الذى أخذته من يده إلى مكانه:

- لست أنا من يهتم بتلك الشخابيط الغبية، ولكنه ذلك المعتوه زوجى فهو مجنون بالفنون.

ثم أردفت وهى تبتسم بسخرية:

- أتعرف أنه يدعى أنه فنان بالفطرة، كما أنه ينفق مبالغ طائلة على تلك التفاهات، ألم أقل لك أنه معتوه.

ضحك هانى وهو يردف مداعبًا لصفاء:

- نحمد الله أنه كذلك، وإلا لما كان قابلك وتزوجك.

نظرت إليه صفاء بغضب قائلة:

- ماذا تقصد أيها الغبى؟

- لا .. لا أقصد أى شىء سيء .. كنت أقصد أنه بالفعل فنان وإلا لما كان عرف قيمة جوهرة ثمينة مثلك واختارك لتكونى زوجته.

قالها وتوقف عن الضحك ليلقى بنفسه على الأريكة وقد تبدلت ملامحه والتى ظهر عليها القلق والتوتر مردفًا:

- أنا فى مشكلة كبيرة يا صفاء، ولا أعرف ماذا أفعل.

نظرت إليه صفاء وهى تجلس فى مواجهته:

- بالطبع أنت فى مشكلة وإلا لم تكن لتلجأ إلى .. منذ أن عرفتك وأنت تمر بمشكلة تلو الأخرى، وكأننا لن ننتهى أبدًا من تلك المشاكل، أخبرنى ما لديك أيها التعس..

تنهد هانى وهو يستند برأسه على يده ويتكئ على الأريكة:

- أبلغنى المحامى الخاص بى أن محامى زوجتى قد سرب إليه أنها طلبت منه إلغاء التوكيل التى قامت بعمله لى منذ سنوات .. ليس ذلك فحسب وإنما المشكلة الأكبر هو ما طلبته منى بالأمس .. فقد طلبت مبلغ كبير من أجل دفع أقساط للجمارك الخاصة بمستلزمات استوردتها لمشفاها .. لا أدرى ولكن يبدو أنها قد شعرت بوجود شىء..

هزت صفاء رأسها فى لا مبالاة قائلة:

- وماذا فى ذلك؟ ما الضير فى أن تشعر أو لا تشعر؟ ما الذى سيتغير؟

رفع هانى رأسه وهو يهتف فى توتر:

- يا ربى يا صفاء .. لقد سبق أن شرحت لكِ مرارًا وتكرارًا أن كل شىء لا يزال باسمها إلى الآن.

- وإن يكن .. فلديك ما يكفى من الأموال بالبنوك على ما أعتقد..

- المشكلة أكبر من ذلك يا حبيبتى..



- ماذا أيضًا؟ هيا أسعدنى بغبائك المستمر..

- فى بداية زواجنا تظاهرت بالشرف وقدمت لها شيكات بدون رصيد لكى تحفظ لها حقها إذا شعرت هى أو أهلها أنى قد أطمع فى أموالها لكى تظهرها لهم فى حال حدثت أى مشاكل، لكن تلك الشيطانة احتفظت بتلك الشيكات إلى الآن، ولا أدرى فى أى مكان تخفيهم، وبذلك فهى تستطيع سجنى بالفعل، ولن تتوانى عن فعل ذلك إذا كانت قد شعرت بشىء فأنا أعرفها.

- وما الذى قررته بخصوص تلك المشكلة؟

تنهد هانى وقد بدت عليه علامات الإرهاق والتوتر:

- لا زلت فى مرحلة التفكير.. ولكنى سأجد الحل لتلك المشكلة قريبًا جدًا .. ولكن أخبرينى أنتِ هل ستواجهين أية مشاكل فى الانفصال؟

مطت شفتيها فى برود واضح وهى تتراجع لتستند على المقعد:

- عن نفسى لا يوجد لدى أية مشاكل .. فأنا أستطيع الحصول على الطلاق غدًا إن شئت ..

انحنت صفاء لتتناول علبة سجائرها من على المنضدة المواجهة لها وتتناول واحدة وتضعها بين شفتيها وهى تنظر لهانى الذى أسرع بدوره ليتناول قداحته من جيبه ويشعل لها السيجارة التى نفثت دخانها من بين شفتيها لتكمل كلامها وهى تتأمل ذلك الدخان المتصاعد:

- ولكن .. أخبرنى ما الذى سيحدث لو طالبتك زوجتك بسداد قيمة الشيكات التى سبق أن وقعت عليها؟ هل ستدفع لها ما تطلبه منك؟ وحتى لو دفعت لها كل ما تملك فكيف سنعيش؟ فأنا بالطبع لن أعطى لك قرش واحد من أموالى....

قطعت حديثها لتأخذ نفسًا عميقًا من سيجارتها وهى تنحنى لتنفثه فى وجه هانى وتكمل فى خبث:

- أم أنك تطمع فى أموالى أنا الأخرى؟



هز رأسه وقد فهم ما ترمى إليه قائلًا:

- بالطبع لا يا حبيبتى .. فلتحتفظى بأموالك فلم أفلس بعد .. أنا واثق من أنها تطلب ذلك المبلغ الكبير لمعرفه رد فعلى فقط، ولكنى للأسف تسرعت وأخبرتها أنه ليس لدى أية سيولة حاليًا .. مما زاد من شكوكها بالتاكيد، المشكلة الأكبر أنه فى نفس الوقت الذى تريد فيه سحب كل ما لدىَّ من سيولة ستكون قد قامت بإلغاء التوكيل، والخطوة التالية ستكون طلب الطلاق .. أنا أعرفها جيدًا فهى عندما تخطط لشىء فإنها تقوم به على مراحل، وأول مرحلة فى خطتها هى ما بدأت به بالأمس، وقد أكد لى ذلك حديث المحامى معى صباحًا وما أخبرنى به عن ما تنتوى فعله و....

قطع هانى حديثه فجأة وكأنه تذكر شيئًا ما ثم أردف قائلًا:

- ولكن أخبرينى ما الذى يجعلك واثقة إلى هذا الحد من أن زوجك سيمنحك حريتك بمنتهى السهولة كما تخبرينى دائمًا؟

أطفأت صفاء سيجارتها وهى تتطلع إلى هانى قائلة فى هدوء:

- هو لا يستطيع أن يرفض لى أى طلب يا عزيزى .. فأنا أعلم ما يخفيه عن الآخرين .. أعلم بدايته..أتعلم أن هذا الثرى فى بداية حياته كان مزورًا؟

- نعم! ماذا تقولين زوجك أنتِ المليونير الشهير مزورًا؟

- نعم .. لقد كان أستاذ فى التزوير بدرجة لا تتخيلها .. كان يزور كل شىء وأى شىء من الممكن أن يخطر ببالك، بدءًا بتزوير المستندات وحتى البطاقات وجوازات السفر، حتى تم إلقاء القبض عليه متلبسًا ..

وقتها تم الحكم عليه بخمس سنوات ولكن بعد صدور الحكم عليه هرب بطريقةٍ ما .. وبدأ حياة مختلفة باسم مختلف مستخدمًا كل ما ربحه من الأنشطه الغير مشروعة .. فى البداية فتح مصنع صغير لمستحضرات التجميل، وبالتدريج نجح فى غسل أمواله القذرة حين كبر المصنع وحقق أرباح طائلة، وافتتح له أكثر من فرع فى أكثر من بلد وكون مجموعة شركات واحدة تلو الأخرى وهكذا .. حتى صار اسمًا معروفًا فى عالم رجال الأعمال فى الداخل والخارج..



قاطعها هانى قائلًا فى دهشة:

- وكيف عرفتِ كل هذا عنه؟

- فى أحد الأيام فى بداية زواجنا وبعد أن وقع فى حبى وأصبح لا يستطيع الحياة بدونى كان تحت تأثير الخمر ذات مره فأخبرنى بكل شىء، ليس هذا فحسب وإنما أخبرنى أيضًا باسمه الحقيقى .. هذا الاسم الذى أستطيع بمجرد التفوه به أن أدمر كل ما بناه على رأسه وأن أزج به فى السجن مرة أخرى..

- ولكن ألم تسقط العقوبة بعد كل تلك المدة، أعتقد أنه مرت مدة كافية لذلك.

- لا لم تسقط العقوبة بعد فقد علمت من أحد المحامين أن عقوبته لا تسقط إلا بعد عشرين عامًا فهى جناية، ولا تنسى أيضًا أنه قد ارتكب جريمة جديدة بعد هروبه وهى التزوير فى هويته وانتحال اسم وهوية جديدة، وفوق كل هذا لا تنس اسمه ومكانته التى صنعها فى عالم رجال الأعمال وثروته الطائلة التى كانت نتيجة لغسيل أمواله التى اكتسبها من جرائمه، كل ذلك مرهون بكلمة واحدة منى، كلمة واحدة وأنسف تلك الأسطورة وذلك الكيان الضخم، لذلك فهو يحسب لى ألف حساب، ولا يستطيع رفض ما أطلبه منه، فأنت لا تتخيل رد فعله حينما أناديه باسمه الحقيقى وقتها يتغير لونه ويكاد قلبه أن يتوقف ويصبح فى يدى كالهر المسالم الذى ينفذ كل ما أطلبه منه دون تردد..

ابتسم هانى وهو يتأملها معجبًا بذكائها:

- يا لكِ من ماكرة .. أنتِ بذلك أمَّنتِ مستقبلك وضمنتِ حصولك على الطلاق بسهولة، وليس هذا فحسب وإنما امتلكتِ بذلك السر مفاتيح تلك الإمبراطورية. .. ولكن كونى على حذر فالمسألة ليست بتلك البساطة التى تتحدثين بها، فهذا النوع من الرجال قد يكون خطيرًا جدًا حينما يتعلق الأمر بماضيه وحياته.

تعالت ضحكات صفاء وهى تقول:



- لا تقلق عليَّ فلست ساذجة فذلك المسكين كخاتم في إصبعي أخلعه وقتما أشاء فهو يعشقني لدرجة الجنون لذلك هو دائمًا ضعيف أمامي لدرجة أني أشعر أحيانًا أنني مهما فعلت به ومهما أخذت منه لن يحرك ساكنًا .. خذها مني حكمة يا عزيزي..الحب يعني ضعف .. الرجل الذي يعشق بجنون ويضعف أمام المرأة لدرجة تعميه فتنسيه كرامته ويسلم لها مقاليد الأمور ويركع أمامها لن يستقيم بعدها أبدًا مهما فعل.

عقد هاني حاجبيه وهو يتفرس ملامح وجه صفاء الذي يبدو ملائكيًا ولكنه كان يدرك أن ذلك مجرد قناع يخفي خلفه شيطانة حقيقية لا يدري كيف وقع في حبها، ولكنه حاول أن يخفي ما شعر به حين قال:

- الحب ليس ضعف يا عزيزتي، حين يحب الرجل امرأة بصدق يفعل من أجلها أي شيء ليحتويها ويغنيها عن العالم من حولها، يبني لها في صدره عالم آخر. عالم لا تحتاج فيه لأحد .. ففيه كل ما تحتاج إليه، لا يرى في حبها المستحيل .. فهو يعطيها أغلى ما يملك .. قلبه ، وذلك قوة وليس ضعف .. ولكن حين يُجرح مثل ذلك الرجل فلا شيء يقف في وجهه، حتى ولو كان قلبه فلا تستهيني أبدًا بتلك القوة الكامنة يا صفاء.

ضحكت بشدة وهي تصفق بيديها قائلة بسخرية لاذعة:

- عظيم .. أصبحت خبيرًا في الحب يا عزيزي، ولكن لا تقلق فلا يوجد من هو أعلم بالرجال مني.

قالتها وغمزت بعينيها في خبث ودلال وهي تكمل:

- وإلا لما كنت وقعت في حبي...

تراجع هاني في مقعده وهو يمط شفتيه في لامبالاة :

- فليكن .. لقد حذرتك فحسب ..

نظرت إليه صفاء وقد عادت إليها تلك اللهجة الغاضبة:



- دعك منى الآن المهم أن تفكر سريعًا فى حل يجعلك تتخلص من تلك الملعونة زوجتك وتطلقها بعد أن تحصل منها على تلك الشيكات التى تهددك بها وكذلك على أموالها لنستطيع أن نتزوج ونعيش سويًا كما وعدتنى.

نظر إليها بنظرة يملؤها الشر جعلت صفاء تشعر أنها تراه لأول مرة :

- هناك حل وحيد يدور فى رأسى منذ فترة .. ولقد فكرت فى كل الحلول الممكنة قبل أن أهتدى إليه .. ولو نفذ كما يجب ستختفى تلك الملعونة من حياتى وسنكون معًا إلى الأبد. وفى نفس الوقت سأحظى بكل أموالها التى ستكون لى بلا منازع.

اقتربت صفاء منه وقد فهمت ما يرمى إليه، فنظرت فى عينيه مباشرة بذهول هامسة وكأنها تخشى أن يسمعهم أحد:

- ماذا تقصد؟ أظنك لا تقصد ما ورد ببالى الآن؟ لا يمكن..أتكون قد فكرت فى....

لم تستطع صفاء إكمال جملتها من فرط انفعالها، ولكن هانى أومأ برأسه ليؤكد لها ما يدور برأسها قائلًا:

- فلتسمعينى جيدًا يا حبيبتى .. فلا يوجد أمامنا إلا هذا الحل وهو...

قاطعته صفاء وهى تضع يديها على أذنيها صارخة فى غضب:

- أصمت .. لا أريد أن أسمع هذا الهراء الذى تتفوه به .. مستحيل أن تكون جديًا فى قولك هذا..

أمسك بيديها قائلًا فى عصبية :

- لا .. ستسمعين .. لا يوجد أمامنا إلا هذا الحل .. فهو الحل الوحيد الذى لن يجعلنى أخسرك وفى نفس الوقت لا أخسر أموال غادة .. إذا ماتت غادة سأرث كل ما تملك .. موتها هو ما سيضمن لى الحصول على كل شىء .. لن نحتاج للانتظار أكثر حتى نكون سويًا، لكنى أحتاج إلى الجرأة كى أنفذه..

- أصمت .. لا تكمل .. لا أريد أن أسمع شيئًا..



- ألا تريدين أن نبقى سويًا، أن نتمتع معًا بتلك الثروة .. هذه الثروة من حقنا يا صفاء .. هذا هو الحل الوحيد صدقينى؟

حررت صفاء يديها من بين يديه فى عنف وهى تنهض لتصرخ فيه غاضبة:

- هل حدث شيء لعقلك أيها الغبى؟ هذا الحل الذى تتحدث عنه سيؤدى بنا إلى حبل المشنقة .. وأنا أردت أن نتزوج لا أن نُعدم معًا..

نهض هانى بدوره ليربت على كتفها ويدير وجهها ناحيته محاولًا تهدئتها:

- ومن قال أنى سأشركك فى هذا؟ فستبقين أنتِ بعيدة كل البعد عن الموضوع وأنا أيضًا سأكون بعيدًا عنه .. فأنا لن أعرضك أبدًا لأية أخطار. فأنتِ حبيبتى، أنصتى إلى جيدًا .. فلتبدأى من الغد فى طلب الطلاق أما أنا فسوف أرتب كل شيء لنكون سويًا للأبد يا عمرى..

قالها هانى وعقله ينطلق ليضع خطة لتنفيذ ذلك الحل الشيطانى الذى توصل إليه..

خطة قتل غادة....

****

بعد عدة أيام كان على لا يزال منهمكًا فى مساعدة العمال فى تركيب بعض المعدات فى المشفى، إلا أن ذلك لم يجعل عقله يتوقف عن التفكير..فقد كان لا يزال يفكر فيما سمعه من الحديث الذى دار بين الطبيبة وذلك الزائر الغامض والذى اكتشف أنه رجل الأعمال نبيل علام زوج المرأة التى يخونها هانى معها..

كان يفكر كيف ينتهز تلك الفرصة بشكلٍ ما .. كل ما كان يريده كعادته هو المال .. والمال فقط .. لم يرفيما يحدث إلا فرصة ذهبية لربح الكثير من المال ليترك البلد نهائيًا، حتى أمه ووالده العجوز لم يكن يهمه أمرهما فوالده دائمًا يرضى بذلك الفتات الذى تجود به غادة عليه ومن قبلها أبيها ذلك الطبيب المحتال الذى قضى حياته فى خدمته وفى خدمة ابنته من بعده .. كان قد قرر ماذا سيفعل وكيف سيستغل تلك



الفرصة؟ لم يكن ينقصه إلا التخطيط جيدًا للأمر حتى يحصل على ما يريد...

فمثل تلك الفرصة قد لا تسمح بها الظروف مرة أخرى..

****

فى مساء تلك الليلة كان نبيل مستلقى على فراشه بجوار زوجته متظاهرًا بالنوم، ولكن أفكارًا كثيرة كانت تتصارع فى رأسه فهو قد تأكد فعلًا أن لزوجته علاقة بزوج الطبيبة .. فقد كان يراقبهما جيدًا بعد أن نجح فى إيهامها بسفره .. كانت صدمته شديدة عندما رآها تستقبل هانى فى فيلته لتقيم معه علاقة .. وأين؟ على فراشه؟ كان من الممكن أن ينتقم وقتها ويقتل الإثنان ولن يصيبه أى مكروه .. ولكنه لم يفعل لخوفه من الفضيحة ومحاولته الابتعاد عن الشرطه بأى شكل حتى لا يلفت الأنظار إلى ماضيه..

تحامل على نفسه وتريث حتى يكون انتقامه أشد .. ليجعلها تتذلل تحت قدميه .. كان الألم يعتصر قلبه بشدة .. لو أنها طعنته ألف طعنة لما شعر بمثل ذلك الألم الذى يشعر به .. وما زاد من ألمه هو أنه مضطر أن يتظاهر بالعكس حتى ينتقم منهما .. كان يفكر فى ذلك منذ فترة أنها قد بدأت تتحول تدريجيًا إلى كابوس عمرة بعد أن أصبحت تشكل تهديدًا له .. فهى دائمًا ما تذكره بماضيه من أجل أن يحقق لها ما تريد بالرغم من أنه أعطاها ما لم تكن تطمح إليه حتى فى أحلامها .. كان يفعل لها ما تتمناه أى امرأة قبل حتى أن تحلم به .. لم يبخل عليها بشىء ولكنها تمادت .. ظنت أن صبره عليها وتلبيته لطلباتها هو ضعف منه، ولكنها لم تدرك الحقيقة فهى لم تروجهه الحقيقى أبدًا، وقد حان الوقت لذلك..

كان عقله وقلبه فى صراع دائم من أجلها .. عقله يريد التخلص من ذلك الخطر الذى تشكله عليه وخصوصًا حينما زاد جشعها ونهمها للمال بعد أن عرفت عنه كل شىء، أما قلبه فقد كان ينبض من أجلها فقط، بالرغم من أنه لم يسمح لامرأة قبلها أن تسكن قلبه فقد كان يعلم أن ما وصل إليه كان الفضل الأول فيه يعود إلى أنه لم يسمح لمشاعره يومًا أن تتحكم فيه.



أما الآن فقد حسم أمره ولم يعد لديه مجال للتراجع، يجب التخلص من تلك الخائنة، ولكن كيف؟ لطالما كانت تنقصه الجرأة فى تنفيذ ذلك .. فبالرغم من أنه قد أتيحت له العديد من الفرص من قبل للتخلص منها لكن الشجاعة كانت تنقصه دائمًا أما الآن فلن يسمح لذلك الكابوس أن يطبق على أنفاسه للأبد..

ظل على حالته تلك لأكثر من ساعة .. شعر بأنها تنهض لتجلس على الفراش بجواره.. نادت عليه هامسة لكنه لم يجب واستمر فى التظاهر بالنوم .. عادت لتهمس باسمه مرة أخرى ولكنه لم يتحرك .. شعر بها و هى تنسل من جواره لتتسلل على أطراف أصابعها .. ثم توقفت قبل أن تخرج من باب الغرفة لتلقى نظرة أخرى عليه لتتأكد من أنه لا يزال نائمًا، ولما تأكدت من نومه خرجت بهدوء من الغرفة .. تاركة هاتفها المحمول بجواره متصل بالتيار الكهربائى .. لم تكد تغادر الغرفة حتى نهض ليتبعها فهو يشعر أن هناك شيئًا ما تخفيه وإلا لما كانت تسللت بتلك الطريقة ..

كانت تتحرك بخفة بقدميها العاريتين وهى تهبط درجات السلم فى طريقها لغرفة المكتب .. ونبيل يتابعها بخفة ليجدها مستغرقة فى حديث تليفونى هامس داخل غرفة المكتب ..

صعد سريعًا إلى غرفة النوم المجاورة .. ورفع سماعة الهاتف بحرص حتى لا تشعر وضغط على زر التسجيل الموجود به .. لا يدرى ما الذى دفعه لفعل ذلك وكأن قلبه كان يحدثه بأنه سوف يسمع ما لم يكن يتوقعه وما سيفسد كل ما خطط له.

كان صوتها مرتجفًا متهدجًا رغمًا عنها وهى تهمس قائلة:

- لقد أخبرتك من قبل يا هانى ليس لى أى شأن بهذا الموضوع، افعل ما شئت ولكن بعيدًا عنى .. أسمعت؟

- إفهمينى من فضلك يا صفاء .. لقد اهتديت أخيرًا إلى خطة .. طوال الأسبوع الماضى وأنا أفكر حتى اهتديت أخيرًا إلى خطة عبقرية .. طريقة ستجعلنا بعيدين تمامًا عن أية شبهات ففى أول الشهر سوف تذهب غادة فى رحلتها المعتادة إلى الإسكندرية



وسوف يتم تنفيذ الخطة فى شقتنا هناك بدافع السرقة .. فى الوقت الذى سأكون فيه أنا بالقاهرة وسط اجتماعاتى المستمرة بالشركة لانشغالى بالمشروع الجديد.

- لست أفهم من حديثك شىء..

- ماذا حل بكِ اليوم يا صفاء؟ الخطة فى غاية البساطة فقبل سفرها إلى الإسكندرية مباشرة سوف أذهب إلى البنك لكى أسحب جزء كبير من رصيدى لأعطيها كل ما أرادته منى وسيكون ذلك أمام شهود بالطبع و بالتأكيد سوف تذهب بهذه الحقيبة الممتلئة بالنقود إلى الإسكندرية وسأخبرها أنى سألحق بها خلال يومين بعد انتهائى من الصفقة لنحتفل سويًا بها.

- وما هى العبقرية فى ذلك أيها الذكى .. فكيف ستتخلص منها؟

- أخبرتك أنه لن يكون لى أى علاقة بما سيحدث فالقاتل هو الذى سيدخل عليها المنزل ويقضى عليها بدافع السرقة ويقوم بالفعل بسرقة الحقيبة ويهرب بعدها.

- ومن الذى تثق به ليقوم بكل ذلك دون أن يشكل لنا تهديدًا فيما بعد لا تنس أنه سيكون لديه النقود بعد سرقتها فما الذى سيضمن أن يعيدها لك بعد انتهاءه من مهمته؟

- لست أدرى يا حبيبتى، حقيقة لست أدرى .. فأنا أحاول أن أجد شخصًا أستطيع الثقة فيه والوقت ليس فى صالحى.

ارتجف صوتها أكثروهى تهمس بصورة أقرب إلى التوسل:

- أنصِت إلى يا حبيبى .. فأنا لا أحتمل خسارتك أو ابتعادك عنى .. إنها ليست خطة عبقرية أو حتى مُحكمة .. ولا أعتقد أن تنفيذها بالسهولة التى تتوقعها، كما أنك ستكون أول المشتبه بهم .. فلا أحد سيكون له مصلحة فى التخلص من غادة إلا أنت .. ولا يوجد من لديه الدافع لقتلها أكثر منك فأنت أكثر شخص سيستفيد من موتها، بالله عليك يا هانى .. بالتأكيد هناك حل آخر سنفكر فيه سويًا ولكن ليس القتل.

- حبيبتى .. أعلم أنكِ تقولين ذلك بدافع الخوف ولكن ثقى بى، فقد



خططت للأمر جيدًا، وأنتِ لم تعلمى تفاصيل خطتى كاملة بعد سأشرح لكِ كل شىء بالتفصيل.. اسمعينى جيدًا، فأنا.....

أغلق نبيل سماعة الهاتف بحذر مكتفيًا بما سمعه، وهو فى حالة ذهول من كل ما سمعه والذى قادته إليه الصدفة .. إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يخرج شريط التسجيل الصغير ويدسه فى جيبه ليستلقى فى سريره سريعًا قبل أن تعود صفاء..

كان لهذا الشريط مفعول السحر لعقله الذى كان يعمل بصورة سريعة جدًا .. فالحل الذى كان يبحث عنه ويفكر به قد بدأ يتبلور فى ذهنه رويدًا رويدًا مما جعله يبتسم وهو يتحسس ذلك الشريط القابع فى جيبه ..

فذلك الشريط هو ما سيجعله يبادر فى تنفيذ ما خطط له منذ فترة بأسرع ما يمكن .. ولكنه كان يحتاج إلى شخص آخر لتكتمل الخطة .. تُرى من ذلك الشخص الذى تعتمد عليه خطته؟ من؟

قطع أفكاره دخول صفاء للغرفة وهى تنظر إليه لتتأكد من أنه لا يزال نائمًا و تتسلل إلى جواره فى هدوء وهى تتنفس الصعداء .. أما هو فلأول مرة منذ فترة ذهب فى سُبَاتٍ عميق..

****

فى صباح اليوم التالى وداخل غرفة نبيل الذى وقف أمام نافذة مكتبه بالمصنع يتطلع من خلالها فى شرود وهو يمسك بذلك الشريط الصغير الذى استمع إليه أكثر من مرة .. كان ما سمعه لا يكفى كدليل حاسم فى اتهام زوجته أو عشيقها بالتخطيط والاشتراك فى جريمة قتل .. فهو يعلم جيدًا بحكم خبرته فى عالم الجريمة أن هذا التسجيل ليس له أية قيمة من الناحية القانونية لأنه تم تسجيله دون الحصول على إذن نيابة ..

ولكنه احتفظ به لأنه يريده لتنفيذ تلك الخطة الشيطانية التى اكتملت فى رأسه .. فذلك الشريط يجب أن يسمعه شخص آخر.. لذلك استقر رأيه أن يعطى ذلك



الشريط لمن يحتاجه أكثر الآن ..

أفاق نبيل من شروده وهو يلتفت ليرفع سماعة الهاتف الداخلى ويستدعى سكرتيره الخاص والذى لم تمر دقائق حتى كان يقف أمامه فبادره قائلًا:

- فؤاد .. أرجو أن تحول كافة الأوراق الهامة والتى تستدعى إطلاعى عليها إلى الأستاذ محمد حسن خلال الأيام القادمة .. فهو من سيباشر أعمال المصنع فى غيابى وسيقوم بالتوقيعات على الأوراق التى تحتاج توقيعى.

- خيريا سيدى .. هل حدث شىء؟ أأنت بخير؟

- لا أعرف يا فؤاد .. ولكنى أشعر منذ فترة أن صحتى ليست على ما يرام حاولت تجاهل ذلك ولكن الأمر يزداد سوءًا، لذلك سأتغيب عن العمل قليلًا لأسافر فى رحلة علاجية فى أحد المصحات خارج البلاد ريثما أسترد عافيتى.

- فى حفظ الله يا سيدى .. أثق بأنك ستعود لنا قريبًا جدًا بأتم صحة وعافية أنت بالفعل بحاجة للراحة .. فأنت تجهد نفسك فى العمل كثيرًا ولَكم ألححت عليك لتهتم بصحتك ولكن الحمد لله أنك قد أصغيت لى أخيرًا.

كان نبيل يستند على حافة النافذة منشغلًا فى البحث فى هاتفه عن اسمٍ ما ولكنه قال بهدوء دون أن يرفع عينيه عن الهاتف:

- أحمد الله أنى اهتديت لهذا الحل أخيرًا يا فؤاد .. فمنذ فترة طويلة وأنا أريد القيام بهذه الخطوة .. ولكن التنفيذ .. التنفيذ يحتاج إلى عزيمة قوية..

- لا تقلق يا سيدى كل شى سيكون على ما يرام.

توقف نظر نبيل عند أحد الأسماء التى تظهر على هاتفه وقد وجد ما يبحث عنه فأردف فى شرود:

- أتمنى ذلك يا فؤاد .. لا أحد يعلم كم أتمنى ذلك .. أتمنى أن أتخلص من خطأ عمرى الذى أدفع ثمنه إلى الآن، وسأدفع ثمنه فى كل يوم تبقى لى فى هذه الحياة.

عقد فؤاء حاجبيه وهو يتساءل عما يقصده نبيل قائلًا:



- لا أفهمك جيدًا يا أستاذ نبيل هل هناك مشكلة ما؟

انتبه نبيل من شروده، فرفع رأسه لفؤاد قائلًا بابتسامة مصطنعة:

- لا..لا .. إنه القلق والتوتر فحسب يا فؤاد فأنت تعلم كم أمقت الحقن والأدوية وجو الأطباء والمشافى.

- عافاك الله يا سيدى .. لا تقلق كل شىء سيسير على ما يرام، المهم هو عودتك إلينا سالمًا فى أقرب وقت.

قالها واستأذن ليخرج من المكتب تاركًا نبيل الذى جلس إلى مكتبه ليسحب أحد الأدراج ويمد يده داخله ليخرج ملفًا ما. تناول منه صورة ونظر إلى صاحبها مليًا وهو يهمس وكأنه يحدثه:

- آن الأوان لكى تستطيع أنت أن تفعل ما أعجز أنا عن فعله.

****

مساء اليوم التالى كان أحد الأشخاص يجلس فى العيادة الخاصة بغادة فى انتظارها .. فقد كان يريد مقابلة شخصية معها لذلك أخبره «على» أن ينتظر حتى ينصرف جميع المرضى وتنتهى غادة من عملها ..

كان شابًا فى أوائل الأربعينات .. طويل بدرجة ملحوظة .. قوى البنية وكأنه ملاكم ويرتدى نظارة طبية .. له شارب وذقن خفيفين قد أمعن فى تهذيبهما لم ينبس ببنت شفة طوال الأربع ساعات التى قضاها منتظرًا، ينظر إلى شاشة التلفاز الموجودة بأعلى الردهة، وبالرغم من محاولات على للثرثرة معه ولكنه استمر على صمته، حتى سمح له أخيرًا بالدخول إلى غادة..

كان على قد حضر مستاءًا اليوم بدلًا من والده الذى أصابته نوبة الكلى التى تنتابه كل فترة مما دعاه للإلحاح على ابنه للذهاب بدلًا منه إلى العيادة .. كان على يشعر من داخله أن هذا الرجل الغامض يخفى شيئًا ما لذا حاول أن يقترب من باب الغرفة حتى يستمع إلى كل ما يدور بالداخل..



مرت نصف ساعة على لقاء أحمد مع غادة والتى لم تتمالك نفسها من البكاء والنحيب بعد أن استمعت إلى الشريط الذى قدمه لها ..

إحساس قاسٍ ذلك الذى اعتصر قلبها .. شعرت وكأنها قد تلقت طعنة غدر قاسية أصابتها فى الصميم، لم تصدق أذنيها وهى تستمع إلى حبيبها وزوجها ذلك الذى عادت أسرتها وحاربت الجميع من أجله، ذلك الذى وقفت من أجله فى وجه أبيها لتتزوجه مما أدى لوفاته حزنًا وقهرًا، زوجها الذى منحته كل شىء .. المال والمكانة الاجتماعية والعلاقات .. ذلك الذى غفرت له كل ذلاته وهفواته واحتملت إهماله لها، زوجها الذى لم يكتفِ بخيانتها فراح يتآمر مع عشيقته لقتلها .. انهمرت الدموع من عينى غادة وكأنها دماء قلبها الذى شعرت وكأنه ينزف آخر ما تبقى من مشاعر كانت تكنها يومًا لذلك الخائن ..

رفعت رأسها لتنظر من بين دموعها إلى محدثها الجالس أمامها فى برود دون أن تؤثر فيه تلك الدموع، ما زالت عاجزة عن استيعاب ما سمعته .. حاولت أن تهدأ وتتمالك نفسها وتجفف دموعها وهى تتفرس فى ملامحه قائلة:

- ألا يمكن أن نُسلم هذا الشريط إلى الشرطة؟ أعتقد أن هذا دليل دامغ على قيامه هو وعشيقته بالتخطيط لمحاولة قتلى وهو ما يكفى لإلقائهما فى السجن.

مط أحمد شفتيه قائلًا فى هدوء:

- لا يا سيدتى .. فلو أراد السيد نبيل فعل ذلك لفعل .. ولكنه طلب منى فقط أن أقوم بتسليمك هذا الشريط مع رسالة خاصة إليكِ طلب منى إعطاءك إياها بمجرد أن تهدأى وتعودى إلى حالتكِ الطبيعية حتى تستطيعين التفكير بهدوء .. فقد كان متوقعًا ما أصابك من صدمة بمجرد أن تستمعين إلى تلك المحادثة..

قالها وتناول كوبًا من الماء كان موضوعًا على المكتب أمام غادة وناولها إياه لترتشف منه بضع رشفات وتهدأ قليلًا ليكمل:

- أخبرينى .. أتشعرين أنكِ أفضل الآن أم أطلب لكِ كوبًا من الليمون؟



رفعت غادة رأسها وقد توقفت عن البكاء وهدأت قليلًا محاولة تمالك نفسها وقالت وهى تعدل من جلستها:

- لا .. لا .. لقد أصبحت بخير الآن .. اعذرنى فأنا لم أُحضِر لك شيئًا لتشربه إلى الآن.

قالتها وضغطت على الزر الخاص لاستدعاء على الذى انتفض على صوت الجرس فجأة فانتظر قليلًا ثم دلف إلى الداخل لتطلب منه كوبين من الليمون، والذى ذهب ليعدهما حين أردف أحمد قائلًا:

- هل تشعرين بالتحسن الآن؟

- لا ليس بعد .. شكرًا لك .. ولكن أين الرسالة التى بعث لى بها السيد نبيل معك ؟

وضع أحمد يده داخل جيبه الداخلى بهدوء ليُخرج مظروفًا أبيض اللون مغلقًا ويعطيه إلى غادة التى تناولته بلهفة وهى تفتحه بسرعة لتُخرج ورقة كُتب عليها عدة أسطر:

(عزيزتى د/ غادة .. فى لقائنا السابق قلتِ لى كلمة هى وصف دقيق لحالتنا معًا، ولم أفهمها إلا مؤخرًا للأسف..

أتتذكرين عندما قلتِ لى أننا الآن فى قارب واحد .. كان عندك حق .. نعم نحن الآن فى قارب واحد فى أبعد نقطة عن اليابسة .. فى قارب واحد وسط العواصف والأمواج العاتية .. وإذا لم نتحد سويًا سيغرق القارب بنا نحن الإثنين .. فإذا كان دورك الآن ليتخلصوا منكِ بهذه الطريقة الدنيئة والتى لم يراعى فيها زوجك حبك له ولا أية تضحيات قمتِ بها من أجله، فسوف يكون الدور القادم علىّ أنا شخصيًا..

عزيزتى غادة .. أعتذر إليكِ على عدم تصديقى إياكِ جديًا فى بداية الأمر عندما حاولتِ أن تخبرينى بحقيقة هذين الحقيرين .. ولهذا لم أستطع المجىء إليكِ والوقوف أمامك مرة أخرى .. أولًا لخجلى منكِ، وثانيًا لتنفيذ مخطط آخر وهذا هو كل ما أستطيع إخبارك به الآن .. ولهذا لن أستطيع مقابلتك حتى نتم ما سوف نبدأه..



هذا الشريط الذى سجلته عن طريق الصدفة .. تلك الصدفة التى جعلتنى أستمع لهذا الحوار الذى دار بينهما وأقوم بتسجيل كل كلمة .. ولتعلمى أن هذا التسجيل لا يعد دليلًا ضدهما فلن يعترف به القضاء لأسباب قانونية .. ولن نستفيد من إظهاره شىء وسينجو الخائنان بفعلتهما .. لذلك سوف نكون نحن القضاة فى قضيتنا هذه .. سوف ننتقم منهم على طريقتى ودون إسالة قطرة دماء واحدة .. وأنا وأنت سنكون بعيدين تمامًا عن أية شبهات .. كل ما أطلبه منكِ هو أن تتصرفى بشكل عادى ولتتظاهرى أنكِ لم تعلمى شيئًا حتى يكمل هو ما خطط له .. وفى اليوم الأخير قبل ذهابك إلى الإسكندرية سوف أُخبرك بتفاصيل أخرى سأكشفها لكِ فى حينها .. وذلك حتى لا يظهر عليكِ أى بادرة شك قد يشعر بها فيغير كل ما خطط له، ويضيع ما فعلناه سدى..

إفعلى ما طلبته منكِ وثقى تمامًا أننى سأكون دائمًا بجانبك، ولكننا لن نلتقى كما قلت لك حتى نُتم ما بدأناه .. كل ما أريده منكِ فى هذه المرحلة هى المساعدة بكل الطرق فى إلحاق هذا الشخص الجالس أمامك ليعمل لدى زوجك بأى شكل وبأية صورة، حتى يتقرب منه ويكون عيننا عليه .. هذا الرجل اسمه أحمد عواد، أنقذت حياته ذات مرة .. وأثق بإخلاصه فهو على استعداد أن يضحى بحياته من أجلى ليرد إلى ولو جزء صغير مما يدين به لى من المعروف الذى صنعته له يومًا ما .. ثقى فيه تمامًا وسوف أخبرك بالمستجدات أولًا بأول عن طريقه لأنى لن أتصل بِكِ، فلا يجب أن يعرف أحد بمعرفتنا ولا بكوننا على اتصال حتى لا يفشل ما نخطط له، وسيكون الإتصال بيننا عن طريق أحمد فقط .. فأبلغيه أية رسائل تودين إرسالها لى..

وأخيرًا أُنهى كلامى إليكِ بالاعتذار مرة ثانية .. ولا تنسى أننا شخصان يجلسان على حافتى قارب واحد، كل شخص باتجاه فإذا قفز أحدهما قبل الآخر فسينقلب القارب بالآخر، لذلك تريثى ونفذى الخطة بالضبط كما اتفقنا عليها، حتى ينال هؤلاء الخونة ما يستحقونه من جزاء، فهذا وحده هو ما سيطفئ تلك النار المستعرة فى صدورنا ..

(المخلص نبيل علام)



طوت غادة الورقة ووضعتها فى المظروف مرة أخرى وعندئذ امتدت يد أحمد ليأخذ المظروف من يدها وكذلك الشريط الذى أخرجه من جهاز التسجيل واضعًا إياهم فى جيبه الداخلى وسط دهشة غادة التى نظرت إليه باستنكار فبادرها قائلًا:

- أول قاعدة يا دكتورة لا تتركى أى دليل قد يدينك يومًا..

- ولكن هذا الخطاب والشريط؟

قاطعها بهدوء قائلًا:

- فقط ضعى ثقتك فىَّ يا سيدتى .. كما قرأتِ الآن.

تأملته غادة لبرهة وهى تدير الأمر بالكامل فى رأسها .. فلم يكن أمامها حل آخر سوى أن تستجيب لما طلبه منها نبيل. فهى لم يعد يهمها سوى شىء واحد..

الانتقام .. وبأية وسيلة

****



(العودة)

قد يكذب فى المرء كل شىء إلا عيناه فهى الوحيدة التى لا تستطيع الكذب لأنها مرآة النفس والقلب .. فيها تظهر كل المشاعر بوضوح .. الحب .. الكراهية.. الخير .. الشر .. الغضب، حتى الغدر والخيانة، ولكننا نحن من نخدع أنفسنا من أجل أن نعيش لحظات سعادة وهمية نسرقها من واقعنا الذى نرفضه.





لم تهدأ غادة طوال الأيام التالية لمقابلتها مع أحمد والرسالة التى حملها إليها من نبيل وظلت تفكر فى وسيلة ما لإلحاقه بالعمل بالقرب من زوجها ولكنها كانت تخشى إن تدخلت بشكل مباشر لتطلب من هانى تعيينه لديه أن يرتاب فى الأمر..

ظلت تفكر فى الأمر حتى اهتدت أخيرًا إلى طريقة .. فحاولت الاتصال بأخيها أكرم الذى يعيش بالإسكندرية .. فأكرم هو الشقيق الأصغر لها والذى كان دائمًا ما يعاملها على أنها والدته وليست أخته، فقد كانت غادة ترعاه وتهتم به دائمًا منذ صغرهما كما لو كان ابنًا لها، ولذلك ظل قريبًا من غادة حتى تزوج وأقام بالإسكندرية ولكنه لم ينقطع عن زيارتها دومًا عند وصوله للقاهرة لإنهاء بعض الأعمال أو عندما تأتى هى إلى الإسكندرية وغالبًا ما كان يقضى معها عدة أيام..

كان أكرم قد وصل لتوه من باريس بعد أن أنهى بها بعض الأعمال .. عندما اتصلت به غادة لتطلب منه أن يتوسط عند زوجها لتشغيل أحمد كسائق باعتباره أحد أبناء العاملين لديه فى القاهرة .. وعلى الرغم من اندهاشه من طلب غادة الذى بررته بأنها لا تريد التدخل فى الأمر لأسباب خاصة بها .. وبالرغم من عدم اقتناعه إلا أن أكرم وافق ووعدها أن يتحدث مع زوجها فى أقرب وقت..

لم يمض يومان حتى اتصل أكرم بهانى، الذى اندهش من طلب أكرم لأنه لم يسبق له أن طلب منه شيئًا منذ زواجه بغادة، وخاصة بعد إلحاحه وطلبه لتعيين هذا الشخص كسائق لديه، وزاد شك هانى حينما أخبره أكرم بدون قصد أنه قد أخبر غادة من قبل ولكنها رفضت..

لم يكن هانى يستطيع أن يرفض طلب أكرم حتى لا يثير أية شكوك فى تلك المرحلة .. لذلك اضطر لقبول طلبه ووعده بتعيين هذا الشخص لديه، وطلب منه أن يرسله إليه فى اليوم التالى..

أنهى هانى الاتصال مع أكرم وقد نما بداخله الشك فقد شعر أن كل ذلك من تخطيط غادة التى تريد إلحاق أحدهم بالعمل لديه ليتلصص عليه ولمعرفة أين يذهب ومن يقابل وأين يتأخر.. شعر بالارتباك فى بداية الأمر فهذا من شأنه أن يفسد



عليه ما خطط لجريمته ولكن بعد فترة من التفكير أدرك أن وضع غادة لشخص يراقبه ويتلصص عليه يعنى أنها لم تتأكد من شىء بعد وإنما هو مجرد شك يراودها كعادتها لذلك فأفضل شىء ممكن أن يفعله هو أن يُعين هذا الشخص كسائق عنده كما طلب أكرم حتى يكون قريبًا منه ليكون على دراية بمن يراقبه وحتى يستطيع توصيل ما يريده لغادة حتى تطمئن مما يسهل عليه تنفيذ خطته ..

فى تلك الليلة كان يشعر أن غادة تتودد إليه بصورة جعلته يُجزم أنها على علم بكل شىء .. فقد كانت تحدثه عن ماضيهم وكيف بدأ حبهم منذ سنوات .. وكيف وقفت أمام أهلها؟ وكيف صعدا سويًا حتى وصلا إلى تلك المكانة؟ ذكّرته كيف أنهم رفضوا إنجاب طفل حتى تتحقق أحلامهم وطموحاتهم؟ وكم طلبت منه إنجاب طفل بعد أن وصلا لتلك المكانة إلا أنه كان يتحجج بأن أمامهم عمرًا بأكمله فالمهم هو أن يصنعوا مستقبلهم أولًا..

أما غادة فقد كانت تحاول أن تتقرب إليه وتذكره بأجمل ذكرياتهم معًا، كانت تحاول أن ترقق قلبه لعله يشعر بالندم ويعود لينبض مرة أخرى من أجلها .. كانت فكرة خيانته وفراقه تقتلها .. فهو حب عمرها الذى ناضلت من أجله، ولكن دون جدوى فهو لم يحبها قط وإنما أحب مالها فقط، قرأت ذلك لأول مرة فى عينيه .. وكأنها تراهم لأول مرة .. لقد كانوا هكذا منذ البداية .. ولكن عينيها هى التى كانت مغطاة بتلك الغمامة المسماة بالحب..

قد يكذب المرء فى كل شىء إلا عيناه فهى الوحيدة التى لا تستطيع الكذب لأنها مرآة النفس والقلب .. فيها تظهر كل المشاعر بوضوح .. الحب .. الكراهية .. الخير .. الشر.. الغضب .. حتى الغدروالخيانة .. ولكننا نحن من نخدع أنفسنا من أجل أن نعيش لحظات سعادة وهمية نسرقها من واقعنا الذى نرفضه.

لم تشعر فى حياتها بذل أو إهانة مثلما كانت تشعر به الآن .. فبالرغم من أنه حاول بدوره أن يُشعرها بالحب، ولكنها كانت ترى فى عينيه الحقيقة لقد فات الأوان للتراجع، لم يكن هناك جدوى لأى محاولة لإحياء ذلك الحب الذى كان بينهما، فالحقيقة هى أنه لم يكن موجودًا أصلًا ..



كانت تود لو عاد بها الزمن لتفهم ما فهمته الآن .. ولكن الوقت قد فات، ولم يعد أمامها سوى أن تمضى فى خطتها ..

أو بمعنى أدق خطة نبيل ..

****

بعد خمسة أيام كان أحمد عواد قد أصبح السائق الخاص بهانى .. بعد مقابلته له فى الشركه منذ ثلاثه أيام ..

فى هذا اللقاء حاول هانى استدراج أحمد للحديث عن ماضيه أو عن كيفية معرفته بأكرم .. كان يريد أية معلومات عنه تؤكد أو تنفى تلك الشكوك التى تساوره تجاهه .. لكن كل ما أخبره به أنه كان يعمل سائقًا بإحدى الشركات ولكن الشركة التى كان يعمل بها قد بدأت منذ فترة فى تقليص حجم العمالة لديها نتيجة لخسائرها، فكان هو من ضمن العمال الذين قررت الشركة الاستغناء عنهم .. وأخبره أن مديره السابق كان على معرفة بالسيد أكرم، وهو من توسط لديه لإلحاقه بالعمل فى القاهرة.

هبط هانى من سيارته متجهًا إلى شركته وهو ينظر بطرف خفى إلى أحمد الذى ظل جالسًا ببرود خلف عجلة القيادة، الأمر الذى جعله يشعر أن تصرفاته ليست كتصرفات السائقين الآخرين .. مما جعله يرتاب فى تصرفاته .. كان هانى يشعر أنه مراقب فى أغلب الوقت وأن كل تحركاته تصل حرفيًا إلى زوجته، ولذلك كان يتظاهر بالبراءة أمام أحمد حتى أنه بالأمس كان قد طلب منه إيقاف السيارة أمام أحد المساجد لأداء صلاة المغرب.

ولكنه عندما دلف إلى مكتبه هذا الصباح وجد صفاء فى انتظاره .. انتابه الفزع بمجرد رؤيتها مما جعله يهرول خارج الغرفة ليطلب من سكرتيره عدم دخول أى شخص أيًا كان حتى لو كان السائق الخاص به .. كان يتلفت حوله فقد كان يخشى أن يراها أحمد ويذهب ليخبر غادة فيضيع كل ما خطط له..

عاد إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب خلفه بسرعة قائلًا لها فى عصبية واضحة:



- ما الذى أتى بكِ الآن؟، ألم أنبه عليكِ أن...

قاطعته صفاء صارخة فى غضب:

- لماذا ترتجف هكذا؟ أرأيت شبحًا؟ أم أن الرعب من تلك الملعونة جعلك تتلفت ورائك؟ أهكذا يكون استقبالك فى أول مرة أزورك فى مكتبك؟ ثم لماذا تهرب من الحديث معى ولا ترد على هاتفك؟ لقد اتصلت بك عشرات المرات ولكنك لم تجب؟ ألا تريد أن ترانى؟ ألم تشتَق لى؟

ارتمى هانى على أحد المقاعد وهو يزفر من شدة التوتر قائلًا:

- الأمر ليس كذلك يا صفاء .. ولكنى أخبرتك من قبل أنى مُراقب من هذا السائق اللعين طوال الوقت .. وأخشى أن يرانا أحد سويًا وينتقل الخبر إلى غادة فيضيع ما خططنا له..

تبدلت لهجة صفاء وهى تجلس فى مواجهته وتردف فى توتر:

- مُراقب؟ إذن الأمر جديًا كما أخبرتنى هاتفيًا؟ لماذا إذن لا تقوم بطرده وتتخلص من ذلك الكابوس بدلًا من فزعك المستمر طوال الوقت؟

- لقد وافقت على تعيينه بعد إلحاح أخيها لتعيينه بأى وظيفة .. بالرغم من علمى بأن غادة وراء هذا الطلب وهذا الإلحاح.

- ولماذا قمت بتعيينه إذًا وأنت تعلم بأنها هى من وراء ذلك لتظل دائمًا تحت نظرها؟

نظر إليها هانى وقد نفد صبره فقال لها متأففًا:

- بالله عليكِ يا صفاء دعينى ولا تحدثينى بهذا الشأن لقد أخبرتك أنى أريد أن أكون على علم بمن يراقبنى بدلًا من أن يكون هناك آخر لا أعلم عنه شيئًا ولكى تطمئن غادة لأمضى فى تنفيذ خطتى ..

قالها وتراجع وهو يهز رأسه فى توتر قائلًا:

- ولكن أتعلمين .. ما زلت لا أعلم حقيقة هذا الرجل .. تصرفاته لا تدل على



شخصيته أبدًا .. أحيانا يعاملنى بعجرفة لا تليق بسائق .. ولكنى مضطر لتحمله حتى لا يضيع كل ما خططنا له معًا..

قاطعته صفاء بصوتٍ محتد بعد أن أسكتته بإشارة من يدها:

- تقصد ما خططته أنت .. لقد أخبرتك عشرات المرات أنه ليس لى أى شأن بتلك الخطة .. أنت من تريد كل شى .. تريدنى و تريد أموال زوجتك فى ذات الوقت .. أعتقد أن تلك هى مشكلتك وحدك .. هذا الطمع هو ما سيؤدى بك إلى النهاية يا هانى..

- ستندهشين من النهاية يا عزيزتى .. أؤكد لك..

أردفت صفاء وكأنها تذكرت شيئًا فجأة:

- لكن انتظر.. معنى أنها جعلت شخصًا يراقبك باستمرار أنها قد بدأت فى الشك فيك.

هز هانى رأسه إيجابًا قائلًا بمرارة:

- تمامًا .. ولذلك كان علىَّ أن أثبت حسن نيتى معها حتى أُكمل الخطة التى وضعتها فلم يتبق على نهاية الشهر سوى عدة أيام ستسافر بعدها إلى الإسكندرية .. لذلك أخبرتها أنى سأعطيها كل ما طلبت من مال .. كل شىء يسير وفقًا لما خططت له .. اطمئنى .. ينقصنى فقط الخطوة الأخيرة والتى سوف.

قاطعته قائلة فى توتر:

- لا أريد أن أعلمها .. احتفظ بها لنفسك.

ضحك هانى قائلًا:

- لم أكن سأخبرك عنها على أية حال يا عزيزتى .. فلا تقلقى .. الآن أخبرينى عن آخر تطورات وضعك مع زوجك؟

دق الهاتف الداخلى للمكتب فنظر إليه دون أن يتحرك من مكانه فاستطردت صفاء فى جذل:



- أصبحت لا أطيق النظر إليه .. فمنذ أن طلبت منه الطلاق أصبحنا غرباء حتى فى المنزل .. وحتى هو لا يريد أن يتحدث معى .. منذ أربعة أيام طلب منى أن نقوم بفتح صفحة جديدة تمامًا .. وظل يتحدث ويتحدث ويتحدث، ولكن أصدقك القول لم أشعر تجاهه حتى بالشفقة .. بل كنت أشعر بالاشمئزاز من مجرد حديثه معى.

وعندما طلب منى أن أصارحه بسبب طلبى للطلاق أخبرته أنى لا أستطيع إكمال حياتى معه وأنى أصبحت أمل من تصرفاته وحديثه وعلاقته معى ومن كل شىء يتعلق به .. أخبرته أن مجرد اقترابه منى يجعلنى أفكر فى الانتحار.. وأن حبه لى أصبح مثل القيد الذى يلتف حول رقبتى ليخنقنى.

أخبرته أننى أريد أن أرتبط بشخص حر مثلى .. لا أريد البقاء مع شخص مثله يقيدنى إلى الأرض .. أخبرته أن عليه أن يُطلقنى فى هدوء بدلًا من اللجوء إلى أساليب أخرى قد لا تعجبه .. وهو يعلم جيدًا ماذا أقصد تحديدًا.

خُيل إلى صفاء أن هانى قد أشفق على زوجها حينما هز رأسه قائلًا:

- يااااه يا صفاء .. لقد كان كلامك قاسيًا جدًا على الرجل يا عزيزتى، خصوصًا أنه يحبك بجنون كما تقولين، ولكن ماذا كان رد فعله بعدما سمع كل هذا؟

- تخيل لقد صمت تمامًا .. وعندما تحدث طلب منى أن آخذ مهلة لآخر الشهر .. وذلك لأعيد التفكير فى أمر الطلاق .. ولم يفتأ يصدع رأسى بحديثه عن فضله علىّ وعلى أهلى، وما فعله من أجلى ومن أجل إرضائى وسعادتى حتى ضجرت منه وأخبرته بموافقتى على التفكير فى الأمر حتى بداية ديسمبر القادم، فأخبرنى أنه سيسافر إلى دبى لإجراء بعض الفحوصات على قلبه الذى بدأ فى الشكوى منه فى الآونة الأخيرة .. ولقد سافر صباح اليوم بالفعل.

لم يدرِ هانى لماذا شعر بالاشمئزاز من تصرف صفاء مع زوجها بالرغم من أنه لم يتصرف بأفضل منها مع غادة إلا أنه حاول أن يتجاهل ذلك الشعور وما لبث أن تأفف وَهَمَّ بالاقتراب منها إلا أنه فوجئ بباب مكتبه يُفتح فجأة ليدخل أمجد سكرتيره



الخاص وهو يحمل إليه كارت شخصى يقدمه إليه فى صمت فما لبث أن صرخ فيه قائلًا:

- أمجد .. ألم أخبرك ألا تدع أى شخص يدخل من هذا الباب .. أسمعت أم أنت أصم؟

نظر إليه أمجد فى برود وانتقلت نظراته إلى صفاء التى تناولت قداحتها لتشعل سيجارة فى ضيق:

- نعم لقد أخبرتنى ياسيدى، ولكن أنت من طلبت لقاء هذا الرجل من البنك وهو ينتظرك منذ أكثر من ساعتين إلا أنه يهم الآن بالرحيل إذا لم تلتقى به .. ولقد حاولت الاتصال بك هنا ولكنك لم تجب على الهاتف الداخلى، فقرعت الباب ولكن يبدو أنك لم تسمع أيضًا.

نظر إليه هانى فى غضب ثم ما لبث أن استطرد بصوت يكاد يكون يخرج من بين أنيابه:

- فلتخرج الآن ودعه يدخل فى خلال خمس دقائق .. أتشعر بالارتياح الآن؟

خرج أمجد فى برود واضح وأغلق الباب خلفه مما دعا صفاء إلى القيام مودعة هانى الذى اقترب منها واحتضنها وهو ينهى اللقاء قائلًا:

- حسنًا يا صفاء .. لابد من أن نكون حريصين فى تصرفاتنا خلال الفترة القادمة .. لذلك لا ينبغى أن يرانا أحد سويًا .. وسوف أُبلغك بكل ما يستجد من أحداث .. فالأيام القادمة هى الأهم فى حياتنا .. لذلك سنحاول أن نقلل من مكالماتنا بأقصى درجة ممكنة، فلا أحد يعلم ما تخبئه الأقدار.

قالها وقام بتوصيلها إلى باب المكتب وتركها لتهبط إلى سيارتها الخاصة .. ووقف يراقبها من غرفته فى الأعلى وهو ينظر إليها بعشق وهيام حتى توارت فى سيارتها، ولكنه لم يعلم أن هناك عين أخرى تتابعها بكل غيظ....

****



لم يكن الطبيب سمير فاروق يتوقع فى يوم من الأيام أن تجلس أمامه مرة أخرى غادة موافى .. لم يتوقع لقائها منذ آخر لقاء جمع بينهما قبل عدة سنوات وقبيل زواجه من أخرى ليهجر حبها له من وقتها .. لكنه حاول أن يتمالك نفسه كما حاول جاهدًا ألا تُظهر عيناه عشرات التساؤلات التى تلح عليه .. فقد استعاد عقله تلك الأوقات التى كان يسرح فيها كثيرًا فى تلك العينين البنيتين .. تُرى ما سبب مجيئها إليه فى عيادته الخاصة لمقابلته؟ ماالذى جعلها تهاتفه الآن لتخبره أنها تريده فى أمر هام .. وما هو ذلك الأمر؟

كم احتار فى تلك الشخصية البريئة .. كان من داخله لا يجد أى مبرر لزوجة مثلها متعلمة مثقفة من أسرة معروفة يجعلها تخون زوجها تحت أى مسمى حتى لو كان هو بطل تلك الخيانة ..

تذكر تلك الأيام .. كانت فى ذلك الوقت دائمة الشكوى من انشغال زوجها ونزواته المستمرة أما هو فقد كان معجبًا بها عندما كانا يعملان سويًا فى مشفى والدها الخاص.. كل ذلك جعله يُقدم على الاعتراف لها بحبه والاقتراب منها حتى وقعا سويًا فى دائرة الخيانة ..

لم يطمع يومًا فى أكثر من جسدها، فلم يكن يخطط للارتباط بها حتى وإن تم طلاقها .. ولم يكن يطمع فى أموالها والتى كانت تغدقها عليه من وقتٍ لآخر.. كانت بالنسبة له مجرد نزوة عابرة قد تستمر لفترة .. ولكنها حتمًا ستنتهى طالت أم قصرت .. وكان عليه أن ينهى تلك العلاقة الآثمة فى وقتٍ ما وأن يهجرها حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه ويؤثر فى مستقبله وهو ما فعله تمامًا بمجرد زواجه فقد أقسم أنه لن يراها ثانية .. فترك عمله فى مشفى والدها ليفتح عيادة خاصة به فى أحد الأحياء الفقيرة داعيًا الله أن يغفر له ما تقدم من ذنبه مع ذلك الملاك الذى يجلس أمامه فى هدوء .. والتى ظلت تتحدث دون أن ينصت إليها حتى أفاق من شروده فجأة على صوتها وهى تقول:

- لماذا تحملق فى وجهى هكذا؟ يبدو أنك لم تكن تنصت إلى يا سمير.. ألا زالت عادتك لم تتغير؟ أما زلت تشرد بعيدًا عندما تكون غير مهتم بالموضوع؟



اعتدل سمير في مقعده وتنحنح وهو يعدل من وضع نظارته:

- لا أبدًا يا غادة لكني لا زلت مندهشًا من أنكِ لازلتِ تتذكريني حتى بعد ما حدث بيننا فقد اعتقدت أن مجرد مرور اسمى فى ذاكرتك قد يدفعك إلى كرهى أكثر فأكثر.

- ليس الأمر كما تظن يا سمير.. فلا زلت أنت صديقى المقرب رغم أى شى .. وفى حالتى تلك أحتاج لشخص مثلك يقف إلى جوارى .. فقد بحثت كثيرًا فى دفاترى القديمة على من أستطيع أن أشكو إليه ما أمر به فلم أجد غيرك .. فأنت لا زلت الشخص الوحيد فى هذا العالم الذى يستطيع أن يشعر بما يجول فى خاطرى دون أن أتحدث .. فلقد تفرق الأصدقاء وأصبح لكلٍ منهم عالمه الخاص به كما أشعر أنى على وشك الدخول فى أزمة نفسية كالتى مررت بها من قبل إن كنت لا زلت تذكر ذلك..

حاول سمير أن يتجنب النظر إلى عينيها وتظاهر بالعبث فى بعض الأوراق على المكتب أمامه قائلًا:

- ألا زالت هناك مشاكل مع زوجك؟

ابتسمت غادة فى سخرية مريرة وهى تقول:

- مشاكل؟ إننا فى الطريق لأن يقتل أحدنا الآخر فى أقرب فرصة..

انتفض سمير وهو يحدق فى غادة بدهشة:

- قتل؟ هل وصلت الأمور لهذه الدرجة من السوء بينكما؟

- أقسم لك أن هذا ما سيحدث .. الأمر أسوأ مما تظن وإذا كان لديك متسع من الوقت سوف أقص عليك كل ما مررت وأمر به .. فأنا أحتاج لنصيحتك حقًا يا سمير.. وهذا ما جاء بى إلى عيادتك اليوم .. بالله عليك لا تتخلى عنى أنت أيضًا .. لقد أغلق العالم أبوابه فى وجهى ولا أجد من أشكو إليه .. فأنت تعلم موقف أهلى منى بعد زواجي .. أغلب أقاربى لا أراهم إلا فى المناسبات .. وحتى لو فعلوا فإنهم يتحاشوننى على الرغم من مرور عدة سنوات على زواجى.



الكل يحملنى أنا مسؤولية وفاة والدى دون أن يسمح لى حتى أن أدافع عن نفسى.. لم يتبق لى أى شخص أستطيع أن أتحدث معه إلا أكرم أخى والذى أصبحت لا أراه إلا مرتين سنويًا على الأكثر.. حتى هو لا أستطيع البوح له بكل شىء .. فداخل حياة كلٍّ منا يا عزيزى باب مغلق دائمًا قد يفتح فقط للغرباء ليرتعوا فى دهاليزنا السرية والتى لا يعلمها أقرب الأقربون .. ولكلٍ منا أسراره التى يفضل أن يتحدث بها مع الغرباء فى الوقت الذى يعجز فيه أن يفتح قلبه أمام أقرب الناس إليه..

- يبدو أنكِ أصبحتِ فيلسوفة هذه الأيام يا غادة.

- لست فيلسوفة .. ولكن ما رأيته من تجارب مؤلمة فى الفترة الماضية قد غيرنى تمامًا.

- ولكن يا غادة أنا لم أعد كما كنت بالماضى .. كُلٌّ منا قد تغير.. كُلٌّ منا قد مر فى حياته بأحداث وأشخاص بدلته فأصبح لكلٍّ منا حياة أخرى وعالم آخر.. لذا فإن كنتِ تريدين البوح بما لديك من مشاكل وتودين منى أن أستمع إليكِ فها أنا ذا .. لكن قبل ذلك كونى على ثقة أنى لن أستطيع عمل أى شىء من أجلك ولن يكون لى رد فعل تجاه أى شىء قد تتفوهين به .. أتفهمينى يا غادة؟

- أفهمك جيدًا يا سمير فأنا لم آت إليك لتفعل لى شيئًا .. الأمر بالنسبة لى محسوم من قبل .. قلت لك أننى فقط أريد أن أتكلم .. أتحدث إلى شخص ما يسمعنى وينصحنى .. لا أريد أى شىء آخر قد يخطر بعقلك فأنا لست تلك المرأة التى قد تفكر فى الانتقام منك لأنك تخليت عنى فى أشد الأوقات احتياجًا لك ..

- حسنًا .. حسنًا فلتخبرينى بما لديكِ إذن وثقى إن كان فى مقدروى فعلًا أن أقدم لكِ شيئًا فلن أتأخر عن ذلك كنصيحة فقط. ولن يتعدى الأمر ذلك .. هذا هو شرطى الوحيد فأنا لم أعد كما كنت فى الماضى يا غادة.

تجاهلت غادة تلك العبارة القاسية التى تفوه بها فقد كانت فعلًا تريد أن تتحدث فقط لتُخرج كل ما لديها من انفعال .. ظلت تتحدث وتتحدث لأكثر من عشرين دقيقة دون أن يقاطعها .. كان فقط يومئ برأسه من وقتٍ لآخر..



كان هو الآخر مندهشًا لماذا تطلب مساعدته هو بالذات .. كان قد قرر أمرًا فى بداية لقائهما هو ألا يسمح لها باختراق حياته مرة أخرى فلديه زوجة غيورة بشكل لا يتصوره أحد غيره.

كانت غادة تُفيض فى الحديث وهو مشغول بزوجته وهو يفكر إذا حضرت فجأة كيف سيكون رد فعلها على وجود غادة .. كثيرًا ما كانت تتشاجر معه لأتفه الأسباب فماذا سيحدث لو علمت بوجود علاقة سابقة فى حياة زوجها الطبيب الهادئ المسالم حتى ولو كانت منتهية من قبل زواجهما؟

كان يحاول أن يُنهى الحوار ويحاول فى ذات الوقت أن يقطع الطريق على غادة لكى لا تحاول مقابلته مرة أخرى .. كان عليه أن يختفى من حياتها مرة أخرى ولا يسمح لها بإفساد حياته بظهورها فيها حتى وإن كانت تحتاجه لسببٍ ما.

لكنه تذكر ما يمر به حاليًا من أزمة مالية كنتيجه للابتزاز الذى يتعرض له أيكون ظهورها فى حياته الآن لعبة من القدر ليخرجه من تلك الأزمة؟ فغادة لديها الكثير والكثير من الأموال والتى يحتاج ولو لجزء ضئيل منها .. تُرى أيطلب منها صراحة إقراضه بعض المال أم يطلب منها الدخول معه فى عمل مشترك؟ ولكن كيف سيطلب منها المال؟

كان فى الفترة الأخيرة يبحث على حلول لمشاكله المادية .. فقد تورط فى بعض المشكلات التى لا خروج منها إلا بالدخول فى مشروع جديد .. لا يدرى كيف تورط فى تلك النوعية من العمليات الطبية والتى تسمح بإجهاض الأطفال؟ كان فى حاجة إلى المال ليرضى متطلبات زوجته ويدفع بقية أقساط المتطلبات الحياتية والتى لا تنتهى مع زوجة كإيناس زوجته.

وما إن بدأت أموره المادية فى التحسن إلى حَدٍّ ما حتى توفت مريضة داخل عيادته بعد أن قام بعمل إجهاض لها .. فاسودت الدنيا فى وجهه ولم يجد سوى الممرض الخاص به لمساعدته فى التخلص من الجثة وقد كان .. ولكن الأمور لم تنتهى عند هذا الحد فقد بدأ ممرضه فى ابتزازه حتى فكر فى وقتٍ ما أن يقوم بقتله هو الآخر..



لكن الأخير وعده أنه سيغادر البلاد ولكن كل ما يريده فقط هو مبلغ كبير ليؤمن به مستقبله .. ولكنه لم يستطع إلا جمع نصفه فقط.

أفاق من شروده على حديث غادة التى كانت لا تزال تسترسل فيه عندما ذكرت طمع زوجها فى أموالها مما استدعى ظهور فكرةٍ ما طرأت إلى رأسه سريعًا .. مما جعله يحاول تدارك الأمر فأردف قائلًا:

- إن الأمر مريب بالفعل يا غادة .. وليس هَيّنًا كما كنت أتصور.

- أعلم ذلك وإلا لما لجأت إليك لنفكر فى حل لما أمر به من مشاكل.

- أنا لا أثق فى زوجك بالطبع كما لا أثق فى ذلك الشخص الآخر الذى ترفضين البوح باسمه..

- ما الذى سيهمك من اسمه يا عزيزى .. المشكلة أننى مرعوبة من الاستمرار فى مخططه، وفى نفس الوقت لن أظل فى مكانى حتى يقوم زوجى بقتلى .. لا أعرف هل أقوم بإبلاغ الشرطة وإخبارهم بكل ما فى الأمر؟ أم أستمر فى تنفيذ تلك الخطة؟

فكر الطبيب لبرهة من الوقت وما لبث أن هز رأسه قائلًا فى حماس:

- لا .. لا بالطبع .. بماذا ستخبرينهم؟ أرى أن تستمرى فى تنفيذ ذلك المخطط الذى اتفقتِ عليه مع الزوج المخدوع حتى نفكر فى حل مناسب فى أقرب فرصة ممكنة.

رفعت حاجباها فى دهشة:

- تفكر معى فى حل؟ لماذا تبدل رأيك بسرعة هكذا؟

ارتبك حين واجهته بذلك ولكنه تابع دون أن ينظر لعينيها:

- أنتِ فى حاجة لمن يقف إلى جوارك يا عزيزتى .. وأنا لن أسمح لأى شخص أيًا كان أن يؤذيكِ.

ضحكت غادة فى توتر قائلة:

- سبحان الله ياسمير.. ألا زلت كما أنت بشخصيتان .. أخبرنى إذن ما الحل من وجهة نظرك؟



- ليس الآن .. دعينى فقط أفكر فى حَلٍّ مناسب للموضوع ولكن أخبرينى دائمًا بكل ما يستجد من أحداث .. ولكن دعينى أنا من أقوم بالاتصال بِكِ .. لا تهاتفينى مطلقًا .. اعذرينى فزوجتى تكاد تكون مختلة بسبب مشاعر الغيرة التى تجتاحها.

- حسنًا يا سمير.. كم أود أن أشكرك لوقوفك بجانبى وأتمنى أن يكون ذلك تكفيرًا عما سببته لى من ألم فيما مضى.

- دعينا لا نتكلم عن الماضى يا عزيزتى .. فوقوفى بجانبك لإخراجك فقط من الأزمة التى تمرين بها والأمر لن يزيد على كوننا مجرد أصدقاء .. والآن أعطينى كافة أرقام هواتفك وعنوان عيادتك.

أمسكت غادة الورقة والقلم لتدون ما طلبه منها سمير وهى تشعر بالاطمئنان لوجوده مرة أخرى إلى جوارها .. بينما لاحت على شفتيه ابتسامة خبيثة، لم تنتبه لها غادة أبدًا...

****





(العجز)

حـين يمـوت الأمـل فى القلـوب ويُغتـال الحلـم فى المسـتقبل لا يكـون ذلـك الضبـاب بالسـوء الـذى نتخيلـه، فى الوقـت الـذى يكـون فيـه الضـوء هـو عـدوك الأول لأنـه يجـبرك عـلى مواجهـة تلـك الحقيقـة المُـرة ورؤيـة ذلـك الواقـع الموجـع القـاسى دون رحمـة..


ساحر الكتب



كان على يجلس مع خطيبته إلهام فى أحد الكازينوهات المطلة على النيل عندما أخبرته بما دار من خلاف بين غادة وهانى ..

لم تكن إلهام تروى كل الحقيقة فأحيانًا ما كانت تضيف أحداثًا لم تحدث وأوقات كانت تخفى ما لديها .. إلا أن على ظل يستمع إليها وهو يفكر فى طريقة لاستغلال كل تلك الأحداث لصالحه.

فقد كان يرى فيما يحدث من مشاكل بين غادة وزوجها فرصة ذهبية للحصول على ما يريد من أموال ليحقق أحلامه التى لو عاش أضعاف عمره فلن يحقق شيئًا منها بالعمل مع غادة وسينتهى به الحال مثل أبيه الذى قضى عمره لا يحصل إلا على ما يكفيه ليسد رمق زوجته وأولاده ..

فكر على كثيرًا فيما يمكنه فعله. فقد كانت الأمور تتطور بسرعة. وإن لم يبادر بفعل شىء سوف تضيع منه تلك الفرصة التى ربما لن تتكرر ..

ظلت إلهام تتحدث كثيرًا دون حتى أن تأخذ فرصة لالتقاط أنفاسها وكأن هناك من يلاحقها .. لم تتوقف إلا حين أسكتها على بإشارة من يده قائلًا:

- الأمور تسير بشكل غريب يا إلهام فثمة شىء ما يدور فى الخفاء ولكنى لا أعلم ما هو .. أعتقد أن الأمور ستتأزم أكثر فى الأيام القادمة وربما أسرع مما كنا نتوقع.

- أما أنا فأتوقع أن يتم الطلاق قريبًا .. وقريبًا جدًا.

- أتمنى أن يتوقف الأمر على الطلاق يا عزيزتى .. لقد تفاقمت المشاكل بينهما كثيرًا وخاصة فى الفترة الأخيرة وهذه هى فرصتى المناسبة لاستغلال ما يحدث بين الزوجين ولكن كيف؟ لا أدرى .. ولكننى سأهتدى بالتأكيد إلى طريقةٍ ما.

نظرت إليه إلهام فى حيرة قائلة:

- أية فرصة تلك التى تتحدث عنها؟ وما شأنك أنت بطلاقهم أو بقائهم سويًا؟ كل ما يهمك هو عملك فى المشفى الخاص بغادة .. وهى تعطى لك من المال ما يكفيك ..



وعليك أن تحافظ على عملك يا على ولا تحاول التورط فى صراعها مع زوجها فلا أحد يعلم ما ستؤول إليه الأمور.

صاح بغضب وهو ينفث دخان سيجارته بعيدًا:

- عمل! أى عمل هذا الذى تتحدثين عنه إن ما أجنيه من مال مع تلك الطبيبة هو مجرد فتات لا يكفى أبدًا لتحقيق أحلامى ولكنى أشعر أنى أستطيع الحصول على المزيد والمزيد من المال إذا استغللت ما يحدث بين الزوجين فهؤلاء المأفونين لديهم ما يزيد عن حاجتهم وهم على استعداد لإنفاقه على صراعاتهم السخيفة تلك .. فلينفصلوا أو ليذهبوا إلى الجحيم حتى .. كل ما يهمنى هو المال أنصتى إلىَّ جيدًا فأنا أشعر أن هناك أمرًا ما يدور حاليًا فى الخفاء بين زوج السيدة التى على علاقة بهانى رجل الأعمال الشهير نبيل علام وبين غادة .. فهذا الرجل يدبر أمرًا ما ضد هانى.

- وما شأنك أنت بذلك؟ ولماذا يهمك أمر هانى إلى هذا الحد؟

- إن هانى لا يهمنى فى شىء كل ما يهمنى أن أعرف ما تخططه زوجته مع ذلك الرجل لأستغل الفرصة وأخبر هانى بما يدور من خلف ظهره بدعوى خوفى على مصلحته لأكسب ثقته ومعها المزيد من المال..

- لا أوافقك الرأى يا على لا تَزج بنفسك فى ذلك الأمر فلو علمت غادة بذلك لن ترحمنا وستطردنا كلانا من العمل .. ولا أستبعد أن تطرد والدك هو الآخر.. فلديها قلب قاسى جدًا حتى أنى فى الكثير من الأحيان أشعر وكأنها قد تجردت من الرحمة و المشاعر الإنسانية .. فهى لن تتوانى عن أذية زوجها فما بالك بنا وبوالدك المسكين.

- افهمينى يا إلهام تلك هى الفرصة الوحيدة أمامنا لنحقق أحلامنا .. فأنا لا أحتمل فكرة العيش لبقية حياتى ذليلًا لها كوالدى .. لن أرضى بالفتات الذى تلقيه لنا فى الوقت التى تتنعم هى وزوجها الخائن فى كل تلك الأموال أمام عينى دون أن أحاول أن آخذ منهما كل ما يمكننى أخذه وبأية وسيلة كانت فهذا حقى وحق والدى عن كل تلك السنوات التى قضاها فى خدمة غادة ووالدها حتى إذا كان والدى قد رضى بذلك طوال أكثر من أربعين عامًا من عمره أفناها فى خدمتهم فها هو اليوم



أخبريني ما الذى أخذه من وفائه وإخلاصه لهم؟ بالكاد يوفر قوت يومه هو وأمى .. حتى الآن ليس لديه ما يكفيه من مال ليتعالج من أمراضه .. وهى لا تلتفت له ولا لوجعه إلا فيما ندر.. أما أنا فأختلف عنه .. فقط أريد الفرصة .. وها هى تأتينى اليوم وسأظل ورائها .. ولن أضيعها أبدًا..

نظرت إليه وهى تتصنع الدهشة قائلة:

- أخشى إن وجدت تلك الفرصة أن تتغيريا على فتهجرنى وتهجر أسرتك للأبد .. أخشى أن يعميك طموحك فتتخلى عنا .. فالطموح حين لا تقيده القناعة يكون كالمحرك الأعمى الذى يجعلك تتسلق على آلام الناس حتى أقربهم إليك.

ضحك على وهو يمسك يدها محاولًا اصطناع الرقة:

- أنا مندهش من صفاء نيتك يا عزيزتى .. أى فتاة فى مكانك لكانت تحاول أن تنتقم أشد الانتقام من ابنة الرجل الذى جعل والدتها تفنى عمرها فى عملها فى الإصلاحيات لتربى أولادها بعد أن كانت تتسول بعض اللقيمات لأو....

قاطعته إلهام وهى تصيح فيه بغضب:

- إحذريا على .. إياك أن تتكلم بتلك الطريقة على المرحومة والدتى مرة أخرى .. قلت لك ليس لك شأن بذلك .. لقد تأقملت وتعايشت مع ظروفى المحيطة .. عكسك تمامًا .. وإن كنت تريد أن تتخلى عنى فافعل .. فلن أبقى لأسمع منك ذلك الهراء مرة أخرى.

نظر إليها وهو مندهش من ثورتها المفاجئة إلا أنه اقترب منها معتذرًا:

- أنا آسف يا إلهام .. لكن لابد أن تتأكدى من أنى قد أتخلى عن الجميع يا حبيبتى إلا أنتِ .. فأنا أفعل كل ذلك من أجلنا حتى نعيش سويًا حياة مرفهة بعيدة عن شبح الفقر والحاجة .. نحن نستحق أن نعيش تلك الحياة مثلهم .. نستحق أن نرى الحياة من أعلى .. من تلك العمارات الشاهقة والسيارات الفارهة وليس من تلك الجحور الضيقة والحافلات المكدسة .. فغادة وهانى ليسوا بأفضل منا بأى حال من الأحوال..



عقدت إلهام حاجبيها وهى تنظر لعلى فى قلق:

- لا أدرى يا على..أحيانًا أشعر أننى لا أعرفك فحديثك فى بعض الأحيان يخيفنى منك.

ابتسم على فى خبث لم تلحظه إلهام:

- ربما لأنكِ لم تعرفينى جيدًا يا حبيبتى .. فقط حاولى أن تثقى بى وسترين كيف ستتبدل أحوالنا ونحقق أحلامنا ونتزوج..

- أنا أثق بك يا على ولكنى فقط لا أحب أن تكون بداية طريق حياتنا من الطريق الحرام والطرق الملتوية.

تبدلت ملامح على واختفت تلك الرقة المصطنعة وهو يترك يدها بجفاء قائلًا بغضب:

- ومن قال لكِ أنها ستكون من الحرام؟

- هل تمزح يا على؟ ألا تدرى ما الحلال والحرام يا أستاذ الفلسفة؟

انفجر على ضاحكًا بسخرية مريرة وهو يقول:

- أستاذ الفلسفة! ألازلتِ تذكرين تخرجنا من تلك الكلية .. ألم تتذكرى أيضًا ذلك التقدير العالى الذى حصلنا عليه والذى لم يشفع لنا فى الحصول على وظيفة محترمة .. حتى وصل بنا الحال لما نحن عليه الآن .. فها أنتِ مجرد خادمة أما أنا فمجرد شخص يقوم بقضاء حاجات لتلك الحمقاء والتى لا تستطيع القيام بها بنفسها فهى تجعلنى أقوم من أجلها بأى شىء حتى وصل بى الحال إلى أن أكون مراقب عمال وجاسوس على زوجها الخائن.

قالها وهو يشعل سيجارة أخرى لينفث فيها غضبه وحنقه ثم أردف قائلًا:

- إذا كنتِ قانعة بعملك كخادمة الذى أجبرتك الحياة والظروف عليه فأنا لست كذلك .. أتفهمين؟ لست كذلك.

هتفت به إلهام مستنكرة وهى تكاد تستشيط غضبًا:



- أنا لست خادمة.

ضحك على فى سخرية مريرة قائلًا:

- أيًا كانت المسميات يا عزيزتى، اختلاف المسميات لن يغير من قسوة الواقع شيئًا .. فنحن أحيانًا نختار منها ما يكفى لتسكين آلامنا وتزييف واقعنا دون أن ندرى أننا نخدع أنفسنا ونُعمق فى جروحنا بلا شعور .. فلا نشعر بوجع تلك الجروح إلا ونحن ننزف آخر قطرة أمل وحياة داخلنا لا تحزنى فكلنا فى الهم سواء.

قالها وتنهد بعمق وهو يُطفئ سيجارته مردفًا:

- المهم الآن أنى لن أقضى بقية حياتى مثل أبى أُلبى طلبات وأوامر السيدة غادة لينتهى بى الحال على مقعد صغير وأنا أُنظم دخول المرضى لسيادتها.

نظرت إليه إلهام محاولة إقناعه:

- احمِد ربك واقنع بما قسمه لك فنحن أفضل من كثيرين ما زالوا يبحثون عن عمل يكفيهم ويغنيهم عن سؤال الناس .. فالسعادة ليست فى كثرة المال وإنما فى الرضا .. فى وجود من تحبهم بحياتك .. فى لحظة نجاحك ووصولك لأحلامك بعد التعب والعناء فلا تدع ضباب الحقد والحسد والغيرة يطغى على ضوء الحب والرضا والقناعة فى قلبك.

ضحك على بمرارة قبل أن يستطرد:

- حين يموت الأمل فى القلوب ويُغتال الحلم فى المستقبل لا يكون ذلك الضباب بالسوء الذى نتخيله فى الوقت الذى يكون فيه الضوء هو عدوك الأول لأنه يجبرك على مواجهة تلك الحقيقة المُرة ورؤية ذلك الواقع الموجع القاسى دون رحمة، ثم إنى لا أدرى من أين تأتيكِ كل هذه القناعة؟

- مما أراه فى غادة وهانى، فها هم يمتلكون كل شىء، المال .. النفوذ .. العلاقات .. ولكنهم عاجزين عن السعادة لأنهم يفتقدون الشىء الوحيد الذى لا يمكن شراؤه بأموال الدنيا .. الحب .. هم يفتقدون الحب يا على.



ضجر على من حديثها الذى تمثل فيه دور الواعظ فهو يعلم جيدًا أنها لا تقل عنه طمعًا أو رغبة فى المال .. ولكنه الخوف والتردد ذلك الخوف الذى لو استطاعت أن تتغلب عليه لربما ستصبح أسوأ منه.

أشار إلى النادل لإحضار الحساب ونظر إليها مرة أخرى قائلًا فى توتر:

- دعكِ من كل هذا الجدال يا حبيبتى فنحن لن نتزوج بتلك الفلسفة والحكمة الفارغة التى لن تشترى لنا حتى شقة لنعيش فيها ولن تجهزها بكل ما تحلمين به .. دعى كل شىء علىّ ولتنتبهى فقط فى الأيام القادمة وأخبرينى فورًا إذا حدث أى جديد فما أفكر فيه لن يضر أحد منهم فى كل الأحوال وربما أحمى بما سأفعله كليهما كى لا يقتل أحدهما الآخر.

نظرت إليه قائلة بدهشة:

- قتل! عن ماذا تتحدث؟

- لم أكن أريد أن أُشغل بالك بما يدور فى الخفاء.

- ولكن .. قتل من؟

- بالطبع .. نسيت أن أخبرك أن زوجها يخطط مع عشيقته لقتلها وقد علمت غادة بالأمر عن طريق نبيل علام زوج عشيقته.

قالت إلهام وهى لا تكاد تصدق ما تسمعه:

- هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟ لا أدرى كيف واتته الجرأة للتفكير فى قتل زوجته التى أوصلته لما هو عليه الآن، ألم تكفيه خيانتها حتى يفكر فى قتلها أيضًا؟ القتل يا على؟

- أقسم لكِ أن تلك الحقيقة ولم أخبرك بها حتى لا أشغلك .. الأمر فعلًا أخطر مما قد تظنين..

- القتل يا على .. ألم تكفه الخيانة؟

- الخيانة فى حد ذاتها قتل وربما أسوأ فالخائن يطعنك بخنجر مسموم لا



يميتك فى الحال وإنما ببطء حتى يسرى سمه فى جسدك لتصرخ كل خلية من خلاياكِ من الألم فيكون الموت أقصى أمانيكِ إلى أن تفارقى الحياة مع آخر قطرة دماء ينزفها قلبك الأمرسيان يا عزيزتى لذلك ساعدينى فربما يكون ما سأفعله هو حماية لأحدهما من الآخر.

قاما بعد أن دفع على الحساب ليمسك بيد إلهام التى تشبثت فيه بقوة لا تدرى هى نفسها أكان ذلك خوفًا منه أم عليه أم مما قد تحمله لهما الأيام القادمة.

****

فى المساء كانت غادة تذرع غرفة مكتبها بالعيادة جيئة وذهابًا. بعد أن انتهت من الكشف على أغلب المرضى وطلبت من عم سليمان أن يقوم بالاعتذار لبقيتهم لشعورها بالإجهاد .. كانت عاجزة فى الأيام الأخيرة على ممارسة حياتها وعملها كالمعتاد .. فما مرت به فى الفترة الأخيرة وما اكتشفته جعلها تدرك أن حياتها ستنقلب رأسًا على عقب خلال الأيام القادمة.

أمسكت بهاتفها وحاولت أن تتصل بأحمد عواد لأكثر من مرة بالرغم من أنها فى كل مرة تجد هاتفه مغلق حتى فتحه وأجابها أخيرًا قائلًا فى برود:

- مساء الخير يا دكتورة غادة؟

بادرته غادة فى لهفة:

- أين أنت يا أحمد .. ألا يجب عليك أن توافينى بالأخبار كما اتفقنا؟ ولماذا هاتفك مغلق دائمًا؟

- اهدأى يا دكتورة .. فلا يوجد أى جديد لذلك لم أتصل بك .. فقد أخبرتك من قبل أننى سأتصل بكِ إذا حدث ما يستدعى إخبارك به.

تنهدت غادة وهى تهتف فى قلق:

- ولكن القلق يستبد بى ولا أدرى ما الذى تفعلونه .. فأنا أضع كامل ثقتى فى إثنان لم أعرفهما من قبل.



حاول أحمد تهدئتها قائلًا:

- أنا أتفهم جيدًا موقفك يا دكتورة ولكن لابد أن تهدأى وتطمئنى تمامًا وثقى بنا ثقة كاملة كما أخبرك السيد نبيل .. وسأتصل بكِ عند حدوث أى جديد، وسوف أُبلغك أيضًا بتعليمات السيد نبيل فهو خارج مصر حاليًا للعلاج ومن الصعب التواصل معه.

- حسنًا .. حسنًا .. ولكن أخبرنى .. ألم تر صفاء خلال الأيام الماضية؟

تردد أحمد قليلًا قبل أن يقول لها:

- لا يا دكتورة لم أرها.

- ولماذا أشعر من حديثك أنك متوتر؟

- أى توتريا دكتورة غادة .. ربما خيل لكِ ذلك بسبب ما تمرين به.

- ربما .. لا أعرف ماذا حدث لى؟

- لا عليكِ يا دكتورة فما تمرين به ليس من السهل أن تحتمله أية امرأة، ولولا أنكِ امرأة قوية وعاقلة لكان الوضع أسوأ.

دارت فكرة ما فى رأس غاده وما لبثت أن أردفت:

- عندك حق يا أحمد .. ولكنى أريد الحديث معك عن بعض الأشياء بخصوص ذلك الموضوع، فهل تمر علىَّ غدًا فى مشفاى الجديد؟

- بالتأكيد .. ولكنى لا أعرف عنوان المشفى..

- سأرسله لك فى رسالة الآن .. سأنتظرك فى التاسعة من مساء الغد..

- سأكون هناك فى الموعد.

أنهت غادة الاتصال وهى تشعر بالدماء تفور فى رأسها، كان شعورها بالعجز يشلّ تفكيرها، فجلست إلى مكتبها لتدفن رأسها بين يديها وعقلها يكاد ينفجر من كثرة التفكير فيما آلت إليه الأمور.



كانت بالفعل تتساءل كيف وضعت ثقتها فى اثنين لم تعرفهما من قبل .. أحدهما عجوز متصابى ضعيف الشخصية ارتبط بفتاة فى سن ابنته، والآخر أقرب إلى المجرمين منه إلى شخص طبيعى.

لم تكن تدرى ماذا تفعل غير أن تطاوعهما فحياتها تعتمد على خطة ذلك العجوز التى ما زالت تجهلها .. لم يكن فى وسعها فعل شىء سوى مجاراته فيما يخطط له وتنفيذ ما طلبه منها، فلم يكن فى يدها دليل واحد تقدمه للشرطة حتى تثبت ما يخطط له هانى وعشيقته من قتلها والاستيلاء على أموالها وحتى لو كان ذلك الدليل فى يدها فهى لا تريد انتقام العاجزين كما تسميه .. لكنها تريد قتله ببطء لتقتل معه كل تلك الآلام التى عاشتها معه .. تريد أن ترى فى عينيه الذل والألم والخنوع قبل أن يموت .. وقتها فقط ستشعر بالراحة .. ربما يبقى معها ألم خيانته إلى أن تموت .. ولكن يكفيها أن تشعر بانتصارها عليه .. أن تسترد بعضًا من كرامتها وكبريائها الذين سحقهم بخيانته وطمعه.

كانت ثمة فكرة ما تدور برأسها لكى تمسك بزمام الأمور من يد ذلك العجوز المتصابى ولكن ظل سؤال واحد يتردد فى عقلها، تُرى هل يمكن لها أن تشترى ولاء ذلك المدعو أحمد عواد؟

ربما تستطيع فعل ذلك فقط لو دفعت أكثر.. فحتى الولاء قد يضعف ويموت أمام قوة المال وجبروته، نعم، ستعرض عليه الأمر فى الغد، وستعرض عليه المزيد والمزيد من المال فلا قيمة للمال إذا كان الأمر يتعلق بانتقامها وحياتها، ووقتها ستسير الأمور كما تريدها ووفقًا لخطتها هى، وسيكون انتقامها أقسى مما يتصور، فلا يوجد انتقام أشد وأصعب من انتقام امرأة جريحة .. كانت تحاول أن تجد عذرًا يريح ضميرها وهى تحاول أن تبرر ما تفكر فيه من انتقام.

- البادئ أظلم..

هكذا قالتها بصوت مسموع وهى تنهض لتغادر مكتبها فى العيادة فى طريقها إلى المنزل ..

****



كان هانى يتجول فى النادى صباح ذلك اليوم وهو على يقين أن أحمد يراقبه كالعادة لكنه تجاهل ذلك واستمر فى سيره حتى دخل ملاعب الإسكواش ليقابل صديقه تامر الذى كان ينتظره ليلعبا معًا مباراة.

كان قد بدأ فى الشعور أن طريقة أحمد فى التعامل معه قد بدأت تتغير فهو يتودد إليه على غير العادة .. كأن هذا الأخير يريد أن يصارحه بشىءٍ لكنه لم يجسر أن يفعل حتى هذه اللحظة .. أو هكذا خيل إليه.

أفاق من شروده على صوت صديقه تامر الذى وكزه بيده قائلًا:

- ما بك يا هانى؟ أراك هذه الأيام على غير عادتك وسمعت أنك تذهب للعمل يوميًا وتعود للبيت مبكرًا حتى النادى لم تعد تأتى إليه كثيرًا، وها أنت تأتى إلى النادى دون أن يكون معك أيًا من صديقاتك .. المهم لقد انتابنى القلق لإصرارك على ملاقاتى فى ملعب الإسكواش .. أهناك ما تريد البوح به يا صديقى؟

- لا .. لا يا عزيزى لا يوجد شىء .. لا تقلق كل ما فى الأمر أنى أردت مقابلتك فقط لممارسة بعض الرياضة و...

قاطعه تامر قائلًا:

- لا يا هانى .. الأمر ليس كما تدعى فأنا أعرفك جيدًا..

صمت هانى لبرهة وهو ينظر إلى تامر مترددًا حتى قال له بقلق:

- الأمر يتعلق بغادة..فسلوكها فى الفترة الأخيرة قد بدأ يقلقنى..

- سلوك زوجتك! ما الذى حدث يا رجل؟

سارع هانى بتوضيح الأمر لتامر قائلًا:

- لا .. لا .. الأمر ليس كما تظن هى فقط مرهقة طوال الوقت وأحيانًا تبيت فى مشفاها الجديد الذى تؤسسه كما أصبحت دائمة الشرود.

- وماذا فى ذلك؟ كل زوجاتنا هكذا وزوجتك طبيبة ناجحة ومن الطبيعى أن تكون مشغولة جدًا هذه الأيام بسبب تجهيزها لمشفاها الجديد..



قالها تامر ثم غمز بعينيه ضاحكًا:

- ولا تنسَ أنك تستعيض عنها بغيرها فى بعض الأوقات بل لا أبالغ إن قلت كل الأوقات إن جاز لى التعبير.

- لا ينقصنى مزاحك الآن يا تامر، فقد تغيرت الآن، والدليل أنك لم ترنى مع إحداهن منذ فترة طويلة.

ضحك تامر قائلًا فى سخرية:

- منذ فترة طويلة؟لا أعتقد أنه مر على الصيف الماضى فترة طويلة على ما أتذكر.

تأفف هانى من سخرية تامر التى لا تنتهى قائلًا:

- قلت لك أنه لا يوجد فى حياتى الآن سوى زوجتى وعملى فقط، وإن كنت ستستمر فى سخريتك هذه فسوف أنصرف، فانا لست فى مزاج يسمح لى بالمزاح.

أشار تامر بيده محاولًا استعادة جديته قائلًا:

- لا تغضب هكذا يا صديقى .. فأنا بالفعل لا أجد مبررًا لقلقك هذا، ربما أنت من يبالغ فى الأمر؟

- لا يا تامر.. فأنا أشعر بأن حب غادة لى لم يعد كما كان منذ بداية زواجنا .. فقد أصبحت العلاقة بيننا فاترة بشكل ملحوظ .. فنجاحها فى عملها قد غيّر كثيرًا من شخصيتها .. فلم تعد غادة التى أعرفها، أصبحت عصبية جدًا .. ولا تتقبل منى أى كلمة .. أوقات كثيرة أجدها تتحدث فى الهاتف لفترات طويلة وعندما أسألها تخبرنى أنها تتحدث مع بعض المرضى .. تخرج فى الثامنة صباحًا ولا تعود إلا بعد الخامسة مساءًا لتمكث ساعة واحدة فقط تتناول فيها غداءها ثم تعود مرة أخرى إلى العمل الذى قد ترجع منه فى أوقات متأخرة ، وقد تقضى أيامًا لا تعود فيها للمنزل بحجة العمل والمشفى الجديد ..

- حاول أن تلتمس لها العذر يا هانى .. فهى تعمل كل ذلك من أجل مستقبلكم.



ولا تنس أنه لا يوجد لديكم أطفال تملأ عليها حياتها، وربما يكون ذلك السبب فلا تلومها أو تعطى الأمر أكثر مما يستحق يا صديقى.

- ولكنها غير مهتمة بى أبدًا يا تامر..

- ولم لا تجلس وتتحدث معها فى هدوء؟

- لقد حاولت مرارًا وتكرارًا .. رجوتها كثيرًا أن تهتم بنفسها وبصحتها، واقترحت عليها أن تأخذ إجازة من العمل لنسافر فى أى مكان تختاره هى ولكنها لم تستجب .. دائمًا تتعلل بأن تلك هى طبيعة عملها كطبيبة، وتذكرنى أننى قد وافقت عليه منذ بداية زواجنا وليس لى أن أشكو منه الآن، ولكن المشكلة لا تكمن فى ذلك أيضًا...

عقد تامر حاجبيه وهو ينظر إليه فى حيرة:

- وأين تكمن المشكلة إذًا؟

- لقد طلبت منى مبلغًا ضخمًا جدًا لاستكمال ما دفعته ثمن لبعض الأجهزة الطبية المحجوزة فى الجمارك حاليًا .. وقد بدأت فعلًا فى تجهيز كل ما أملك من سيولة ولكن تبقى جزء ضئيل لاستكمال المبلغ المطلوب ..

ربت تامر على كتف صديقه قائلًا:

- إننا أصدقاء يا هانى .. هيا أخبرنى .. ما هو المبلغ الذى ينقصك؟

- هذا هو ظنى بك يا صديقى .. ولكن ما ينقصنى هو نصف مليون فقط لأستكمل لها المبلغ الذى طلبته.

رفع تامر حاجبيه فى دهشة وهو يهتف:

- نصف مليون .. إنه مبلغ كبير..

- أعلم يا صديقى، فقد طلبت منى مليونين كاملين

- يا الهى .. ما الذى ستفعله بكل هذا المبلغ؟

- هى تقول أنها لأجهزه طبية محجوز عليها الآن فى الجمارك، وكذلك ثمنًا



لأجهزة أخرى تحتاجها فى مشفاها الجديد حتى يتم افتتاحه ولقد جمعت مليون ونصف هى كل ما توفر لدى من سيولة ولكن ينقصنى هذا المبلغ فقط .. ففكرت فى أن أستدينه منك وإذا لم يتوفر لديك هذا المبلغ ليست مشكلة .. فوقتها سوف أعرض فيلا أكتوبر للبيع.

- المسألة ليست كذلك يا صديقى، ولكن فقط أعطنى مهلة ثلاثة أيام ثم سأخبرك بعدها إن كنت سأستطيع توفيره لك أم لا .. أما إذا كنت مُصرًا على بيع فيلا أكتوبر فأنا على استعداد لشرائها منك..

- اتفقنا يا تامر .. سأرسل لك المحامى الخاص بى لإنهاء كافة الإجراءات القانونية لبيع الفيلا وأنت تعلم سعرها بالطبع ولن نختلف أبدًا فى السعر، فكل ما أريده هو أن أحصل على المبلغ بسرعة من أجل غادة.

- لا تقلق يا صديقى فسوف يكون المبلغ عندك فى أقرب وقت، ولكن من ناحية أخرى فأنا على معرفة شخصية ببعض الأشخاص فى الجمارك وربما أستطيع أن أجعلهم يحاولون تخفيض المبلغ المطلوب أو حتى تقسيطه فهو مبلغ ضخم جدًا.

- لقد حاولت التحدث معها فى هذا الموضوع وطلبت منها أن أذهب بنفسى لإنهائه على الرغم من أنى ليس لى معارف هناك إلا أنها رفضت بشدة .. ولكن إذا كان لديك أصدقاء بالجمارك فلِمَ لا نحاول حتى ولو كان ذلك بدون علمها فأنت تعرف أنها عنيدة وتفضل الاعتماد على نفسها وسوف أخبرها حين نصل لنتيجة.

- حسنًا يا هانى كل ما أريده هو اسم زوجتك كاملًا ورقم الشحنة الخاصة بها وتاريخ وصولها وسأحاول إنهاء الموضوع بأقل تكلفة ممكنة.

- لا أعرف كيف أشكرك يا تامر.

- لا تشكرنى يا هانى فنحن أصدقاء يا رجل، ولكن يبدو أن زوجتك أصبحت غريبة الأطوار بالفعل.

- نعم .. فكل ما يهمها الآن هو الحصول منى على أكبر مبلغ من النقود.



- هذا الأمر غريب يا هانى .. ربما هناك تفسير واحد لكل ذلك .. فالمرأة لا تتغير هكذا إلا إذا كان...

- إذا كان ماذا؟

- لا .. لا .. الأمر ليس هامًا .. ربما هى وساوس فى رأسى.

- إذا كان هناك شخص غير زوجها فى حياتها؟ أليس هذا ما تقصده؟

- لا أستطيع قول ذلك بالطبع ولكن الأمر مثير للشكوك بالفعل لو كنت مكانك لراقبتها يا صديقى.

- أتظن أنها؟ غادة؟ أتكون؟!

هز هانى رأسه بعنف وهو يهتف:

- مستحيل.

- أنا لا أتهم زوجتك بشىء .. لكن أمور كثيرة مما رويتها لى تثير الشك بالفعل

توقف هانى وهو يقول فى شرود:

- أتعرف يا تامر.. لقد جعلتنى أنتبه لأشياء كثيرة لم أُلقِ لها بالًا من قبل...

- فكر جيدًا فى الأمر يا هانى .. وانتبه لزوجتك أكثر.

قالها وتركه ليلتقط الكرة ويرطمها فى جدار الملعب فى انتظار تلقيها من هانى الذى كان يتصنع الذهول .. ولكنه فى داخله كان يبتسم تلك الابتسامة الماكرة وهو يخطو أول خطوة فى طريقه لتنفيذ خطته.

****

فى مساء اليوم وبعد أن انتهى أحمد من توصيل هانى إلى منزله توجه للقاء غادة فى مشفاها الخاص الذى لم يفتتح بعد. وذلك وفقًا للموعد الذى حددته له.

إلا أنه وعندما وصل للباب الخارجى للمشفى وجده موصدًا مما اضطره لقرع الباب الخارجى عدة مرات حتى اضطر إلى محادثة غادة هاتفيًا لإخبارها أنه فى إنتظارها



فاعتذرت له لعدم تواجد أحد من العمال بالمشفى لأنها صرفتهم اليوم باكرًا وعدم سماعها لطرقاته وما هى إلا دقائق حتى كان يجلس أمامها فى غرفة مكتبها.

كانت غادة قد استقبلته بترحابٍ مبالغ فيه .. وقد أصرت على تقديم مشروب بارد له بنفسها .. مما جعله يشعر بالقلق من تصرفاتها التى جعلته يشعر أنها تدبر لأمر ما يجهله .. أما غادة فقد أنصتت إليه وهو يحدثها بالتفصيل عن أخبار زوجها وتحركاته وملاقاته لأحد أصدقائه فى النادى صباح اليوم، وعدم رؤيته لصفاء خلال فترة عمله مع هانى، وكذلك تعليمات نبيل التى ينفذها أولًا بأول ولكنها قاطعته لتسأله عن حقيقة علاقته بنبيل وبالرغم من أنه تحاشى إجابتها بادئ الأمر إلا أنه وبعد إلحاح منها لمعرفة إجابة لتساؤلها أجاب:

- لقد تعرفت على نبيل بك لأول مرة فى سجن الاستئناف..

هتفت غادة بدهشة:

- ماذا؟ سجن الاستئناف؟ هل كان نبيل مسجونًا؟

أومأ أحمد برأسه قائلًا:

- كان محكومًا عليه فى قضية تزوير.. فى الوقت الذى كنت أقضى فيه فترة العقوبة فى قضية مخدرات .. وقد توطدت علاقتنا خلال تلك الفترة البسيطة التى قضيناها فى السجن فنبيل بك كان ينفق أمواله فى السجن لحمايتنا له من بطش المسجونين والسجانين فى نفس الوقت، مما جعل له سطوة ونفوذ على أغلب الموجودين هناك خلال فترة جيزة. ولا أنكر أن ذلك هو سبب تقربى منه خلال تلك الفترة البسيطة التى قضيناها معًا .. فقد استطاع بطريقةٍ ما بعد رِشوة أحد السجانين الهروب خلال تواجده بمستشفى السجن بعد أن تم نقله إليها بدعوى إصابته بالتسمم .. بعدها اختفت إلى الأبد شخصيته الحقيقية لتظهر بعد ذلك شخصية نبيل بك علام.

نظرت إليه غادة وهى لا تكاد تصدق ما تسمعه، كيف كانت ستضع ثقتها وحياتها بين يدى اثنين من المجرمين، ولكنها تمالكت نفسها لتسأله فى دهشة لم تفارقها:



- ولماذا تدين له بالولاء إلى هذا الحد؟

- عندما هرب لم ينسانى بالسجن، فقد كان يرسل لى المال وكل ما أحتاجه عن طريق أحد الأشخاص الذى وكل إليه أمر زيارتى شهريًا وتلبية جميع متطلباتى، فهو لم ينسَ لى المعروف أبدًا.

- أى معروف؟

- الأمر بسيط جدًا ولكنه شعر أن ذلك دينًا فى رقبته لى .. فعند دخوله للسجن أول مرة حاول بعض الشواذ الممتلئة بهم السجون التعدى عليه، ولكنى دافعت عنه بضراوة ومن وقتها اتخذنى كحارس خاص له حتى أصبحت له هيبته خاصة مع إغداقه للأموال على الجميع.

- ولكنه ذكر فى رسالته أنك أنت من تدين له بالمعروف بعد إنقاذه حياتك.

تأفف أحمد قائلًا:

- ألا تلاحظين أن أسئلتك كثيرة جدًا اليوم يا دكتورة؟!

ارتبكت غادة ولكنها أردفت قائلة:

- لا .. لا .. إننا نتجاذب أطراف الحديث فقط، فكل ذلك لا يهمنى .. فأنا لى حديث آخر معك ولكنى كنت أود معرفة تلك العلاقة التى جمعتك مع السيد نبيل من باب الفضول ليس أكثر ثم لا تنسَ أنى قد وثقت بكم فى أمر يتعلق بحياتى .. ألا تثق بى لإخبارى بأمرٍ بسيط كهذا؟

تنهد أحمد وهو يقول فى لا مبالاة:

- عندما كنت فى السجن بعد هروب السيد نبيل أخبرتنى زوجتى فى إحدى زياراتها أن ابنى الصغير يعانى من ثقب فى القلب وأن حالة القلب متأخرة جدًا ويحتاج لعملية جراحية عاجلة، ولكنها لم تكن تملك نفقات تلك العملية، وعندما زارنى حسين الذى كان يرسله لى السيد نبيل شهريًا أخبرته بذلك وطلبت منه إخبار السيد نبيل باحتياجى لنفقات العملية فقد كان يعتبر أملى الوحيد بعد الله.



- وهل قام نبيل بتحمل تلك النفقات؟

- بالطبع فهو لم يتأخر لفعل أى شىء لابنى، فقد عرضه على أكبر الأطباء وحجزله فى مشفى خاص ليجرى له العملية أمهر جراحى القلب فى مصر، ولم يكتفى بذلك وإنما تكفل بكل احتياجات أسرتى أيضًا.

- لذلك أنت تحفظ له هذا المعروف؟

- بالطبع .. فأنا مدين له بما فعله من أجل ابنى، لذلك سأفعل أى شىء من أجله وسأنفذ أى طلب يطلبه منى.

قال أحمد ذلك وهو ينظر لغادة بنظرة فاحصة مردفًا:

- ولكن ما السبب فى توجيه كل تلك الأسئلة؟

تراجعت غادة قائلة فى لا مبالاة:

- لا شىء .. مجرد نقاش .. أخبرنى كيف حال ابنك الآن؟

أطرق أحمد برأسه حزنًا وهو يقول بإاقتضاب:

- لقد توفى بعد العملية بشهرين..

- أنا آسفة .. لم أكن أقصد أن...

قاطعها أحمد قائلًا:

- لقد اعتدت على ذلك .. فقد أصابتنى لعنة الحزن فلم أعد أبالى .. أصبح قلبى كمن قُدَّ من صخر .. أصابته القسوة وويل للقلب إذا ماتت روحه.

اندهشت غادة من طريقة حديثه فاقتربت منه محاولة تغيير دفة الحديث قائلة:

- تاجر مخدرات وفيلسوف أيضًا؟ أنت تدهشنى بالفعل.

- أنا لست تاجر مخدرات .. كل ذلك كان بسبب التعاطى والذى توقفت عنه بعد دخولى السجن.

نهضت غادة من مقعدها واقتربت منه وهى تضع يديها على كتفه من الخلف قائله وهى تقترب من أذنه:



- كذلك الدين الذى تدين به لنبيل يا عزيزى .. فقد انقضى بمضى الزمن..

جفل أحمد من حركتها المباغتة مما جعلها تبتسم قائلة فى دلال:

- لماذا ترتعد هكذا؟ من رائحتك أكاد أُجزم أنك خائف ولكن لماذا؟ فأنا لا أُخيف إلى هذا الحد .. لا تخف لن يدرى أحد بما دار بيننا ولا حتى نبيل نفسه.

انتفض أحمد وهو ينهض مبتعدًا عنها هاتفًا:

- ما الذى تريدينه تحديدًا منى يا دكتورة؟ منذ أن أتيت إلى هنا وأنتِ تستجوبينى دون أن تفصحى عما تريديه منى حقًا.

ابتسمت غادة وقد اقتربت منه مرة أخرى وهى تطوق رقبته بيديها وتهمس فى أذنه فى دلال:

- كل ما أريده أن أطمئن لمن أضع حياتى بين يديه أليس ذلك من حقى؟

داررأس أحمد وسالت قطرات العرق على جبهته وهى لاتزال تلف يديها حول رقبته قبل أن يهتف بصوتٍ متهدج من شدة الانفعال:

- اطمئنى...

تابعت غادة همسها بدلال وهى تقترب منه أكثر:

- أنا أطمئن لك بالفعل، ولكنى لا أثق أبدًا بنبيل هذا فلا أدرى شيئًا عن خطته ولا ما يريد فعله، وبالرغم من ذلك فقد نفذت ما طلبتموه منى إلى الآن، ولكنى ما زلت خائفة.

التقط أحمد أنفاسه فى صعوبة وهو يهمس بصوت متحشرج:

- لا تخافى.

- كيف لا أخاف يا أحمد؟ إنها حياتى ربما أطمئن لو كنت أنت فقط إلى جانبى، فلا أدرى كيف اخترقت قلبى وعقلى فى هذا الوقت القصير، لذلك أنا أثق بك، بك أنت فقط، ولكنى لا أريد سوى معرفة تلك الخطة الغامضة ليطمئن قلبى أكثر.

ابتلع أحمد لعابه فى صعوبة وهو يمسك بيديها الملتفة حول رقبته قائلًا فى شهوة:



- إنها خطة بسيطة تعتمد على تلفيق قضية مخدرات لزوجك وذلك بوضع زوجك فى حالة تلبس بعد ضبط المخدرات فى سيارته والتى سيتم وضعها بالسيارة دون أن يشعر، وسيتم ذلك فى الوقت المناسب وتحديدًا فى أوائل ديسمبر القادم، لأنه أيضًا قد أعطى مهلة لزوجته صفاء ليطلقها لكى يستطيع أن يأخذ منها كل ما أعطاه لها .. أو ربما لتتراجع عن قرارها بالطلاق.

سحبت غادة يدها التى التفَّت حول رقبة أحمد بحركة مفاجئة وقد تبدلت ملامحها وهى تهتف بغضب:

- ماذا؟ كنت أشعر منذ البداية أنه شخص ضعيف يفتقر لأبسط مقومات الرجولة .. زوجته تخونه أمام عينيه وهو يستجديها ويعطيها مهلة لكى تتراجع عن قرارها بالطلاق .. بدلًا من أن يقتلهما معًا وينتقم لشرفه وكرامته، أى رجل هذا!!

اندهش أحمد من انفعال غادة وتبدلها السريع، وتوتر أكثر من حديثها عن القتل، فهتف بها قائلًا:

- قتل!! ماذا تقولين؟ إن نبيل بك لا يستطيع حتى ذبح دجاجة.

- وهل تقدر أنت على ذبح تلك الدجاجة؟

عقد أحمد حاجبيه وهو يتمتم فى حيرة:

- أية دجاجة؟ ما الذى تريدينه منى بالضبط يا دكتورة غادة؟

نظرت إليه غادة نظرة فهم مغزاها قائلة فى هدوء:

- أنت تفهمنى جيدًا يا أحمد بل وتعى كل حرف أتفوه به .. فأنت لست بتلك السذاجة التى تتظاهر بها .. لذلك دعنا نتحدث بصراحة فأنت لا تتحدث مع طفلة صغيرة.

- ولكن القتل ليس سهلًا أبدًا..

- أعرف ولكنك تستطيع ذلك ثم إن لكل شىء ثمن؟

ارتبك أحمد محاولًا الهرب من نظرات غادة:



- ولكن القتل ثمنه غالٍ فمجرد التفكير فى القتل يحولك إلى شخصٍ آخر.. شخص يتجرد من آدميته .. حتى طعم الدم سوف تعتاديه بعد أول مرة وسيأتى يومًا تتلذذين فيه بالقتل، فلا تستهينى أبدًا به، فالأمر ليس بتلك السهولة .. ثم إن تعليمات نبيل بك.

قاطعته صائحة فى غضب:

- فليذهب نبيل بك هذا إلى الجحيم .. أخبرنى مالذى ستأخذه من نبيل هذا؟ كم سيدفع لك مقابل كل هذا؟

نظر أحمد فى عينيها مباشرة هذه المرة وهو يقترب منها قائلًا بهدوء:

- الموضوع ليست أموال فقط يا دكتورة أنا أدين للرجل بمعروفه، ولا أكذبك فقد وعدنى بمبلغ لم أكن أحلم به بعد أن ينتهى الأمر.

فهمت غادة ما يرمى إليه فأردفت قائلة:

- سألبى لك كل ما ستطلبه يا أحمد .. سأعطيك ضعف ما كان سيدفعه لك نبيل ولكن سأدفع لك النصف الآن والنصف الآخر بعد أن تنفذ المطلوب، ليس هذا فحسب بل و سأمنحك أيضًا كل ما تتمناه.

- وما هو المطلوب؟

- أريد التخلص من هانى زوجى وعشيقته .. وسيكون ذلك على طريقتى وبخطتى أنا .. أريد قتل الإثنان سويًا .. كم تريد لإنهاء الأمر؟

- لقد اتفق السيد نبيل معى على مائة وخمسون ألف جنيه يعطيهم لى فور انتهاء العملية.

نظرت إليه فى دهشة قائلة:

- فقط؟ وتسمى ذلك مبلغًا مهولًا؟

وعادت إلى مكتبها لتمد يدها إلى دفتر الشيكات الموجود بحقيبتها لتحرر له شيكًا بمبلغ مائتين وخمسين ألف جنيه، وتناوله إياه قائلة:



- هذا فقط نصف المبلغ والنصف الآخر سأعطيه لك بمجرد انتهائك من العملية ولكنى أريدها عملية نظيفة تمامًا ليس لها أى أثر.

نظر أحمد إلى الشيك فى ذهول محاولًا تمالك نفسه وهو يهتف:

- نصف مليون جنيه للتخلص منهم؟ أعتقد أن ذلك كثير جدًا.

- ليس كثيرًا عليك يا أحمد.

نظر إليها بنظرة فاحصة ملؤها الرغبة قائلًا:

- لكنى أخبرتك أن الموضوع ليس أموال فقط يا غادة...

ضحكت غادة فى خبث و هى تقترب منه فى دلال قائلة:

- وأنا أخبرتك أننى سأعطيك كل ما تتمناه.

وعادت الخيانة لتحلق من جديد واضعة المزيد من الأقنعة التى ترزح تحت ثقل المزيد والمزيد من المبررات متجاهلة واحدة من أهم قواعد اللعبة .. فلا يوجد على وجه الأرض ما يبرر الخيانة حتى ولو كانت الخيانة نفسها.

أبدًا...

****





الخطة

إنهـا تلـك المعادلـة الصعبـة التـى وضعهـا الإنسـان منـذ بدايـة الخليقـة ليطيـح بإنسـانيته تلـك المعادلـة التـى تفـوق بهـا عـلى أكـثر الحيوانـات وحشـية عـلى وجـه البسـيطة .. إنهـا المـرأة والمـال .. مـن أجلهـم تهتـز عـروش وتنهـار ممالك ويقتـل الأخ أخـاه .. قـد يأخـذ أحدهـم بيـدك ليرتقـى بـك إلى السـماء .. وقـد يدفـع بـك لتهـوى إلى قـاعٍ سـحيق لتضيـع فيـه ووقتهـا..

لن تجد حتى غراب قابيل ليرشدك.





كان هانى يشعر أن أحمد يحاول التودد إليه والتقرب منه بكل الطرق .. فقد اختفت تلك النظرة التى كان يرمقه بها .. وأصبح يعامله بلطف .. بل حاول كثيرًا أن يتجاذب معه أطراف الحديث لكنه كان يعامله بحذر وهو يتصنع اللامبالاة.

أما أحمد فكان يريد أن يلعب على كل الأطراف فلا يدرى أحد ما الذى يفكر فيه أو ينتويه .. ولقد لفتت محاولته للتقرب من هانى انتباه الأخير إليه بالفعل، مما دفعه لاستدعائه إلى مكتبه لمقابلته.

وما أن دلف أحمد إلى المكتب حتى استقبله هانى فى هدوء وهو يتظاهر بفحص بعض الأوراق التى أمامه دون أن ينظر إليه محاولًا أن يخفى انفعاله .. فتأفف أحمد قائلًا فى هدوء:

- أستاذ هانى .. من الممكن أن أحضر لمقابلتك فى وقتٍ آخر إن كنت منشغلًا الآن.

رفع هانى نظره إليه وكأنه فوجئ بوجوده:

- لا داعى لذلك .. هناك فقط المئات من الأوراق والتى يصر أمجد سكرتيرى الغبى على مراجعتها فى كل ساعة كلما رآنى ولقد انتهيت منها بالفعل .. لماذا تقف هكذا؟ هيا اجلس فأنا أريدك فى أمر هام..

جلس أحمد واضعًا تلك الحقيبة السوداء التى كان يحملها إلى جانبه وهو يتساءل عن سر استدعاء هانى له .. ودارت فى رأسه عشرات التساؤلات .. أيكون قد شعر بما يدور بينه وبين زوجته الطبيبة؟ هل اكتشف وجود علاقة بينهما؟ ولكنه بتر تلك التساؤلات وهو يواجه هانى قائلًا:

- خيرًا يا سيدى.

تراجع هانى فى مقعده وهو يقول فى هدوء:

- أنصت إلىَّ جيدًا يا أحمد .. سأدخل فى الموضوع مباشرة .. فبالرغم من مدة عملك القصيرة معى إلا أنى أشعر أنك ربما تمر بمشكلة ما فأنا أراك أغلب الوقت قلق



ومتوتر وبما أنى أهتم كثيرًا بالموظفين لدىّ وأعتبر نفسى مسؤولًا عنهم لذلك فكرت فى الحديث معك فلا تتردد فى طلب أية مساعدة منى .. ولن أتأخر فى تقديم أى شىء لمساعدتك ما دمت أستطيع ذلك بالطبع.

توتر أحمد وأخرج منديله ليمسح العرق الذى بدأ يتصبب على جبينه كعادته عندما يمر بما يقلقه .. مما أكد لهانى ظنه وجعله يردف قائلًا فى لهجة ودودة:

- ماذا بك يا رجل؟ أخبرنى ولا تتردد فأنا أقف دائمًا بجوار رجالى .. وما يمكن أن تراه أنت صعبًا قد أكون أنا قادرًا على تحقيقه .. هيا تحدث .. أتمر بضائقة مالية أم أن هناك مشكلة أخرى؟

- المسألة ليست مسألة نقود يا سيدى..ولكنى أمر بأزمة بالفعل وربما لو لم تكن قد دعوتنى اليوم لكنت أتيت إليك لأتحدث معك.

مال هانى مستندًا بمرفقيه على مكتبه قائلًا بلهفة:

- حسنًا يا أحمد تحدث، كلى آذان مصغية.

تردد أحمد قليلًا قبل أن يقول فى توتر:

- ولكن .. ولكن...

هتف هانى بلهفة أكثر وقد قارب صبره على النفاد:

- ولكن ماذا يا رجل؟ تحدث لا تتردد.

- ولكن أريدك قبل أى شىء أن تعطينى الأمان فما سوف أحدثك به سيكون بمثابة صدمة لك ولا أعلم كيف سيكون تأثيرها عليك؟

اضطرب هانى من حديث أحمد واعتدل فى جلسته محاولًا أن يتمالك نفسه وقد تنبهت حواسه كاملة وهو يقول فى دهشة حاول أن يصطنعها:

- صدمة؟ لى أنا؟ فليكن .. لك ذلك .. هيا تكلم.

- سأدخل فى الموضوع مباشرة دون أية مقدمات .. فقد علمت زوجتك دكتورة غادة بكل شىء .. أقصد ما تحاول أن تخفيه عنها..



حاول هانى أن يتمالك نفسه وهو يقول فى تلعثم:

- ماذا تقصد بقولك هذا؟ وما الذى أحاول أن أخفيه؟ بل ما علاقتك أنت بغادة؟

- لقد علمت بعلاقتك بإحدى السيدات .. وقد استأجرتنى لأراقبك وهى التى خططت لأعمل لديك وأكون قريبًا منك وأنال ثقتك.

هتف هانى به فى غضب وارتباك:

- ماذا؟ عن أية علاقة تتحدث .. يبدو أنها تهذى.

- لا داعى للإنكار يا سيدى .. فأنا لا يهمنى الأمر مطلقًا لتنكره أمامى ولكن زوجتك تعلم أنك تخونها مع سيدة اسمها صفاء وتعلم أيضًا عن لقاءاتكم فى غرفة نومها أثناء سفرها.

عقد هانى حاجبيه قائلًا فى شك:

- وما علاقتك أنت بالموضوع؟ ومن أين لك أن تعرف كل هذا؟

- ستعرف علاقتى بالأمر بالتأكيد هذا إن تركتنى أكمل لك دون أن تقاطعنى.

هتف هانى وهو يلوح بيديه فى توتر:

- تفضل .. أكمل .. فصبرى بدأ ينفد.

تجاهل أحمد انفعال هانى وهو يردف قائلًا:

- بعد معرفتها بالأمر استطاعت دكتورة غادة أن تتوصل إلى زوج عشيقتك رجل الأعمال المعروف نبيل علام وهو من بعث بى لغادة لتجعلنى أعمل عندك حتى أراقبك .. فالسيد نبيل دائمًا ما يلجأ لى لإنهاء بعض الأعمال الخاصة له والتى لا يستطيع هو أن يقوم بها .. أنت تفهم ماذا أقصد بالطبع؟

زفر هانى وقد بلغ به التوتر مبلغه وهو يقول:

- أفهمك بالطبع .. أكمل.



تابع أحمد بهدوء وكأنه لم يسمعه:

- بعد أن لجأت زوجتك للسيد نبيل وأخبرته بعلاقتك مع زوجته .. وبالرغم من أنه تعامل مع الأمربيرود فى البداية إلا أنه طلب منى الذهاب إلى دكتورة غادة مع رسالة يخبرها فيها بضرورة إلحاقى بالعمل لديك بأى طريقة لأكون قريبًا منك وقد كان.

- وما الذى كان يريده من ذلك؟ أكمل يا أحمد، فأنت لا تدرى أنك قد فسرت لى أشياء كثيرة بحديثك هذا.

تردد أحمد وهو يردف قائلًا:

- كل ما هنالك أنه كان يريد..

- تكلم يا أحمد لا تتردد؟

- كل ما يريده هو توريطك فى قضية مخدرات.

- مخدرات؟ وكيف سيفعل ذلك؟

- سيتم إلصاق تهمة تجارة المخدرات بك عن طريق وضع حقيبة صغيرة تحتوى على المخدرات وسط أمتعتك فى الوقت الذى سيتم الإبلاغ عنك .. ولقد اتفق معى على أن أكون أنا من يقوم بتلك المهمة مقابل مبلغ ضخم من المال .. لكنى.

- مخدرات!! اللعنة عليه وعلى غادة .. كيف تجرؤ تلك الحمقاء؟ أيكون انتقامها منى بأن تلفق لى تهمة كهذه لتلقى بى فى السجن لبقية عمرى هذا هو مخططها إذن .. ولماذا تخبرنى بكل ذلك؟ أليس من مصلحتك أن تستمر فى خطتك حتى تنال ما وعدك به نبيل هذا من المال؟

أومأ أحمد برأسه فى خبث قائلًا:

- نعم يا سيدى .. ولكن تلك الخطة كانت قبل أن تطلب منى زوجتك القيام بمهمة أخرى.

- مهمة أخرى؟ وما هى تلك المهمة الأخرى؟ يا إلهى وكأنى لا أعرف تلك المرأة التى تزوجتها طوال السنوات الماضية التى قضيتها معها.



- لقد طلبت منى أن .. أن...

هتف به هانى فى غضب:

- إنطق يا أحمد .. فلقد نفد صبرى.

مال أحمد على المكتب وهو ينظر إليه مباشرة ويقول بصوتٍ منخفض وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

- لقد طلبت منى أن أقتلك؟

انتفض هانى واقفًا وهو يهتف فى ذهول:

- ماذا؟

- نعم يا سيدى..لقد كانت تظن فى البداية أن السيد نبيل يخطط لقتلك ولكنها عندما علمت أنه لا ينوى على ذلك، قررت أن تخطط هى لقتلك وطلبت منى أن أقوم بتنفيذ ما خططت له.

ألقى هانى بنفسه على المقعد المواجه لأحمد وهو يمسك برأسه وهو يتمتم غير مصدق لما يسمعه:

- لا أصدق .. غادة تقتلنى أنا؟

- نعم يا سيدى وقد أعطتنى بالفعل مبلغ لم أكن أحلم به كمقدم لتنفيذ العملية ووعدتنى بمثله بعد انتهائى من التنفيذ نصفه مقدم والآخر بعد أن أتم المهمة.. ولأنى بحاجة شديدة للمال فقد قبلت منها المال الذى حررت به شيكًا قمت بصرفه ولكنى قمت بتصويره قبل أن أصرفه ..

قالها وهو يتناول حقيبته التى كان قد وضعها بجانبه عند دخوله وقام بفتحها ليخرج من أحد جيوبها الأمامية صورة من الشيك ويمد يده به إلى هانى الذى تناوله فى دهشة وأحمد يردف قائلًا:

- كنت أعلم أنك لن تصدقنى لذلك احتفظت بصورة منه لكى تراها وتتأكد بنفسك .. وهناك أمر آخر...

قالها ومد يده ليخرج عدة رزم من المال واضعًا إياها أمام هانى الذى تمتم مذهولًا:

- ما هذا يا أحمد؟

- ما تبقى من المال الذى أعطتنى إياه زوجتك بعد سداد ديونى .. لقد أخذت من زوجتك مبلغ ربع مليون جنيه مقابل قتلك .. ولكنى قمت بالتصرف فى سبعون ألف جنيه لاحتياجى لها .. وأمامك مائة وثمانون ألف جنيه يا سيدى...

نظر هانى للمبلغ فى حيرة ثم التفت إلى أحمد قائلًا:

- ولماذا تفعل كل ذلك؟

- لا أعلم .. لن أقول لك أنها صحوة ضمير أو ما شابه ذلك لكن دعنا نتحدث بصراحة فقد فكرت أنه بحضورى إليك واعترافى لك بكل شىء ربما تستطيع تعويضى عن كل الأطراف التى ضحيت بها مقابل هذا الاعتراف.

ساد هدوء غريب بعد ما قاله أحمد وظل كلًا منهما يتطلع للآخر دون أن ينبس ببنت شفة .. إلى أن قطع هذا الصمت انفجار هانى فى نوبة ضحك هستيرى .. كان رد فعل هانى غريبًا جدًا لدرجة أنه جعل أحمد يشعر بالتوتر والندم على مصارحته لهانى بالأمر وهو ينظر إلى المبلغ الذى وضعه أمام هانى وفقدانه لبقية المبلغ الذى كانت ستعطيه إياه غادة.

ولكن هانى هتف وهو ما يزال يضحك:

- حقيقة لا أعلم كيف واتتك الجرأة لتأتى إلىَّ وتخبرنى بكل ما أخبرتنى به .. فلو كنت مكانك كنت سأخاف بالتأكيد من أن أقوم بإبلاغ الشرطة عنك وعن غادة ونبيل .. ألم تفكر فى أن أقوم بفعل ذلك وتخسر أنت كل شىء؟

نظر إليه أحمد بهدوء قائلًا فى ثقة:

- لا يا سيدى .. فأنا واثق أنك لن تفعلها فأنت لا تملك أى دليل على أقوالى تلك. بالإضافة إلى سببٍ أهم ..



- وما هو؟

- أننى الوحيد الذى يملك تسجيل للحوار الذى دار بينك وبين صفاء فى مكالمتك الهاتفية معها وأنت تخطط لقتل زوجتك.

انتفض هانى وهو يهتف فى قلق وتوتر:

- شريط؟ أى شريط هذا؟ وكيف وصل إليك؟ وما الذى يحتويه؟ وأين تم تسجيله؟ وهل تعلم غادة عنه شىء؟

- هل لك أن تجلس وتهدأ قليلًا حتى نتحدث دون توتر.. نبيل بك هو من أعطانى إياه لأسمعه لزوجتك وهو ما قمت به بالفعل ولا أدرى من أين حصل عليه.

- وبالطبع غادة تملك نسخة منه الآن؟

- لا يا سيدى.. لقد احتفظت بالنسخة الوحيدة منه بعد أن أسمعتها إياه.. ولا يوجد أى نسخة أخرى حتى نبيل بك نفسه لا يملك منه نسخة.

- لقد فهمت الآن كل شىء.. أنت هنا لابتزازى.

تأفف أحمد من هانى قائلًا:

- لماذا لا تفهمنى جيدًا؟ أيه ابتزاز يا سيدى؟ من فضلك لا تسىء فهمى أنا نفسى لا أدرى لماذا احتفظت بالشريط بعد أن أسمعته لزوجتك؟ ولِمَ لم أعِدهُ للسيد نبيل؟ ولكى تتأكد أنى لست هنا لابتزازك فها أنا ذا أسلمك النسخة الوحيدة من الشريط.

وامتدت يده إلى حقيبته ليخرج منها شريطًا صغير الحجم ليعطيه لهانى الذى اختطفه بلهفة قائلًا:

- ولكن ما الذى ستستفيده بعدما أعطيتنى الشريط فلو كنت فى موقفك للعبت على كل الأطراف لأخرج من الأمر بكل ما أستطيع جمعه من أموال.

- أعتقد أنى بهذا أثبت ولائى لك فقد وضعت كل خيوط اللعبة فى يدك وأثق أنك سوف تعوضنى.



أطرق هانى مفكرًا وهو ينظر بهدوء إلى أحمد وامتدت يده ليسحب سيجارة فيسرع أحمد بإشعالها له، نفث دخانها فى بطء ثم يقول:

- أنصِت إلىَّ يا أحمد أعتقد أن بموقفك هذا تكون قد أثبَتَّ فعليًا ولائك لى .. ولكن بقى شىء صغير إن فعلته فسأضع ثقتى الكاملة فيك وسأعوضك عن كل ما كنت ستجنيه من غادة ونبيل وربما أكثر ما رأيك بمليون جنيه؟

اشتعلت عينى أحمد ببريق الطمع وهو يهتف قائلًا:

- ماذا؟ مليون ماذا؟ وما هو يا سيدى؟

- مهمة صغيرة ستفعلها لحسابى.

- وما طبيعة تلك المهمة؟

- ليس الآن .. سأخبرك كل شىء فى وقته أما الآن فاعتبر هذا المبلغ المتبقى من نقود غادة التى أعطتك إياها مجرد مصاريف انتقال.

هتف أحمد فى جشع وهو يجمع المبلغ الذى وضعه أمام هانى ليضعه فى حقيبته مرة أخرى:

- لا أدرى كيف أشكرك يا سيدى سأكون تحت أمرك وفى خدمتك دائمًا مهما طلبت منى .

- ولكن لا تأتى إلى هنا مرة أخرى فلا أريد لأحدهم أن يرانا نجتمع سويًا بدون مبرر وسيكون حديثنا كله فى السيارة فقط لا نريد أن نلفت الانتباه فيجب علينا أن نبقى حذرين.

- حسنًا يا سيدى .. سأنفذ كل ما ستطلبه منى وصدقنى لن تندم على ثقتك فىّ.

- سنرى .. ومن الغد لا تأتى إلى العمل؟

- لماذا؟



- لا تسألنى أبدًا نفذ وحسب ستعلم كل شى فى حينه وسوف نتحدث هاتفيًا إذا أردتك .. حتى يأتى الوقت المناسب لتنفيذ ما سأطلبه منك.

- حسنًا يا سيدى .. أنا أعتذر .. لن أسألك عن أى شىءٍ أبدًا.

استأذن أحمد وقام لينصرف وهو يفكر فى الخطوة القادمة .. فقد استطاع أن يكسب ثقة هانى الذى تأكد أنه لا يهمه سوى المال فقط .. لم يشعر بلحظة من الذنب أو تأنيب الضمير لأنه أخبر هانى بما تخطط له غادة، حتى بعد ما حدث بينه وبينها .. فقد كان كل ما يسعى إليه هو أن ينال رضا هانى بأى شكل .. فعن طريقه سيصل إلى ما يحلم به...

أما داخل المكتب فقد أخذت الأفكار الشيطانية تتصارع فى رأس هانى .. فها هو ذا يعثر على الشخص المناسب الذى كان يبحث عنه لتنفيذ العملية التى خطط لها .. ذلك الشخص الجشع والذى يهمه فقط الحصول على المال .. هو لا ينكر أنه كان يبحث عن شخص ينفذ العملية، ولكن دخول شخص مثل أحمد اللعبة ووضعه لكل تلك المستجدات أمام هانى جعله يعيد حساباته ويقوم بتعديل جذرى فى خطته .. تعديل سوف يمكنه من ضرب عصفورين بحجرٍ واحد.

تناول هانى هاتفه ليتصل بغادة ويخبرها :

- غادة لقد جمعت لكِ المبلغ المطلوب.

أجابته ببرود:

- حسنًا .. هذا ما كنت أنتظره بالطبع.

- ولكنى أرجو منكِ أن تؤدى لى خدمة فى المقابل أيضًا يا عزيزتى..

- أتعشم ألا تطلب منى إيصال أمانة أو ما شابه ذلك؟

- كيف تفكرين فى ذلك يا حبيبتى؟ كل ما هنالك أننى استطعت توفير مبلغ مليون جنيه إضافية ستكون معكِ فى طريقك إلى الإسكندرية لأنى سأتمم جزءًا من الصفقة التى تحدثت معك عنها هناك فى منتصف الإسبوع التالى وسيكون معى وفد



أجنبى وأخشى الانشغال مع الوفد ونسيان المبلغ لذلك رأيت أنه من الأفضل أن أرسل معكِ المبلغ حتى أتفرغ لترتيبات استقبال الوفد.

- ليس لدىَّ أية مشكلة فى ذلك.

ضحك هانى قائلًا فى سخرية لم تنتبه غادة إليها:

- أترين كيف أثق بِكِ يا زوجتى العزيزة.

أنهى اتصاله مع غادة وهو يبتسم وقد استند برأسه إلى كرسيه متطلعًا إلى صورة الشيك الذى كان قد وضعه فى جيبه متعمدًا دون أن يلاحظ أحمد ذلك وهو يفكر كيف أن هذا الأخير قد ترك دون أن يقصد دليلًا ضده.

****

فى مساء ذلك اليوم كانت صفاء تحتسى كوبًا من القهوة الساخنة فى تلك الأمسيه من أواخر شهر نوفمبر وهى تستمع إلى نبيل الذى يتحدث إليها هاتفيًا والذى ظل طوال المكالمة يذكرها بماضيهما معًا مما أصابها بالضجر فأبعدت الهاتف قليلًا لتتابع البرنامج المفضل لديها على التلفاز أمامها حتى أفاقت على صراخه من الناحية الأخرى فصرخت بدورها:

- أتهاتفنى من دبى حتى تذكرنى بماضينا معا؟ لولا أن ظهر على هاتفى رقم خاص ما كنت لأجيبك..فلم أكن أريد أن يصيبنى الصداع والاكتئاب بحديثى معك.

رد عليها نبيل ليرجوها بلهجة استعطاف قائلًا:

- أرجوكِ يا صفاء أن تستمعى إلىَّ فأنا...

قاطعته صفاء وهى تصرخ فيه بغضب:

- بل أنت من ستنصت إلىَّ يا نبيل .. للمرة الألف أقولها لك أنا لا أريدك بل لم أعد أتصور حياتى معك .. ألم تَمِلَّ بعد من تمثيل دور العاشق الولهان معى؟ ألم تدرك بعد أنك كومبارس فاشل حتى فى تمثيل ذلك الدور معى؟ لقد ضجرت من كل تلك الذكريات التى تتحدث عنها بل إن مجرد تذكرها يصيبنى بالغثيان ويجعلنى أتمنى

لو أنى أفقد تلك الذاكرة لأمحى منها معرفتى بك .. ألم أقل لك أننا وصلنا إلى طريق مسدود لا يمكن اجتيازه؟ إن بقائى معك يخنقنى ويكاد يقتلنى فى كل لحظة .. باختصار حياتى معك مستحيلة.

- أرجوكِ يا حبيبتى لقد أعطيتك مهلة حتى نهاية الشهر لتراجعى نفسك مرة أخرى .. ألا أستحق منك حتى مجرد التفكير خلال تلك المهلة .. ألا يوجد ما تتذكرينه ليشفع لى عندك؟

- حبيبتك؟ لا أريد أن أسمع منك تلك الكلمة مرة أخرى فهى تصيبنى بالغثيان عندما تنطقها .. لماذا لا تريد أن تفهم يا رجل؟ أين ذهبت كرامتك؟ ألم يتبقَّ منها القليل ليجعلك تطلقنى؟ لقد أصبحت لا أطيقك .. لا أطيق نفسى وأنت إلى جوارى.. لماذا كل مرة تُصر أن أُسمعك ما لا تود أن تسمعه؟ لماذا علىّ أن أُذكرك بماضيك الأسود وكأنك تتنفس الإهانة؟ لا أريد العيش معك تحت سقف واحد .. فلتضع حَدًّا لكل ذلك وإلا فلا تلومنَّ إلا نفسك.

صرخ فيها نبيل بغضب حينما ذكرت سيرة ماضيه:

- كيف تجرؤين؟ أنسيتى من كنتِ وأنى أنا...

قاطعته صفاء فى سخرية:

- آه هيا .. فلتبدأ فى تكرار اسطوانتك المعتادة .. أنا صاحب الفضل عليكِ.. كنتى فقيرة معدمة .. كنتِ وكنتِ وكنتِ .. ألا تمل أبدًا من ترديدها؟ أخبرنى هل كل المجرمين أمثالك لا يملكون ثقافة التجديد؟

صمت نبيل لوهلة وكأنه يحاول أن يتمالك نفسه ثم أردف فى هدوءٍ غريب:

- حسنًا يا صفاء .. أنتِ من اخترتِ حياتك القادمة .. سأعود الأسبوع القادم وعندما أعود لا أريد أن أراكِ بالمنزل وسأرسل لكِ ورقة الطلاق بمجرد وصولى.

لم تُجب صفاء بل أنهت الاتصال وهى فى غاية السعادة لتتصل بهانى وتخبره بحديثها مع نبيل مما جعله يشعر بالسعادة هو الآخر لأن الأمور قد بدأت أخيرًا فى السير كما أرادا لتنفيذ ما يخططان له مما جعله يهتف فى فرح:



- وأنا أيضًا عندى لكِ خبر سيسرك يا حبيبتى لقد وجدت الشخص المطلوب.

- أى شخص تقصد يا هانى؟

- أنسيتِ يا حبيبتى!! ذلك الشخص الذى لا يهمه سوى المال فقط، وسوف يقوم بعمل أى شىء لمجرد أن أرضى عنه.

- ومن هو؟

- ليس مهمًا من هو .. المهم أننى تأكدت من نهمه للمال وهذه النوعية من الأشخاص قد يفعلون أى شىء للحصول على مبتغاهم.

ضحكت صفاء فى خبث قائلة:

- حاذر يا عزيزى .. أنت تتحدث عن نفسك.

- لا .. لا .. أنا أفعل كل ذلك لكى نرتبط ونبقى سويًا إلى آخر العمر يا حبيبتى ولا يهمنى أموالك ولا أموال غادة، فقط أنتِ يا عمرى.

- لا تخبر أحدًا بهذا يا عزيزى .. إننا نشبه بعضنا كثيرًا وخصوصًا فى تلك الأمور ولذلك أنا مقتنعة أننا سنعيش سعداء إلى آخر العمر.

- كُلٌّ منا يكمل النقص الموجود لدى الآخر سوف نكون ثنائيًا رائعًا يا صفاء.

انفجرت ضاحكة مرة أخرى وهى تردف قائلة:

- أرجو ألا يكون هذا الثنائى فى تخطيط الجرائم فقط يا حبيبى.

ضحك هانى بدوره وهو يتساءل:

- مالى أراكِ اليوم فى منتهى السعادة هكذا؟

- وكيف لا وقد وصل الأمر أخيرًا إلى النهاية، لقد أوشكنا على الوصول لما حلمنا به دائمًا يا هانى أخيرًا سنجتمع سويًا يا حبيبى.

- وأنا أيضًا يا حبيبتى خططت لكل شىء وقريبًا سأضع كلمة النهاية .. الخطه وضعتها فى منتهى الذكاء بدونِ خطأٍ واحد .. كل ما هنالك أننى...



قاطعته صفاء بحزم قائلة:

- هانى من فضلك .. لقد أخبرتك من قبل أننى لا أريد معرفة أية تفاصيل ..

- حسنًا .. حسنًا .. لقد تبقى بضعة أيام على أول ديسمبر موعد سفرها الدائم وبعدها ستجدين خبرًا صغيرًا منشورًا فى الجرائد عن العثور على تلك الطبيبة مقت.....

قاطعته صفاء مرة أخرى وهى تهتف:

- من فضلك يا هانى .. قلت لك لا أريد سماع شىء..

- كما تريدين كما تريدين ولكننا سنحاول فى الفترة القادمة أن نقلل من لقاءاتنا واتصالاتنا حتى ينتهى الأمر يا عزيزتى.

وأنهى الاتصال وذهب ليسترخى فى فراشه الدافئ وقد شعر بالراحة لعدم وجود غادة التى ستبيت بالمشفى.

أغمض عينيه وعقله يراجع تفاصيل جريمته الكاملة كما رسمها، والتى راجعها عشرات المرات حتى لا تكون هناك أى ثغرة قد توصله إلى حبل المشنقة..

لم يكن يتخيل يومًا أن يقتل أو يفكر حتى فى القتل، ولكن أسلوب زوجته معه هو ما دفعه إلى ما لم يكن يتوقع القيام به حتى فى أسوأ كوابيسه إنها تلك المعادلة الصعبة التى وضعها الإنسان منذ بداية الخليقة ليطيح بإنسانيته تلك المعادلة التى تفوق بها على أكثر الحيوانات وحشية على وجه البسيطة .. إنها المرأة والمال .. من أجلهم تهتز عروش وتنهار ممالك ويقتل الأخ أخاه .. قد يأخذ أحدهم بيدك ليرتقى بك إلى السماء .. وقد يدفع بك لتهوى إلى قاعٍ سحيقٍ تضيع فيه، ووقتها لن تجد حتى غراب قابيل ليرشدك.

فهو يجلس الآن ليخطط لقتل امرأة من أجل امرأة أخرى وأيضًا من أجل المال نعم إنه ذلك المال الذى قضى عمره يسعى وراءه ولن يتنازل عنه الآن من أجل تلك الغبية، ولكنه سيحصل عليه بعد موتها .. سيكون له وحده .. سيستمتع بكل قرش



منه مع حبيبته .. سيقتل زوجته وسيقتل معها شبح الفقر إلى الأبد، لن يخاف منه بعد الآن..

لا ينكر أنه تزوجها من أجل المال .. لم يحبها يومًا .. ولكنه ظل يتظاهر بحبها طوال تلك السنوات، تجمدت خلالها مشاعره وأصبحت حياته روتينية، كان دائمًا يحاول كسر ذلك الروتين بعلاقاته المتعددة والتى غالبًا ما كانت غادة تكتشفها وتفسدها عليه.

إلى أن قابل صفاء وبالرغم من أن سبب انجذابه لها فى البداية كان بدافع الرغبة والتسلية إلا أنه تعلق بها بل وذاب فى حبها .. لم يكن للحياة معنى بدونها، ولكن غادة كانت تكبله دائمًا بالمال .. أما الآن فلن يسمح لذلك القيد أن يخنق فيه الحياة .. لن يسمح له بأن يحرمه من صفاء ولا من المال فقد وضع خطة مُحكمة لن يسمح بفشلها أيًا كانت الأسباب.

فبعد أربعة أيام ستسافر زوجته إلى الإسكندرية كعادتها بداية كل شهر، وستقيم فى شقتهم هناك كالمعتاد عدة أيام، وقتها ستكون الظروف مُهيأة لتنفيذ مخططه فالإسكندرية لن تكون مزدحمة فى ذلك الوقت من العام كما أن موقع شقتهم المطلة على البحر سيساعد بدوره فى تنفيذ ما خطط له.

وفى صباح اليوم المحدد لسفرها سيعطى لها حقيبة النقود وبها اثنين مليون جنيه على وعد منه بأنه سوف يلحق بها بالقطار بعد عدة أيام وسيذهب أحمد لتوصيلها إلى الإسكندرية بصفته السائق الخاص به.

وبمجرد وصولوهم إلى الشقة سيرتكب أحمد جريمته كما خطط له هانى تمامًا ويسرق حقيبة النقود التى ستكون بحوذتها ليعود سريعًا إلى القاهرة .. وبذلك تكون الجريمة قد تمت بدافع السرقة خاصة أن الجميع سيعلمون أن غادة قد سافرت ومعها مبلغ كبير من المال.



ثم يذهب هو بعد يومين إليها فى الإسكندرية ليفاجأ بما حدث داخل الشقة ويجد جثة زوجته دون حقيبة النقود فيبلغ الشرطة وينهار أمامهم بسبب ما حدث لزوجته المسكينة والتى كانت تعطف على أحمد السائق الخاص والذى أحسنت إليه وجعلت أخاها يتوسط لديه لتعيينه بالشركة ليطمع فيها ويقتلها.

وستجد الشرطة فى حقيبتها الشخصية صورة الشيك الذى حررته للسائق بربع مليون جنيه دفعة واحدة بعد أن يضعه فى حقيبتها وقت أن يراها جثة هامدة .. فى الوقت الذى كانت تطالبه بالمال بحجة سداد قيمة الجمارك المستحقة على الأجهزة الطبية الخاصة بمشفاها الجديد وهو ما سيشهد عليه صديقه تامر الذى طلب منه تسهيل إجراءات الشحنة من أجلها.

ليس هذا فحسب وإنما سيدعى أنها هى من طلبت منه أن يرسل معها أحمد لتوصيلها بالرغم من أنها تسافر وحدها فى كل مرة، وأنها ألحت على ذلك بالرغم من رفضه لاحتياجه لأحمد بالشركة إلا أنه اضطر للنزول على رغبتها وموافقته على سفر أحمد معها والذى سيختفى بعد سفره مع غادة مما سيوحى بأنها كانت تخونه مع السائق الذى سرق منها المال وقتلها.

أما أحمد نفسه فلن يعرف بالجزء الأخير بالطبع فمهمته ستكون فى التخلص من غادة بمجرد وصولهم إلى الإسكندرية وسرقة حقيبة النقود الفارغة التى سيبدلها بالحقيبة الحقيقية المشابهة لها فى غفلة من غادة قبل سفرها وبعد أن ترى المال بالحقيبة لتنتهى مهمة أحمد بعدها حيث سيطلب منه مقابلته بعد عودته من الإسكندرية عقب اكتشافه لمقتل زوجته فى مكانٍ مهجور بالمقطم سيحدده لاحقًا ليأخذ منه الحقيبة الفارغة ويعطيه بقية حقه ويتخلص منه ويدفن جثته فى قبر سيعده قبل ذلك ليلحق أحمد بغادة ويختفى هو الآخر إلى الأبد.

أفاق من شروده على صوت هاتفه ليجد المتصل هو صديقه تامر.. مما أصابه بالدهشة من اتصاله به فى هذا الوقت المتأخر ولكنه أجابه متظاهرًا بالنوم ولكن تامر بادره قائلًا:



- اعذرنى يا هانى للاتصال بك فى هذا الوقت المتأخر ولكن الأمر هام جدًا..

- لا عليك يا صديقى .. هل أنت بخير؟

- الأمر لا يتعلق بى يا هانى ولكنه يتعلق بزوجتك؟

انتفض هانى عندما ذكر سيرة زوجته فهتف قائلًا:

- زوجتى؟ ماذا بها؟

- لا تقلق .. كل ما فى الأمر أنك قد طلبت منى التوسط لتسهيل بعض إجراءات الجمارك التى...

قاطعه هانى بحدة قائلًا:

- نعم .. نعم .. طبعًا أتذكر ذلك بالطبع .. ماذا بشأنها؟

- لقد تحدثت هاتفيًا مع أحد المسؤولين هناك لمحاولة إنهاء الموضوع بأقل تكلفة ممكنة.

أجابه هانى وهو يتصنع الاهتمام فلم يكن ينقصه أعمال السيدة غادة ليهتم بها ولكنه اضطر لإتقان دوره فهتف قائلًا:

- حسنًا .. وماذا بعد؟

- لقد عاود الرجل الاتصال بى منذ قليل.

تمتم هانى وهو يتثاءب:

- يبدو أنه لم يستطع فعل شىء .. على العموم أشكرك كثيرًا يا تامر فقد أتعبتك معى.

- الأمر ليس كذلك يا هانى .. ليس كذلك أبدًا.

- ماذا تقصد يا تامر؟

- لقد قامت زوجتك بسداد كل ما عليها من جمارك منذ شهرٍ مضى ولا توجد



أى شحنات باسمها فى الجمارك حاليًا .. حتى المبلغ الذى كان مطلوب منها أقل بكثير جدًا مما تطلبه منك .. لقد حذرتك من قبل يا صديقى، إن فى الأمر شيئًا ما، وطلبت منك أن تنتبه .. أعلم أن ذلك صعبًا عليك ولكن .. هانى .. أين أنت؟ لماذا لا تجيب؟

لم يستطع هانى مواصلة الحديث فقد كان فى هذه اللحظة يحاول جاهدًا كتم ضحكاته التى بدأت تعلووتعلوبعد أن أنهى الاتصال، فوضع الهاتف إلى جواره وأغلق عينيه فى سعادة فخطته تسيركما رسم لها...

تمامًا...

****


ساحر
الكتب



(الأبواب المغلقة)

فى حيـاة كُلٍّ منـا أبـواب مغلقـة لا يسـتطيع إلا أن يبقيهـا كذلـك، فبداخلهـا تكمـن ذاتـه التـى لا يريـد أن يواجههـا أبـدًا، ولكنـه قـد يضطـر أحيانًـا لفتـح أحدهـا، وحينهـا سـيواجه إمـا حقيقـة قاسـية بـلا رتـوش، أو ألم لا يمكنـه تجنبـه مـا دام حيًـا، أو جـرح لا يندمـل حتـى يفـارق الحيـاة..





جلس هانى إلى مكتبه بالشركة ليحتسى القهوة وهو يفكر فى كيفية تنفيذ ذلك الجزء من الخطة الذى عزم على تنفيذه اليوم.

أخذ رشفة أخرى من قهوته الغامقة ورفع سماعة الهاتف الداخلى ليطلب سكرتيره الخاص أمجد وما هى إلا لحظات حتى كان يقف أمامه ومعه كومة من الأوراق المطلوب اعتمادها.

تظاهر هانى كعادته عندما يشعر بالتوتر بمراجعة بعض الأوراق أمامه وهو يسأل سكرتيره أمجد:

- ألم يأتِ أحمد عواد السائق إلى الشركة بعد؟

هز أمجد رأسه نافيًا وهو يجيب:

- لا يا سيدى .. لم يأتِ أحمد للشركة منذ آخر مرة رأيته فيها معك من عدة أيام .. فأنت تدلِّلهُ كثيرًا فى الفترة الأخيرة.

رفع هانى رأسه عن الأوراق وهو ينظر إلى أمجد متظاهرًا بالضيق وهو يقول:

- أدلِّله؟ بالعكس .. فأنا لا أحب هذا النوع من الرجال يا أمجد .. ولكن يبدو أنه قد شعر بالارتياح فى العمل مع زوجتى الطبيبة .. فمنذ أن طلبت منه ذات مرة توصيلها للمشفى أصبح وكأنه السائق الخاص بها لم يعد يأتى للشركة بحجة أنها تحتاجه لقضاء حوائجها، وفى كل مرة أقرر فيها صرفه نهائيًا من العمل تدافع عنه باستماتة بحجة أنه قريب شخص يهمها أمره، ولكن عمله الأصلى هنا يا أمجد، ولن أصبر عليه كثيرًا حتى ولو كانت غادة متمسكة به لهذه الدرجة.

- أنت محق بالطبع .. أتود أن أناقشه بالأمر؟

- لا .. دعه .. ولكن ابدأ فى البحث عن سائق آخر.. وسيكون لى تصرف آخر معه، هناك شىء آخر كنت أريد منك القيام به.

- فى خدمتك يا سيدى.

- أريدك أن تذهب الآن للبنك وتسحب من حساب الشركة اثنين مليون جنيه .



- اثنين مليون؟ ولكنه مبلغ ضخم جدًا .. فهذه أول مرة تقوم بسحب مثل هذا المبلغ.

ابتسم هانى فى سخرية قائلًا:

- ماذا بك يا أمجد؟ هل أنت خائف أن تسيرومعك كل هذا المبلغ؟

تابع أمجد وكأنه لم ينتبه لنبرة هانى الساخرة:

- لا بالطبع ولكنه أمر آخر..

- ما هو؟

- هذا المبلغ يعتبر السيولة النقدية الموجودة لدينا فى البنك و لا أدرى ما الحكمة في سحب كل ما نملك من سيولة فى الوقت الحالى.

سحب هانى سيجارة ليشعلها وينفث دخانها فى هدوء:

- أعلم يا أمجد ولكنى مضطر لذلك فزوجتى تريد مليون جنيه كاملة لإنهاء إجراءات الإفراج عن شحنة أجهزة طبية تلزم مشفاها الجديد من الجمارك .. كما أن هناك صفقة هامة كنت أنتظرها منذ زمن وتحتاج بقية المبلغ كعربون .. وستسافر الدكتورة غادة بالمبلغ كاملًا بعد غد إلى الإسكندرية وأنا سألحق بها بعد عدة أيام لإنهاء إجراءات الصفقة .. ولابد أن تاخذ كل تلك الأموال معها .. لذلك اضطررت لسحب السيولة بالكامل.

- وأى صفقة تلك التى تحتاج فيها مليون كاملة من الجنيهات دون أن أعلمها؟

تنحنح هانى وهو يطرق برأسه قائلًا:

- وما شأنك أنت يا أمجد؟ أتحاسبنى على التصرف فى أموالى أم يجب أن أستشيرك فى كل صفقه قد أدخلها؟

- أنا لا أحاسبك إطلاقًا يا سيدى ولكن فقط من واجبى أن أنبهك عندما يتعلق الأمر بسحب كل تلك السيولة.



غمغم هانى وهو ينفث دخان سيجارته ويلوح بيده لأمجد:

- حسنًا .. فلتذهب الآن إلى البنك لسحب المبلغ المطلوب وعد إلى على الفور سأكون بانتظارك.

- حسنًا ولكن أريد توقيعك على هذه الأوراق قبل انصرافى.

وتركه أمجد ليخرج سريعًا من غرفة المكتب تاركًا هانى وقد تيقن من أنه فى خلال دقائق معدودة سيكون كل العاملين بالشركة على علم بموضوع سائقه الخاص مع زوجته الطبيبة وأيضًا مبلغ الإثنين مليون جنية قيمة السيولة النقدية الموجودة فى البنك والتى سحبها هانى كلها ليعطيها لزوجته العزيزة لتسافر بها .. كان يعلم أن أمجد من ذلك النوع الذى لا يستطيع كتمان الأسرار.. وكثير من الأوقات كان يندهش من تصرفاته وأحيانًا كان يود أن يطرده ولكن لحرصه الشديد على مصلحة العمل وأمانته آثر أن يظل بجواره لكنه كان بالنسبه له كالجميع .. مجرد دمية يقوم بتحريكها كما يريد.

كانت الأمور تسير كما خطط لها هانى .. فقد ظهر أحمد فى الوقت المناسب ليعرض عليه خدماته بل ويخبره بكل ما خطط له نبيل وغادة، فمن أين له أن يحصل على شخص يثق به لينفذ العملية؟ فهو لم يكن ليجسر على أن يقتلها بيديه صحيح أنه خطط جيدًا لقتلها ولكن القتل نفسه شيء آخر يتطلب جرأة لا يملكها، كما أنه لم يكن ليملك دليل قوى على أنه ليس الفاعل ولن يستطيع إثبات تواجده فى مكانٍ آخر وقت وقوع الجريمة، باختصار لقد كان أحمد طوق النجاة بالنسبة له.

شعر بالتوتر ربما بسبب اقتراب اللحظة الحاسمة .. لكنه أخرج تلك الهواجس من رأسه محاولًا بث الطمأنينة فى نفسه فكل شيء يسير على ما يرام حتى الآن.

فكر فى الاتصال بصفاء لكنه آثر أن يؤجل ذلك حتى انتهاء العملية .. فأمسك بهاتفه واتصل بأحمد وطلب منه الحضور سريعًا إلى الشركة.

وما هى إلا ساعة وكان أحمد يجلس أمامه وهو ينصت إلى ما يطلبه منه فى هدوء:



- أفهمت يا أحمد؟ لا أريد أية أخطاء .. أكرر لك مرة أخرى .. فسوف أقنع غادة بأن تقوم أنت بتوصيلها فى رحلتها للغسكندرية والتى ستكون خلال أيام من الآن، وسيكون معها حقيبة المال التى لا يعلم أحد سوانا أنها فارغة .. وبمجرد وصولكما إلى المنزل هناك ستقوم بتنفيذ مهمتك ثم تسرق الحقيبة حتى يُظن أنها حادثة سرقة .. انتبه جيدًا يا رجل فحياتك وحياتى متوقفة على تلك المهمة.

كان أحمد مندهشًا من حديث هانى فلم يرد عليه إلا أنه رفع حاجبيه دهشه وقبل أن يهم بالاعتراض بادره هانى:

- ماذا بك؟ لماذا أنت مندهش لهذه الدرجة؟ لا تقنعنى أنك قد فوجئت عندما طلبت منك قتل غادة .. أو أنك لا تعلم كيف تقتلها .. أو أن ضميرك يمنعك من فعل هذا.

تمتم أحمد فى شرود:

- الأمر ليس كذلك، ولكن...

قاطعه هانى هاتفًا:

- ولكن ماذا؟ هى طلبت منك أن تقتلنى وكنت ستبدأ فى تنفيذ ما خططته هى لولا أنك تصرفت على نحوٍ صحيح بحضورك إلىَّ واعترافك لى بكل شىء .. وقد جنيت من وراء تصرفك هذا ضعف ما كانت ستدفعه لك بالإضافة لثقتى بك لتكون أحد رجالى، فما الذى تفكر به إذًا؟

رفع أحمد رأسه ليواجه هانى قائلًا:

- لقد ذكرت أننى سأقوم بسرقة حقيبة النقود الفارغة ومعنى ذلك أن الجميع سيعلم أنى سرقت الحقيبة وقتلت الطبيبة بدافع السرقة، وبما أنى سأكون سائقها بالتالى فسأكون المتهم الرئيسى فى القضية ويكون مصيرى هو الإعدام.

- هذا إن وجدوا ما يستدلوا به عليك.

- لا أفهم ماذا تقصد يا سيدى، فالجميع هنا يعرفون اسمى، وعنوانى مقيد

فى سجلات الشركة ولى ملف كامل هنا تقدمت به عند تعيينى وبمجرد وقوع الجريمة سأكون أنا المتهم الأول، ولن يكون من الصعب التوصل إلىّ والقبض علىّ.

- لن يتوصلوا إليك .. فسيتم سرقة ملفك من الأرشيف ومحو أى بيانات خاصة بك من أجهزة الحاسب الخاصة بالشركة وستكون بالنسبة لهم كالشبح .. مجرد شخص اسمه أحمد وحتى لو توصلوا لحقيقة شخصيتك ألا تستطيع أن تتخفى أو تهرب خارج البلاد لتبدأ حياة جديدة بشخصية جديدة؟ وحتى إذا لم تسافر ألا تستطيع العيش هنا بهوية واسم مزورين؟

أطرق أحمد رأسه مفكرًا تمتم قائلًا:

- نعم ولكن..

- لا تقل لى لكن .. سيكون معك مليونًا من الجنيهات بالإضافة إلى ما أخذته من غادة ونبيل .. ألن يكفى ذلك المبلغ لتبدأ به من جديد؟ ألن يكفل لك حياة كريمة لك ولأولادك من بعدك؟ ولتعلم أن هناك من أعرفهم ولديهم القدرة على تنفيذ كل ما أطلبه منهم بربع هذا المبلغ بل وعلى استعداد للتخلص من الجثة أيضًا .. ولكنى فضلتك على الجميع فلتحسم أمرك الآن وإلا سأسند تلك المهمة إلى غيرك.

بدأ أحمد يحك فى رأسه مفكرًا وهو يقول:

- حسنًا يا هانى بك .. ولكن كيف سأحصل على بقية المبلغ؟

- بعد الحادث بيومين فقط ستحصل على بقية أموالك .. اشترِ أى خط هاتف جديد واتصل بى على رقم جديد لا يعلمه سوانا سأعطيه لك خوفًا من مراقبتى أو مراقبتك بعد الحادث .. ووقتها سأعطى لك عنوان لتقابلنى فيه وتستلم باقى المبلغ.

- ولماذا كل هذه الاحتياطات؟

- إن كل ما أقوم به هو لمصلحتنا سويًا ولا تنس أننا اتفقنا على أن تنفذ ما أطلبه منك دون توجيه أية أسئلة لأنك إن وقعت فى قبضة الشرطة فسأقع أنا الآخر لذا فإن مصلحتك وأمانك يهمونى فى المقام الأول .. لا أريد أية أخطاء يا أحمد وإلا...



قاطعه أحمد ليكمل وهو يتحسس رقبته:

- أعلم يا سيدى وإلا سيكون حبل المشنقة فى انتظارى.

- فى انتظارنا سويًا ولذلك سأتولى أنا التخطيط أما أنت فستنفذ فقط دون إبداء أية أسئلة.

- نعم ولكن .. ولكنها مغامرة يا سيدى وعلىّ أن...

قاطعه هانى هذه المرة فى حزم:

- ما سأعطيه لك من أموال يستحق منك هذه المغامرة .. والآن أخبرنى بقرارك النهائى حتى أحسم أمرى.

أطرق أحمد برأسه إلى الأرض مفكرًا مره أخرى لوهلة قبل أن يرفعها قائلًا فى حماس:

- سأقوم بكل ما تأمرنى به يا سيدى فمليونًا من الجنيهات يستحق جديًا أن أخاطر بعمرى .. ولكن هناك أمرًا آخر يشغلنى.

- وما هو يا أحمد؟

- ما الذى سأفعله إذا طلبت منى دكتورة غادة الإستمرار فى خطتها؟

- تسايرها بالطبع كما تريد وأنصت إليها جيدًا ولا تجعلها تشك فى ولائك لها لحظة واحدة .. فغادة ليست غبية وأحيانًا أشعر أن لديها قرون استشعار.. فهى ستشعر بك إذا تغيرت أو لاحت منك نظرة خوف أو توتر.. مجرد نظرة شك منك قادرة على إثارتها بالكامل ولن تهدأ حتى تعلم كل شىء .. لذلك تظاهر بأن كل شىء طبيعى يا أحمد .. أفهمت؟

- نعم يا سيدى.

- حسنًا .. لنراجع مرة أخرى الخطة سويًا.

راجعا معًا الخطة عدة مرات، وفى كل مرة كان أحمد يُساق أكثر إلى ذلك الفخ



الذى يدفعه إليه هانى مستغلًا فى ذلك جشعه وطمعه، الذى لا يقل عنه بل وربما أكثر منه.

كان هانى يتعمد أن يؤخره حتى يصل سكرتيره بحقيبة النقود .. وقد كان فبعد دقائق وصل السكرتير إلى الشركة بها .. ودخل إلى غرفة مكتب هانى الذى بدأ فى التظاهر بأنه يصيح على أحمد:

- لا يا أحمد لقد مللت من كثرة أعذارك .. أنت تعمل معى أنا فى الشركة وليس مع الدكتورة غادة .. وقد أهملت فى عملك هنا .. فان كنت تريد أن تعمل معها بصفة مستمرة فليس لدى مانع فى ذلك ولكن عليك مصارحتى .. فكل مرة تعتذروأعفو عنك والنتيجة أن أتأخريوميًا فى مواعيدى وأظل فى انتظارسيادتك حتى أنك لا تجيب على اتصالاتى بك وكأن غادة هى من يرأسك وليس أنا.

كان أحمد مندهشًا فى بداية الحوارعندما بدأ هانى فى الصياح عليه لكنه ما لبث أن أدرك أنه يفعل ذلك لدخول السكرتير الخاص به وهو يحمل حقيبة كبيرة فى يده.

نظر هانى إلى أمجد قائلًا فى وهن:

- أهذه هى النقود يا أمجد .. جيد أنك لم تتأخر..

- نعم يا سيدى .. اثنين مليون جنيه فى هذه الحقيبة..

شعر أمجد بالندم لأنه تحدث عن النقود فى حضور أحمد وخصوصًا بعد أن لاحظ أنه ينظربنظرة شيطانية إلى الحقيبة مما جعله ينظرمرة أخرى إلى هانى وكأنه يعتذرعما فعله إلا أن هانى تلاشى النظر إلى أمجد واستمرفى حديثه وكأنه لم يلاحظ ما فعله أمجد:

- حسنًا يا أمجد اترك الحقيبة الآن وأحضرلى كوبًا من الليمون فلقد بدأت أتوتر وأشعر بالإرهاق بسبب كل تلك الضغوط ..

قالها وأشار إلى أحمد قائلًا:

- وأنت يا أحمد..لا مانع لدى من مرافقة الدكتورة غادة أثناء سفرها إلى الإسكندرية بناء على طلبها ولن أوصيك عليها وعليك أن تنتبه وتأخذ حذرك جيدًا



فأنت مسؤول أمامى عن سلامة الدكتورة حتى تصل بالسلامة إلى منزلنا هناك وبصحبتها تلك الحقيبة .. أفهمت؟ أريدك أن تحافظ عليهم تمامًا وهذه هى آخر فرصة سأعطيها لك .. ولو حدث منك أى تقصير كعادتك فلن أتردد لحظة فى استبدالك بآخر.

- بالطبع يا سيدى لا تقلق.

التفت هانى إلى أمجد الذى كان لا يزال واقفًا مكانه كتمثال خشبى وهو يهتف فى حنق:

- أمجد .. ألا زلت هنا؟ ماالذى تنتظره؟ ألم أوصيك أن تطلب لى كوبًا من الليمون.

انتفض أمجد وهو يتمتم فى ارتباك:

- كما تأمر يا سيدى ولكن اسمح لى هل لنا بكلمة على انفراد؟

أومأ هانى برأسه فى موافقة وقد فطن إلى ما يريده أمجد فهتف وهو يشير إلى أحمد:

- حسنًا .. تفضل أنت الآن يا أحمد ولا تنسَ ما أوصيتك به .. واطلب أنت من عم فرج أن يحضر لى الليمون قبل انصرافك.

أومأ أحمد برأسه ليخرج سريعًا خارج الغرفة وما إن خرج حتى تحدث أمجد فى عصبية واضحة:

- أريد أن أعلم ما هذا الذى تقوم به؟ هل تأتمن مثل هذا الرجل على زوجتك ومعها كل هذا المبلغ من النقود؟ نحن لا نعلم عنه أى شىء؟ أصدقك القول فأنا لم أطمئن أبدًا لذلك الشخص وخاصة بعد ما رأيته ينظر لحقيبة المال بجشع.

- ولا أنا يا أمجد .. ولكن ماذا أفعل وقد طلبته زوجتى بالاسم بل وأصرت على أن يكون هو من يوصلها لأنها لا تثق بأحدٍ غيره .. لا أعرف من أين أتت بكل تلك الثقة فيه .. ولكنها عنيدة .. عندما تصر على شىء لا تستطيع إقناعها بغيره.



- ولكن ألا توجد وسيلة أخرى لإيصال النقود غيره؟ فأنا أخشى أن يحاول سرقتها.

- إذا كانت زوجتى تثق فيه لهذه الدرجة فلابد أن لها أسبابها، وأنا أثق فى تقديرها للأشخاص والأمور ثم إننى سأئتمنه على زوجتى التى هى أهم من المال.

انسحب أمجد فى هدوء خارج الغرفة بعد أن استأذن من هانى وهو لا يكاد يصدق كيف يأتمن مثل ذلك الرجل الذى لا يعرف عنه شيئًا وفى طريقه قابل أحمد الذى قابله بنظرة برود ما لبث أن بادله الاخر بنظرة تحدى.

عاد مرة أخرى لمكتب هانى ليسأله بعد أن أغلق باب الغرفة جيدًا:

- هذا الرجل يكرهك يا هانى بك.

- من .. أمجد؟ لا تقلق منه فهو شخصية جادة جدًا لا يوجد فى حياته سوى عمله، فلا تشغل بالك به مطلقًا.

- إذن أسمح لى يا هانى بك فهناك شيئًا لا أفهمه بالخطة.

نظر إليه هانى بقلق قائلًا:

- وما هو؟

- لقد أخبرتنى أن الحقيبة ستكون فارغة؟ كيف سيحدث ذلك؟

تنفس هانى الصعداء وقد أدرك أن أحمد لم يفطن إلى شيءٍ من نواياه:

- لن يعلم أحد أنها ستكون فارغة إلا أنت .. حتى غادة ستعلم أن بها النقود كاملة.

- وَلِمَ ذلك يا سيدى؟

تأفف هانى قائلًا فى غضب:

- ألم أقل لك لا تسألنى كثيرًا ودع الأمور تسير كما خططت لها تمامًا.

قالها وفتح حقيبة النقود وتناول منها مائة ألف جنيه ناولها لأحمد قائلًا:



- الآن وصلك مائتين وثمانون ألف جنيه يا عزيزى .. أليس كذلك؟

تناول منه أحمد المال بلهفة قائلًا:

- نعم يا سيدى .. ولكن...

- ولكن ماذا أيضًا؟

اعتدل أحمد وهو يحمل النقود ويهتف بهانى فى خبث:

- لقد أخبرتنى أن نقود دكتورة غادة ليست من ضمن الاتفاق فمكافأتى كانت مليونًا كاملًا دون احتساب المبلغ الذى أعطتنى إياه الدكتورة.

نظر هانى إلى أحمد وابتسم قائلًا بتهكم:

- حسنًا لن أختلف معك يا عزيزى .. انتهى من المهمة كما اتفقنا وسترى كم سأكون كريمًا معك.

نظر أحمد إلى المال فى شراهة ونظر إلى هانى سريعًا ثم ما لبث أن غادر بعد أن أخذ رقم هاتف جديد لهانى لا يعلمه سواه.

****

دق جرس الهاتف الخاص بدكتور سمير والذى أمسك به فى لهفة فقد كانت غادة هى من تتصل به صباح ذلك اليوم وهى تسأل نفسها عن مدى تقبله لها مرة أخرى .. كانت تعلم السبب الحقيقى الذى يجعلها تهاتفه بعد أن وأدت هذه العلاقه منذ زمن .. لقد أصبحت تجد المتعة الآن فى خيانة هانى بكل الطرق .. أفاقت غادة من شرودها بعدما رد سمير على الهاتف:

- غادة .. صباح الخير.

- وجدت أنك لم تهاتفنى رغم الظروف التى أمر بها فخشيت أن أكون قد فرضت نفسى عليك ولذلك أنا أحدثك الآن لأعتذر لك فإذا كنت تشعر بذلك فأخبرنى سأتفهم الأمر فى جميع الأحوال.



- تفرضى نفسك؟ كلا بالطبع ولكنها مشاغل الحياة يا عزيزتى .. والآن أخبرينى ما هى أخبارك؟

- أنا أموت من الرعب يا سميرولا أجد أحد بجوارى غيرك؟

- و أنا فى خدمتك دائمًا يا غادة .. هل حدث شىءٌ جديد؟

- يبدو ذلك .. أنا فى طريقى للإسكندرية بعد عدة أيام لِمَ لا نتقابل هناك لأقص عليك كل شىء.

وجد سمير فى عرض غادة الفرصة التى كان ينتظرها لتحقيق ما يصبو إليه، فهتف قائلًا:

- يا إلهى، لقد كنت أنتوى السفر الأسبوع بعد القادم لشراء شقة هناك لأتخلص من إلحاح زوجتى التى لا تمل من الطلبات ولكنى قد أجلت السفر لبعض الوقت لأنى وجدت الأسعار هناك مرتفعة جدًا.

- وماذا فى ذلك؟

- كل ما فى الأمر أنى لا أملك حتى ربع المبلغ المطلوب .. وما حققته من أموال دخلت به فى صفقة خاسرة منذ عدة أسابيع .. أنا لست طبيب ناجح لدرجة تجعلنى أجنى المزيد من المال فما أجنيه يكفى بالكاد بيتى وطلبات زوجتى التى لا تنتهى كما أن هناك عدة أمور تستلزم منى دفع كل ما تبقى من دخلى شهريًا وأنا أمر بأزمة لا يعلمها إلا الله و بالتالى لم يعد لدىَّ المال الكافى لشراء تلك الشقة لأنى احتجت الأموال فى موضوعٍ هامٍّ آخر.

- أهناك ما تخفيه عنى يا سمير؟

- بل هناك العديد من الأمور يا غادة .. ففى حياة كُلٍّ منا أبواب مغلقة لا يستطيع إلا أن يبقيها كذلك .. فبداخلها تكمن ذاته التى لا يريد أن يواجهها أبدًا، ولكنه قد يضطر أحيانًا لفتح أحدها، وحينها سيواجه إما حقيقة قاسية بلا رتوش، أو ألم لا يمكنه تجنبه ما دام حيًا، أو جرح لا يندمل حتى يفارق الحياة، تلك هى الحياة



يا عزيزتى .. فنحن حين نضعف لا نلجأ إلا لمن نحب بصدق، وحين نكون فى أوج قوتنا نستغنى عن العالم بأكمله فلا نكون بحاجة لأحد إلا لأحبابنا فقط. ولا أُخفيكِ سرًا يا غادة فأنا أيضًا فى أشد حالاتى ضعفًا وكم أود أن أتحدث مع شخص مقرب لى عن كل ما يتعبنى.

- لاتدرى كم أشعر بالسعادة لسماع كلماتك تلك يا سمير.. لِمَ لا نتقابل فى الإسكندرية ربما أستطيع أن أساعدك فى حل بعض من مشكلاتك المادية إذا كانت هى السبب فى تعاستك.

هتف سمير وهو يتظاهر بالدهشة رغم أن غادة وصلت إلى ما كان يقصده تمامًا:

- أنا لم أتحدث معكِ عن متاعبى لتعرضى أموالَكِ علىّ يا غادة.

- ولِمَ لا يا سمير؟ أنت تعلم جيدًا أنى دائمًا ما كنت أعتبرك أنت الرجل الوحيد فى حياتى، لذلك أعتقد أنه لا يجب أن يكون هناك حواجز بيننا.

- ولكنك امرأة متزوجة يا غادة.

- أعلم ذلك وأنا لم أقصد شيئًا مما قد يدور فى عقلك كل ما هنالك أنى سأكون فى الإسكندرية أول الشهر وسأمكث فى شقتى هناك عدة أيام وذلك للاستجمام ومحاولة نسيان ما سببته لى الأحداث الأخيرة من مرارة لا زلت أشعر بها فى حلقى .. ولقد أخبرت زوجى أنى سامكث هناك عدة أيام لإنهاء بعض الإجراءات بخصوص المشفى الخاص بى .. وسيكون معى مبلغ ضخم جدًا قد أستطيع إقراضك نصفه إن أتيت.

هتف سمير فى لهفة لم يحاول إخفاءها:

- إقراضى نصفه .. كم يبلغ هذا المبلغ يا غادة؟

- إثنين مليون جنيه لى منها النصف فقط والآخر هو لهانى الذى سيأتى بعد أسبوع لإنهاء صفقة ما ولكننى خططت لأمرٍ آخر.

- مليون جنيه؟ أتهزأين بى؟ وهل تتخيلين أنى سوف أستطيع رد مثل ذلك المبلغ حتى ولو قضيت عمرى كله أسدده لكِ؟



- لقد أخبرتك أن المال هو آخر شىء قد أفكر به .. فالمال هو ما أفسد حياتى من قبل وسيظل يفسدها يا سمير.. أنا لا أريده أنا فقط طلبته من هانى لأجبره على رد ما قد تحصل عليه منى منذ بداية زواجنا .. لأعيده لما كان عليه قبل زواجنا .. أتعلم أنى أحتفظ ببعض الشيكات التى وقع لى عليها فى شقتى بالإسكندرية؟

- عزيزتى يبدو أن الأمر أخطر مما تخيلت بالفعل .. حسنًا يا غادة سأكون فى الإسكندرية قبل نهاية الأسبوع، وسأخبرك بمجرد وصولى.

- سأكون فى شقتى، وأعتقد أنك تعلم العنوان جيدًا على ما أتذكر.

- بالطبع .. ولكن انتبهى على نفسك يا غادة من فضلك فأنتِ سيكون معكِ مبلغ ضخم مما قد يثير الأطماع فى نفوس من حولك فالطمع قد يثير فى النفوس أسوأ ما فيها.

- لا تقلق يا سمير فسيكون معى حارس خاص وسائق.

أنهت غادة الاتصال دون أن تشعر بإلهام التى كانت تقف بجوار باب الغرفة وهى تستمع إلى كل حرف تفوهت به لتخرج سريعًا وتتصل بعلى لتخبره حرفيًا بكل ما استجد من أخبار.. فبادرها بسؤاله:

- متى ستسافر غادة يا إلهام؟

- لا أدرى تحديدًا ولكنها أخبرته أنها ستسافر فى أول ديسمبر؟

- هل سيكون كل هذا المبلغ معها؟

- لا أعلم فكل ما قالته قد أخبرتك به حرفيًا، ولكن مهلًا .. لا أظن أنك تفكر فى...

قاطعها على قائلًا فى حنق:

- ماذا بكِ يا إلهام؟ ألم تسمعيها بنفسك؟ هى لا تريد ذلك المال وأنتِ من قلتِ لى ذلك الآن .. هل نترك لها المال لتنفقه على نزواتها .. إن المرأة خائنة وأنتِ سمعتِ بأذنيك أنها تواعد شخصًا ما فى شقتها لتعطى له نصف المال .. لِمَ لا ننتهز



تلك الفرصة التى لو ذهبت قد لا نجدها مرة أخرى .. لا تكونى بلهاء يا إلهام .. سنصبح أغنياء ونتنعم بحياتنا.

- أرجوك يا على لا أريد أن أبدأ حياتى معك من أموالٍ حرام.

- لا تكونى بهذا الغباء .. سوف نتحصل على الأموال ثم نسافر من البلد كلها وحينها سيكون العمر أمامنا لنُكفر عن ذلك الخطأ البسيط.

- وهل سيسامحنا الله بعد ما سنفعله؟

- بالطبع يا حبيبتى إن الله غفور رحيم المهم الآن يا عزيزتى أن تبلغينى بموعد السفر فور علمك به.

- ماذا ستفعل؟

- لا تقلقى كل الأمور ستكون على ما يرام ولا تتوترى لأنى أعرفك جيدًا .. استمرى فى تعاملك الطبيعى كما كنتِ.

- لا أريد أن تُصاب الدكتورة بأى أذى يا على.

- بالطبع يا إلهام فأنا لست بقاتل فلا تخشى شيئًا.

أنهى على الاتصال وهو يكاد يرتجف من فرط التوتر فأخيرًا سنحت له الفرصة التى لطالما حلم بها.

****

فى عيادة سمير فى تلك الأثناء أخبر ممرضه الجديد ألا يُدخل عليه أيًّا من المرضى الموجودين بالخارج حتى يرتشف ما تبقى من فنجان الشاى الذى يحتسيه.

انقلب الحال الآن رأسًا على عقب منذ الأمس .. فقد اتصل سمير بذلك الممرض الذى كان يعمل لديه خلال الخمس سنوات الأخيرة وأصبح الآن يستطيع أن يزج به فى السجن أو أن يفضحه إن شاء .. هذا الممرض الذى عرض عليه مساعدته فى إخفاء



جثة تلك السيدة التى قاده شيطانه إلى إجهاضها لتصبح جثة هامدة أثناء العملية مهددًا إياه بمصير مظلم حتى عرض عليه هذا الملعون التخلص من الموقف كله.

كان قد أخبره بالأمس أن بحوذته المبلغ الذى يطلبه ولكنه سيعطيه له بمجرد انتهاء عطلة البنوك الأسبوعية لسحب باقى المبلغ الذى توفر له أخيرًا من اقتراضه من أحد أصدقائه و بيعه لعيادة قديمة خاصة به دون أن تعرف زوجته .. على الرغم من وعده لها بشراء شاليه بسيط فى الإسكندرية .. وطلب منه أن يختفى إلى الأبد بمجرد أن يعطيه المال وسوف يأخذ عليه كل الضمانات التى تضمن له أنه لن يراه مرة أخرى ..

ولكن لم تكن تلك المشكلة هى ما يفكر فيه وهو يضع رأسه بين راحتيه مستندًا على مكتبه .. كان قلقًا لأنه قد يستخدم غادة كوسيلة للحصول على المال والتخلص من مشاكله.

هل يخضع لنزواته الشيطانية ويحصل على المال ليحقق أحلامه وطموحاته ويفى بمتطلبات زوجته التى لا تنتهى بعد أن دفع كل ما لديه وباع كل ما يملكه فيما عدا عيادته تلك واقترض ليفى بدين ذلك الممرض الذى يبتزه

ترى هل يبدأ حياته من جديد ليفتح فيها صفحة جديدة بعد أن يطوى تلك الصفحة السوداء من تاريخه .. أم ينزلق فى مستنقع الخيانة مع غادة ليقضى ما تبقى له من حياته يرزح تحت ثقل الخطيئة التى ستسلب منه كل أمل فى أن يحيا حياة هادئة نظيفة يحاول فيها أن يُكفر عن خطاياه.

هل ينجو بنفسه الآن وقبل التورط مع غادة أم ينتظر حتى يجنى من ورائها ما يستطيع أن يعوض به خسارته إنه إذ يفعل ذلك يكون قد خطا فى طريق الخطيئة ما لا يستطيع معه الرجوع مرة أخرى ستنهار حياته وسيضيع مستقبله الذى جاهد لكى يصنعه .. ظل سمير يصارع تلك الأفكار طويلًا، ولكنه حينما رفع رأسه أخيرًا كان قد أخذ قرارًا لا رجعة فيه...



لقد قرر أن يُنهى كل شىء كل ما يتعلق بماضيه وأخطائه سيسدد النقود لذلك المرض ولن يذهب إلى غادة سيبيع تلك العيادة أيضًا ليأخذ زوجته بعيدًا ليبدأ معها من جديد بعيدًا عن ذلك المستنقع الذى لَطَّخَ ثوبه وشرفه كطبيب وكإنسان .. ربما يستطيع التكفير عن خطاياه.

نعم .. من يدرى؟!

ربما...

****

فى مساء ذلك اليوم وفى العيادة الخاصة بغادة كانت تجلس مع أحمد لمناقشة تفاصيل خطتها الساذجة .. كان ينفذ حرفيًا ما أخبره به هانى حتى ينال ثقته بالكامل .. ولذلك تظاهر بالموافقة على كل ما تُحَدِّثَهُ به.

- هذه هى الخطة يا عزيزى .. خطة بسيطة لن تكلفك سوى رصاصتين من مسدس هانى الذى استوليت عليه دون أن يشعر.

- إذن فكل المطلوب منى هو القضاء عليه بهذا السلاح.

- بالضبط فبعد ذهابنا إلى الإسكندرية بحقيبة المال التى سيعطيها لى كما أخبرنى سأمكث يومين فى الإسكندرية بمفردى .. لأنك ستعود إلى القاهرة بمجرد أن توصلنى إلى هناك .. وسأعود أنا إلى المشفى الخاص بى بالقاهرة قبل وصول هانى إلى شقتنا بالإسكندرية بيوم واحد، وبمجرد أن تقوم بتوصيله تسرق حقيبة النقود وتختفى.

انفجر أحمد ضاحكًا من فرط سذاجة تلك الخطة وهو يهتف بسخرية قائلًا:

- أسرق حقيبة النقود وأقتله؟

- هذا ما ستفعله بالضبط .. ولكن أخبرنى لماذا تضحك؟

- لأنى وقتها سأكون المتهم الرئيسى إن لم أكن الوحيد.



- وماذا فى ذلك، ثم إننى لم أُكمل لك بقية خطتى.

حاول أحمد كتم ضحكاته وهو يردف قائلًا:

- تفضلى .. أكملى خطتك.

- بعد أن تقتله وتسرق حقيبة النقود ستعود على الفور إلى القاهرة وتسلمنى الحقيبة فى الوقت الذى سأكون فيه قد حجزت لك تذكرة للهرب خارج البلاد .. وتستمر هناك وقت بسيط حتى يغلق ملف القضية فتعود مرة أخرى لنعيش سويًا ما تبقى من عمرنا.

لم يتمالك أحمد نفسه من الضحك هذه المرة وهو يهتف بها:

- ومن يضمن لى أنكِ ستكونين لى بعد كل ذلك؟

صاحت فيه غادة بغضب:

- حتى وإن لم أكن لك فيكفيك المبلغ الذى سأعطيه لك فى نهاية الأمر، وقد تحصلت على نصفه لتتأكد أنى صادقة معك.

- حسنًا .. إن كل ما يهمنى فى الحقيقة هو المال فقط ولذلك كل ما أريده الآن هو الحصول عليه قبل أن أشرع فى فعل أى شىء..

- ولكننى لا أملك أية سيولة حاليًا.

- وما الذى سيضمن لى أنكِ ستعطينى بقية أتعابى بعد انتهائى من تنفيذ الخطة وقتل زوجك؟

عقدت غادة حاجبيها وهى تنظر إليه بتمعن قائلة:

- لا أدرى لِمَ أشعر أنك قد تغيرت فجأة؟ ثم ما الذى سيضمن لى أنك ستقوم بتنفيذ المطلوب منك قبل أن تختفى؟

تمتم أحمد فى خبث:

- أنتِ على حق .. فلا شىء يضمن ذلك.



- إذن فلنكمل ما اتفقنا عليه سويًا .. انتهى من تلك المهمة وسوف أعطيك ما تطلب.

أومأ أحمد برأسه متصنعًا الموافقة على قولها وهو يقول:

- حسنًا .. فلتكملى.

وشرعت فى سرد الخطة عليه مرة أخرى وهو ينصت .. أخبرته كيف سيفتح الشقة بالمفتاح المصطنع الذى ستعطيه له ثم يطلق على هانى الرصاص فيرديه قتيلًا، ثم يستولى على حقيبة النقود التى ستكون قد أفرغتها من قبل من المال الذى ستعود به إلى القاهرة حتى تضمن ألا يقوم أحمد بسرقته والاختفاء به.

أما هو فقد كان يتظاهر بالتصديق والانفعال .. كان مندهشًا من سذاجة الخطة التافهة التى وضعتها والتى لا تقارن بخطة الشيطان هانى لذلك كان يبذل مجهودًا جبارًا كى يكتم ضحكاته وخاصة عندما بدأت فى ترديد أنها أحبته من كل قلبها وأنها لا تستطيع الاستغناء عنه.

كان يريد أن يضحك على خداعها الساذج ولكنه آثر أن يستمر فى التظاهر بتصديقها حتى يُكمل دوره .. لم يكن يسمعها وقد شرد محدثًا نفسه:

- أعدك يا غادة أن هذا اليوم سيكون مختلفًا .. سأدهشك بما سوف أفعله .. وستفاجأين كما لم تتفاجأى من قبل .. ووقتها ثقى أنى سأحصل على أكثر مما كنتِ ستعطيه لى بكثير.

وتراجع على كرسيه تاركًا إياها تتحدث عن الخطة مراتٍ ومراتٍ ومرات.

****



المذبحة

القتـل يظـل أعظـم خطايـا الإنسـان التـى لـوث بهـا الأرض ومهـما ربـح القاتـل فلـن يسـاوى ذلـك مـا سـيخسره مـن إنسـانيته وطمأنينـة روحـه .. سـيظل شـبح ضحيتـه لعنـة تطـارده وتدفعـه للمزيـد والمزيـد مـن الدمـاء التـى سـتكون كالسـم الـذى يـسرى فى جسـده .. يعـرف أنـه يقتلـه ولكنـه لا يملـك التراجـع بعـد أن يخطـو أولى خطواتـه فى درب أول مـن سـن القتـل مـن البـشر.





كانت إلهام وعلى يسيران بالقرب من مكان لقائهم المعتاد وهى تتلفت خلفها خوفًا من أن يراها أحد .. وما لبثا أن وصلا إلى الكافتيريا حتى جلست سريعًا على أحد المناضد ليبادرها على متسائلًا:

- ماذا بكِ يا إلهام؟ لماذا تتلفتين خلفك وكأنك خائفة من أن يرانا أحد؟

- الأمر ليس كما تظن ولكنى متوترة من الأمركله يا على.

- ولمَ توترك؟ لا أجد أى مبرر له الآن؟ دعى كل ذلك وأخبرينى هل هناك أى جديد ؟

- ليس هناك جديد سوى ما أخبرتك به .. هذا كل ما حصلت عليه من معلومات .

- لا أدرى كيف أشكرك يا إلهام .. تأكدى أنكِ تفعلين الصواب يا حبيبتى.

تصنعت إلهام البراءة وهى تهتف قائلة:

- لا أدرى إن كان صوابًا أم خطأ كل ما أشعر به أننى سألوم نفسى آلاف المرات لأنى استمعت إليك ولكنك وعدتنى ألا تمسها بسوء.

اندهش على من حديث إلهام فأجابها بسخرية:

- لا تقلقى فأنا لست بقاتل .. كل ما هنالك أننى سأستولى على حقيبة النقود فقط.

- هل ستفعل ذلك هنا أم فى الإسكندرية؟

أشعل على سيجارته وهو ينفث دخانها قائلًا:

- لم أحدد بعد ولكن بإحضارك لى عنوان الشقة فى الإسكندرية قد يكون هناك السرقة أسهل.

- لا أريد أية مشاكل هنا بالله عليك يا على لا أريد توريطى فى الأمر.. يكفينى ما لدى من مشاكل.



- أية مشاكل أيتها الطفلة؟ انظرى لما بعد ذلك .. فالطبيبة ستسافر غدًا.. وفى مساء الغد سنتقابل هنا فى نفس المكان المعتاد ووقتها سآخذك ونذهب إلى مكانٍ آخروحياة أخرى وننسى أسمائنا وحياتنا الماضية .. بل سننسى من نحن ونتعامل مع المجتمع على أننا من أصحاب الملايين.

نظرت إليه غيرمصدقة بما يتفوه به ثم نظرت حولها فى توتروأردفت:

- على .. من فضلك لا تجعلنى أندم أنى وضعت كل ثقتى بك.

- كيف تفكرين فى ذلك؟ على أية حال سيكون موعدنا غدًا فى التاسعة مساءًا فى هذا المكان ووقتها سنختفى سويًا إلى الأبد.

ومدت يدها بتلقائية لتبحث فى حقيبتها على الورقة المدون بها عنوان الشقة فى الإسكندرية بينما دق هاتفها فجأة لتنظر إليه لتجده أخاها فتعطى على الورقة و تستأذنه لتأخذ الهاتف مبتعدة قليلًا.

أما على فقد تناول الورقة ليقرأ العنوان وهو ينظر بخبث إلى تلك الساذجة التى صورت لها أوهامها أنها ستقابله مرة أخرى .. كان يفكر فى حياة جديدة باسم جديد وشخصية جديدة تجعله يتنفس هواء الحرية بعيدًا عن الفقر..

ولكن ليس مع تلك الخادمة الخائنة.

****

وفى المساء عاد هانى إلى منزله حاملًا حقيبة النقود التى كان يحتفظ بها فى خزينة مكتبه الخاصة ولكنه فوجئ بوجود غادة فى المنزل واندهش من عودتها مبكرًا من المستشفى ولقد كانت فى أبهى حالاتها..لم تكن فى انتظاره هو بل فى انتظار حقيبة النقود التى علمت بها عن طريق أحمد بعد أن أبلغها بقيام زوجها بسحب المال من البنك.

كان هانى يعلم أن تلك آخر مرة سيراها فيها على قيد الحياة .. شعر بانقباضةٍ ما فى قلبه لا يدرى إن كان ذلك شفقة عليها .. أم أن ذلك لأنها أول مرة يفكر فيها فى قتل إنسان بل ويخطط لذلك أم أنه الخوف من فكرة إزهاق نفس .. أم أن تلك آخر



مرة يراها معه على قيد الحياة .. فالقتل يظل أعظم خطايا الإنسان التى لوث بها الأرض ومهما ربح القاتل فلن يساوى ذلك ما سيخسره من إنسانيته وطمأنينة روحه.. سيظل شبح ضحيته لعنة تطارده وتدفعه للمزيد والمزيد من الدماء التى ستكون كالسم الذى يسرى فى جسده يعرف أنه يقتله ولكنه لا يملك التراجع بعد أن يخطو أولى خطواته فى درب أول من سن القتل من البشر.

لم يكن مجرمًا محترفًا .. القتل عنده أسهل الحلول ولكنه مضطر، فغادة تقف فى طريق سعادته .. لم يكن يكرهها ولكنه لم يحبها يومًا كما أحب صفاء .. ولم يفكر يومًا بقتلها ولكنها من دفعته إلى ذلك بغرورها وحبها للتملك ظنت أنه سيظل أسيرًا لها إلى الأبد بعد أن اشترته بمالها .. استغلت فقره وحاجته للمال وطموحه لتقيده، ظنت أن لها الحق فى أن تقيد قلبه بالمال وتحبسه فى ذلك القفص الذهبى الذى راودته به .. نسيت أن الحب لا يُشترى بالمال إنما هو هبة الله للقلوب ينبتها فى قلب من يشاء لمن يشاء .. لا سلطان عليه فهو طائر حر لا يقيده مالٌ ولا منطق.

انتبهت غادة لوجوده وهو يقف يتطلع إليها فى شرود حاملًا حقيبة النقود التى كانت تنتظرها على أحر من الجمر فهتفت به فى سخرية:

- ما بك يا زوجى العزيز؟ لماذا تقف عندك وتتطلع إلىَّ هكذا؟ لا تقل لى أنك اشتقت إلىَّ كما إشتقتُ إليك؟

أفاق من شروده على حديثها فانتبه وتمتم وهو يلقى بنفسه على أول مقعد:

- بالطبع يا حبيبتى فأنا أشتاق إليكِ دائمًا، حتى وأنتِ معى.

كان كل منهم يعلم كذب الآخر ولكن بقايا الأقنعة أبت أن تسقط لتظل تشوه الوجه الحقيقى لكل منهما وتزيده بشاعة فوق بشاعته .. إلا أن ذلك لم يمنعهما من مواصلة السير فى درب الزيف لِتُردِفَ غادة قائلة فى خبث:

- أعرف يا حبيبى أنك تشتاق إلىَّ كثيرًا وخصوصًا فى غيابى .. ولكن ما باليد حيلة فأنا مضطرة أن أحرمك منى لبضعة أيام فقط حتى أُنهى ما بدأته فى مشروعى الجديد.



عقد هانى حاجبيه وهو يتساءل:

- مشروع؟ عن أى مشروع تتحدثين؟

اعتدلت غادة فى جلستها لتردف قائلة وهى تضحك بسخرية:

- مشروع المشفى الخاص بى هل نسيته يا حبيبى؟ أم تراك نسيت ما وعدتنى به عندما بدأته من أننا سنقص شريط الافتتاح معًا؟

ضحك بسخرية هو الآخر قائلًا فى خبث:

- بالطبع لم أنسَ يا حبيبتى، سأقص الشريط ...

توقف هانى لبرهة ليستكمل وهو يتمعن فى وجهها:

- معكِ بالطبع .. مع أجمل وأنجح طبيبة .. لذلك لم أتأخر فى إحضار ما طلبتِهِ منى.

نظرت إليه فى تساؤل وكأنها لم تدرك قصده، فأردف وهو يقترب منها ويضع حقيبة النقود بجوارها على المقعد قائلًا:

- لقد جمعت لكِ المبلغ المطلوب .. صحيح أن هذه هى كل السيولة الموجودة فى حساب الشركة بالبنك لكنى وعدتك أن أحاول مساعدتك فى مسألة إنهاء الإجراءات.

- أعلم ذلك، فأنت زوجى العزيز.. وإن لم تقف أنت بجانبى فمن سيفعل

فتح لها حقيبة النقود لترى عدة مئات من الألوف ثم أغلق الحقيبة بالأرقام السرية مرة أخرى قائلًا:

- ستجدين فيها المبلغ المطلوب بالإضافة لمقدم صفقة سأعقدها بالإسكندرية عندما ألحق بكِ السبت القادم.

- لا أدرى يا هانى .. كيف تريدنى أن أحتفظ بكل هذا المبلغ؟ لماذا لا تسافر أنت بباقى المبلغ؟

- المشكلة أننى كما سبق وأخبرتك سأسافر للإسكندرية مع وفد أجنبى للاتفاق



على الصفقة هناك وأخشى أن أنشغل فى إجراءاتِ استقبالهم وضيافتهم وأنسى المال كما أننى لا أستطيع إئتمان أحد غيرك عليه يا غاده..ولذلك فكرت فى أنه يمكنكِ أن تحتفظى بها من أجلى لحين وصولى كما أخبرتك .. بالإضافة إلى أن أحمد سوف يقوم بتوصيلك .. ولا تنسى يجب ألا يعلم أى شىء عن حقيبة النقود تلك مهما كنا نثق به فالحرص واجب يا عزيزتى.

مطت غادة شفتيها قائلة فى لا مبالاة:

- حسنًا لا مانع .. والآن هل لنا أن نتناول العشاء سويًا.

عقد هانى حاجبيه وهو يتفرس فى وجهها للحظات قبل أن يتمتم قائلًا:

- عشاء! أتعلمين متى كانت آخر مرة تناولنا فيها العشاء سويًا؟

- ستندهش أكثر عندما تعلم أنى من قمت بتحضيره خصيصًا لك.

قالتها ونادت على إلهام والتى كانت تسترق السمع إليهم كعادتها دون أن يشعروا.. فدخلت سريعًا لتلقى نظرة خاطفة على حقيبة النقود الحمراء وهى تهتف قائلة:

- نعم يا دكتورة غادة.

أشارت إليها غادة قائلة:

- تستطيعين الانصراف بعد أن تقومى بتحضير العشاء.

ارتبكت إلهام وهى تتمتم قائلة:

- ولكنى أستأذنكِ فى البقاء للغد يا سيدتى فهناك العديد من الأمور التى لم أنتهى منها بعد .. وسأنصرف عندما تغادرين فى الغد كما أخبرتِنى.

- حسنًا سيمر علىَّ السائق حوالى الثامنة صباحًا جهزى لنا الإفطار وانصرفى بعدها ولكِ أن تأخذى إجازة لبقيه الأسبوع.

- شكرًا لكِ يا سيدتى .. سيكون العشاء جاهزًا خلال دقائق.

ودخلت سريعًا إلى المطبخ لتتصل بعلى وتخبره كل ما سيحدث فى الغد وأخبرته



بشأن حقيبة النقود الحمراء .. كما أخبرته أن الطبيبة ستسافر صباح الغد بعد أن يمر عليها السائق فى تمام الساعة الثامنة.

أما غادة فقد كانت فى منتهى السعادة فخطتها تسير كما رسمت لها تمامًا كانت تشعر أنها ستتخلص أخيرًا من ذلك الخائن الذى أذلها وأهان كبرياءها حين فَضَّل عليها امرأة أخرى وخانها معها على فراشها .. ولم يكتفى بذلك وإنما خطط أيضًا للتخلص منها بعد كل ما قدمته له ليتمتع بمالها مع عشيقته، فمنذ زواجهم ونزواته لم تنتهى ولكنها ظلت نزوات عابرة، كانت تتسامح معها فى كل مرة لكى تُبقى عليه وعلى زواجهما، ولكن هذه المرة تختلف لأنها ليست مجرد نزوة عابرة، فهو يحب تلك المرأة، تعرف ذلك جيدًا فغريزة المرأة لا تُخطئ أبدًا وخاصة إذا تعلق الأمر بالرجل الذى تحب، وهذا هو ما يقتل أى امرأة، أن يكون قلب من أحبت مع أخرى حتى ولو كانت حياته كلها معها، لقد اكتشفت بعد كل تلك السنوات أن قلبه لم ينبض يومًا لها .. ولكنها كانت غبية فالرجل لا يخون أبدًا امرأة خفق قلبه من أجلها يومًا، وكذلك المرأة لا تسامح أبدًا فى خيانة رجل أحبته، وهى قررت أن تنتقم منه سيدفع ثمن خيانته لها .. سيدفع ثمن كل لحظة خفق قلبها من أجله فيها .. لم يكن يكفيها أن تخونه مع غيره فهو يستحق أكثر من ذلك ربما لو كان هناك ما هو أسوأ من قتله لفعلت .. هو من دفعها إلى ذلك، ستقتل معه كل ما يذكرها به، وستبدأ حياة جديدة مع من يستحقها .. ولن تشعر بذرة من تأنيب الضمير.

وعندما جلسا معًا على طاولة العشاء .. وبالرغم من الابتسامات الزائفة التى تبادلاها إلا أن كل منهما كان ينظر إلى الآخر نظرة مصارع داخل الحلبة ينتظر الانقضاض على منافسه ليسدد له الضربة القاضية ويربح المباراة.

****

انتهت الأمسية وسط الضحكات المصطنعة والأقنعة الزائفة وخلد كل منهما إلى الفراش .. نام الإثنان ليلتهما وهما فى أسعد حال .. كل منهم يشعر أنها آخر مرة سيرى رفيقه على قيد الحياة .. لم تتحرك لهما ذرة من ضمير أو خوف مما سيحدث .. كانا



يفكران فقط فى ذلك القيد الموجود برقبة كلٍّ منهم والذى بات التخلص منه وشيكًا لم تهمهما الوسيلة بقدر ما كانت تهمهم النتيجة.

شعر هانى باهتزاز جوالها وهى تلتقطه فى هدوء وتلتفت إليه لتتأكد أنه لم يشعر بالهاتف، ولكنه تظاهر بالنعاس فقامت من جواره فى خفة. لم يكن ما يشغله هو هوية المتصل .. فقد كان يعلم أن المتصل هو أحمد ليطمأنها بمضيه فى تنفيذ خطتها كم اتفق معه قبل السفر، كان كل ما يشغله فقط هو تبديل الحقيبة .. لذلك عندما خرجت غادة من الغرفة هَبَّ من الفراش ليقوم باستبدال الحقيبة الممتلئة بالمال .. فأخرج من دولابه حقيبة حمراء بنفس الشكل والوزن بعد أن وضع بها عدة ملابس قديمة لها ووضعها وسط أمتعتها التى ستغادر بها فى الصباح بعد أن أغلقها بأرقام سرية مختلفة عن تلك التى أعطاها لها .. وأخذ حقيبة النقود وهو يتسلل إلى خارج الغرفة على أطراف أصابعه ليذهب إلى الغرفة الأخرى ويخفى الحقيبة داخل دولاب خشبى قديم.

أما غادة فقد أخذت الهاتف إلى غرفة المكتب وتأكدت من إغلاق الباب خلفها قبل أن تجيب على هاتفها لتفاجأ أن المتصل هو آخر شخص تتوقع أن يتصل بها الآن نبيل علام والذى بادرته قائلة:

- خيرًا يا أستاذ نبيل .. أين أنت طوال تلك المدة؟ ولماذا لم تتصل بى طوال الفترة السابقة؟ لقد علمت أنك خارج البلاد .. ولم تصلنى أى أخبار منك كما أنك لم تخبرنى ببقية تفاصيل خطتك مع أحمد.

- اعذرينى يا دكتورة غادة .. فأنا أمر حاليًا بظروف صحية فى منتهى الخطورة لذلك لم أتصل بِكِ لكنى أردت فقط الاطمئنان عليكِ ومعرفة آخر التطورات التى تجرى فزوجتى لا تجيب على جوالها ولا حتى على هاتف المنزل .. وأحمد نفسه لا أعلم أين هو.. فلم يعد يرد على مكالماتى هل تريه أو تتصلين به؟

- لا .. لقد اختفى منذ عدة أيام ولا أعلم أين هو.. وبخصوص زوجتك لا أعلم عنها شيئًا هى الأخرى بالطبع.



- وهل زوجك بالمنزل؟

هتفت به غادة بانفعال:

- وما شأنك أنت إن كان بالمنزل أم لا؟ أتريد منى أن أساله عن زوجتك؟

اندهش نبيل من رد فعلها مما جعله يردف بهدوء:

- ما ذا بِكِ يا دكتورة غادة؟

- ماذا بك أنت يا أستاذ نبيل؟ أتهاتفنى فى هذا الوقت لتسألنى عن زوجتك؟

- اعذرينى فقد شعرت بالقلق عليها .. لقد راجعت نفسى عشرات المرات واتخذت قرارى الأخير لأننى اكتشفت أننى لا أستطيع الابتعاد عنها أو طلاقها .. فلا أتخيل حياتى بدونها .. أما علاقتها بزوجك فهى مجرد نزوة عابرة فى حياتها سنستطيع التغلب عليها معًا .. سأصلح كل أخطائى .. وسأسامحها على كل شىء وسنفتح معًا صفحة جديدة فى علاقتنا .. فنحن بشر قد نقع فى الخطيئة فى وقتٍ ما، وهذا لا يجعل منا شياطين .. ما يجعلنا كذلك هو تكبرنا ورفضنا الاعتراف بأخطائنا وتمادينا فيها، وأنا واثق أنها ستدرك مدى حبى وتعلقى بها وتعود إلىّ .. وسأغفرلها بعد أن أعود إلى القاهرة قريبًا .. وسأطلب منها الغفران والصفح أيضًا .. فحبها هو ما يجعلنى أتعلق بالحياة.

لم تشعرغادة بنفسها وهى تصفه بأحط العبارات القاسية بينما سكت نبيل فى ذهول بعد كمية الشتائم والسباب التى وجهتها إليه غادة والتى لم تشعر بنفسها إلا وهى تغلق الهاتف فى وجه هذا الزوج الخانع ضعيف الشخصية..

كانت فى غاية الدهشة من وجود مثل ذلك الرجل الذى هو على يقين تمامًا بخيانة زوجته ولا يملك إلا أن يتغاضى ويتغافل عن تلك الخيانة بحجة الغفران .. ولكنه لا يملك حتى هذا الحق لأنه رجل ضعيف لا كرامة له .. أعماه عشقه الأعمى لزوجته الخائنة .. فكيف يغفر الضعيف إن لم يمتلك الجرأة أو القدرة، إنه إذ يغفر فهو يفعل ذلك من منطلق الضعف لأنه لا يملك من الأمر شيئًا وليس من منطلق السماح



والصفح، أيُّ حُبٍّ ذلك الذى يجعل الرجل يتخلى عن كرامته ونخوته، الحب هو ما يجعل الإنسان يشعر بإنسانيته ووجوده وحريته، هو ما يجعله يشعر بكيانه وقيمته وكرامته فإذا سلب منه الحب أحدها، فإنه حينها يكون أى شىء إلا أن يكون حبًا.

وبالرغم من توترها الذى سببه لها مكالمتها مع نبيل إلا أنها عادت إلى الغرفة على أطراف أصابعها لتجد هانى يغط فى سُبَاتٍ عميق بعد أن أبدل الحقيبة وعاد قرير العين إلى فراشه منتظرًا عودة زوجته والتى اطمأنت على الحقيبة بدورها قبل أن تنام.

دون أن تعلم أن هناك عين أخرى تراقبهم كانت على علم بكل شىء.

****

بعد تلك الليلة بيومين كان هانى يذرع مكتبه جيئة وذهابًا أمام سكرتيره أمجد فى توتر بالغ برع فى تمثيله مما جعل أمجد يهتف محاولًا تهدئته فى لا مبالاة واضحة:

- فلتهدأ يا سيدى .. الأمر لا يستدعى كل هذا القلق

صرخ هانى وهو ينظر إلى ساعته للمرة العاشرة خلال الدقيقتين الماضيتين قائلًا فى غضب:

- لا يستدعى القلق .. كيف يا رجل؟ إن غادة لم تتصل بى حتى الآن .. فهاتفها مغلق منذ أن غادرت إلى الإسكندرية من يومان ولم يُفتح حتى الآن.

- ألم تقل لى أن أحمد هو من قام بتوصيلها؟

- نعم.

- لماذا لا تتصل به وتسأله إذن؟

- وهل تظن أنى لم أفعل يا أمجد؟ ولكن هذا الغبى لم يعد حتى الآن وهاتفه مغلق هو الآخر.

هز أمجد كتفيه قائلًا فى تَشَفٍّ:



- لا أدرى ماذا أقول لك .. فقد سبق أن حذرتك من أن تثق فى مثل هذا الشخص بل وتأتمنه على زوجتك وعلى المال أيضًا .. ولكنك لم تُنصِت إلىَّ كعادتك.. فأنا لم أطمئن له يومًا وخاصة بعدما رأيت كيف ينظر لحقيبة النقود وحذرتك ولكنك لم تُصغِ إلىَّ وأرسلته مع الدكتورة بالرغم من ذلك.

لم يُجِب هانى بل جلس إلى مكتبه وهو يدفن رأسه بين يديه متمتمًا فى حزن:

- ليتنى استمعت إليك يا أمجد .. فلن أسامح نفسى أبدًا إذا كان قد حدث لها أى مكروه .. سأكون أنا من تسببت بذلك .. لا أدرى ماذا أفعل الآن؟

- هَوِّن عليك يا سيدى .. فلا يوجد شىء نستطيع فعله الآن إلا أن نرسل أحدًا إلى الإسكندرية ليطمئننا على الدكتورة غادة .. وأتمنى ألا تكون مخاوفنا فى محلها.

رفع هانى رأسه متظاهرًا باللهفة وهو يهتف قائلًا:

- نِعم الرأى يا أمجد .. لن أنتظر حتى أُرسل أحد .. سأسافر الآن .. إلغِ كافة مواعيدى.

- حسنًا حسنًا سألغى كل مواعيدك ولكن لديك إيداع هام غدًا فى البنك فلتوقع لى على بعض الأوراق وأخبرنى هل آتى معك يا سيدى؟

أخذ منه عدة أوراق قام بتوقيعها سريعًا وتناول مفاتيح سيارته قائلًا وهو يمد يده ليتناول حقيبة صغيرة بجواره:

- لا .. بل انتظر هنا فلربما يعود ذلك الغبى أو تعلم أى شىء عنه ولتخبرنى بأى جديد قد تتوصل إليه.

- حسنًا يا سيدى .. ولكن أخبرنى أنت عندما تتوصل لشىء.

لم يُجب هانى بل انشغل فى وضع بعض الأوراق فى حقيبته الجلدية ونظارته وكذلك هواتفه ليغلقها ويخرج سريعًا من مكتبه.

وما إن دلف إلى سيارته حتى كاد أن يطلق صيحة فرح بعد أن غادر فى طريقه إلى الإسكندرية وسط نظرات الإشفاق من العاملين بالشركة .. فهو على يقين الآن من أن الشركة بأكملها تعلم سر علاقة زوجته بسائقه الذين هربا معًا بأمواله.



كان ممثلًا بارعًا لدرجة أن الجميع ظن أن الدموع كادت أن تطفر من عينيه من شدة قلقه على زوجته الحبيبة .. ولم يعلم أحد أن تلك اللمعة فى عينيه لم تكن دموع ولكنها كانت تلمع من شدة الفرح منذ أن اتصل به أحمد أول أمس ليبلغه أن كل شى سار كما خطط له تمامًا .. وأن زوجته الطبيبة أصبحت جثة هامدة فى شقتهم فى الإسكندرية .. وعليه أن يذهب فقط ليتأكد حتى ينهى تلك الخطة ويسلمه بقية أتعابه.

كان كل شىء يسير تمامًا كما خطط له هانى، لقد أعد لكل شىءٍ مسبقًا .. حتى القبر الذى كان عليه أن يحفره لأحمد .. حفره بالأمس فى أحد هضاب المقطم وما عليه الأن إلا أن يذهب لينفذ الجزء الخاص به من خطته .. ويتأكد من وفاة غادة ليقوم بإبلاغ الشرطة ولكن قبل ذلك عليه وضع صورة ذلك الشيك بداخل حقيبتها لبذر الشك فى وجود علاقة مسبقة بينها وبين أحمد الذى بالطبع سيلاقيه لإعطائه بقية أتعابه.

كان يشعر بالسعادة لانتصاره أخيرًا على زوجته فى معركتهم الأخيرة .. فقد تخلص منها للأبد .. تخلص من غرورها وتعاملها معه وكأنها من طبقة أخرى غير طبقته .. تخلص من إذلالها المستمر له .. لم يتذكر لها أى شىء يجعله يشعر بالندم أو الحزن ولو للحظة من أجلها .. لقد أصبح حرًا الآن .. لقد تخلص من ذلك الكابوس الذى كان يمنعه من الزواج بصفاء التى طمأنها صباح أمس بأن كل شىء قد سار كما خطط له تمامًا وما عليها إلا أن تتخذ إجراءات الطلاق رسميًا حتى يجتمعا سويًا .. أخيرًا سيحظى بمن يحب.

فما أجمل الحب حين يتحدى كل العوائق ويحطم القيود التى تكبله ليجمع تلك القلوب التى أضناها الشوق ويصنع من نبضهما سيمفونية عشقٍ لا تنتهى.

وبالرغم من سعادته إلا أنه كان يقطع طريق السفر بقلبٍ متوتر.. شعر أنه يقود السيارة بجنون لإنهاء الأمر فتوقف ليهدئ من روعه قليلًا.. كانت دقات قلبه قد بدأت تتصاعد كلما اقترب من الإسكندرية.



غادر سيارته ليرتكن عليها ويخرج علبة سجائره ليتناول واحدة ويشعلها محاولًا الاسترخاء وهو ينفث دخانها فى هدوء محدثًا نفسه بصوتٍ مسموع:

- فلتهدأ يا هانى ولتراجع الخطة مرة أخرى بهدوء.

راجع خطته التى رسمها مرة أخرى بكافة التفاصيل الصغيرة .. لم يتبق فقط سوى ذيل الجريمة .. أحمد .. الذى سيلاقيه غدًا فى المكان المحدد ليتخلص منه هو الآخر .. ووقتها فقط ستصبح جريمتة كاملة.

دلف إلى سيارته مرة أخرى عندما انتهى من سيجارته، وبالرغم من أن كل شىء كان يسير كما خطط له إلا أنه كان يشعر بالقلق دون أن يدرى سببًا له فهناك شيئًا ما يقلقه دون أن يعلمه .. كان هذا الشىء يكبر ويكبر كلما اقترب من الإسكندرية ..وعندما وصل إلى منزله أخيرًا كان القلق قد تمكن منه فحاول أن يستعيد رباطة جأشه وهو يُوقف سيارته أمام منزله تمامًا.

كانت العمارات من حوله غير مأهولة بالسكان فى هذا الوقت من العام .. حتى الشارع يكاد يخلو من السيارات فيما عدا سيارتان اصطفتا فى نهاية الشارع فهبط من سيارته وتوجه للعمارة وصوت دقات قلبه يكاد يدوى فى أذنيه .. اقترب من المصعد لكن لحظه العاثر كان معطلًا كعادته .. مما جعله يصعد على قدميه إلى الطابق السادس حيث توجد شقته.

بعد جهد وصل أمام الباب فقام بفتحه بمفتاحه الخاص ودلف إلى داخلها فى هدوء متوجهًا للبهو الخارجى الذى وجده مُضاءًا على الرغم من ضوء الشمس الذى يملأ المكان.

شعر بانقباضة فى قلبه وخصوصًا وهو يعلم أنه سيجد جثة زوجته فى الجوار.. وبالرغم من ذلك صاح عليها .. دار فى أنحاء الشقة .. وأخيرًا وعندما استجمع شجاعته دلف إلى غرفة النوم.

كاد قلبه أن يتوقف عندما وجدها.



كانت جثة هامدة ملقاة على وجهها وقد دفنت وسط بعض من ملابسها الملطخة بالدم .. أما باقى ملابسها فقد تناثرت وسط الغرفة .. أما السرير فقد كانت تغطيه بقع دموية كثيرة مما يوحى أن القاتل قد صرعها بعدة رصاصات قاتلة أصابت ظهرها وأحشائها ..

شعر باشمئزاز فوضع يده على فمه وهو يجاهد فى صعوبة ليمنع نفسه من التقيؤ من فرط بشاعة المشهد .. وهتف فى صوت متحشرج وكأنه يريد أن يتأكد من موتها:

- غادة.

لم يجرؤ على الاقتراب منها ولكنه نظر إليها بتشفٍ وهى شبه عارية وهو يكرر مرة أخرى فى خفوت:

- غادة.

دق قلبه فى عنف بعد أن تأكد من موتها وتوقف لحظات وهو يحاول تمالك نفسه ليكمل الجزء الخاص به من الخطة فجرى ناحية الهاتف فى سعادة .. ولكنه اكتشف أنه لا يعمل ليهتف فى حنق:

- اللعنة.

بحث عن جواله فى الصالة حيث وضعه على المنضدة المجاورة للباب ليجده مع مفاتيحه فأخذه وجرى سريعًا إلى غرفة النوم مرة أخرى .. وجلس بجوار الفراش ليتصنع الهلع قليلًا حتى يبدو على صوته عندما يتصل بالشرطة .. ولكنه توقف حينما خطر له هاجس أن يتاكد من موتها قبل الاتصال بالشرطة.

مد يده برعب إلى يد الجثة ليجد أنها باردة برودة الثلج خالية من أى أثر للحياة .. فتنفس بعمق وبدأ فى الاتصال بالشرطة .. ولكن قبل أن ينهى الرقم لاحت منه نظرة أخيرة إلى الجثة فاستوقفه وشم صغير على قدم الجثة جعله يهب مفزوعًا من جوارها .. امتدت يده برعب إلى الفراش ليقلب المرأة المقتولة ويرى وجهها .. ولكنه لم يكد يفعل حتى صرخ رعبًا وفزعًا .. فقد كانت الجثة لصفاء وقد تفجر صدرها وبطنها على إثر عدة طلقات قاتلة.



حاول أن يقوم من جوارها سريعًا .. لكن قدماه لم تقوَ على حمله .. لا يدرى ماذا حدث أو يحدث أو سيحدث .. شعر بقبضة باردة تعتصر قلبه فحبيبته وحلم حياته ملقاة إلى جانبه جثة هامدة فما أقسى أن تعيش لتفقد حبيبًا.

لم يشعر بشيء سوى أن الأرض تميد به وهو يغيب عن الوعى من أثر الصدمة.

****

عندما فتح عينيه كان ينظر بوهن من خلال الضباب الذى ما زال يحيط بعقله .. لم يكن يشعر بجسده ولا يدرى ما السبب .. وحين بدأت تلك الغمامة تنقشع عن عينيه شاهد شبحين لشخصين يقفان أمامه .. أحدهما يمسك بقطعة قطن يقربها من أنفه ليجعله يستنشق محلول ذو رائحة نفاذة ..أما الآخر فقد كان يهمس للآخر بصوتٍ مألوفٍ لديه:

- ها هو قد بدأ يفيق .. عليك أن تنهى الأمر سريعًا .. فلن نظل هنا طوال اليوم.

حاول أن يقاوم الآلام الرهيبة التى تكتنف رأسه وهو يتبين هوية هؤلاء الأشخاص ولكنه انتفض فزعًا حينما رأى أمامه زوجته غادة التى كانت تلقى بقطعة القطن فى حقيبتها .. وبجوار الباب جلس أحمد بارد الأعصاب .. وهو يمسك بحبل غليظ ويعبث بلحيته.

أما هانى نفسه فقد كان عاريًا إلا من ملابسه الداخلية ويديه وقدميه مقيدين بحبلٍ غليظ بعد أن وضعوا بعض قطع الملابس أسفل القيد، وغادة تقف أمامه مصوبة تجاهه مسدسه الخاص .. فتأوه وحاول أن يتحدث ولكن الكلمات خرجت من فمه بصعوبة وهو يهتف:

- غادة .. أين أنا؟ ولماذا أنا مقيد هكذا؟ ما الذى حدث؟

ابتسمت غادة فى سخرية وهى تهتف فى هدوء مستفز:

- ألم تدرك ما حدث بعد أيها الغبى؟ أم أنك قد أُصبت بفقدان ذاكرة بعد رؤيتك لحبيبة القلب وهى جثة هامدة؟!!



واقتربت منه لتصفعه على وجهه الذى ارتَجَّ من قوة ضربتها.

تأوه هانى وقد شعر أن كل ما خطط له قد انهار.. وما هى إلا لحظات حتى ينال نصيبه المحتوم .. وخاصة عندما وجد مسدسه بيد غادة .. فتضرع لها لكى ترحمه وهو ينتحب:

- غادة .. بالله عليكِ .. دعينا نتحدث بهدوء ولتُحكمى العقل .. أعتذر لكِ .. أعلم أن هذا الاعتذار متأخر.. أعترف أنى قد ظلمتك وأخطأت بحقك كثيرًا .. ولكنى ما زلت أحبك يا غادة .. فقط أعطينى فرصة أخيرة لأثبت لكِ ذلك ولن تندمى صدقينى.

كان يعلم أن كل تلك الكلمات لن تشفع له عندها، فبدأ وجهه فى الاصفرار من هول الموقف الذى يمر به وخاصة عندما شعر أنها ربما تكون آخر دقائق له على قيد الحياة .. كان شريط حياته يمر أمام عينيه مما زاد من رعبه ولكن صياح غادة جعله ينتفض:

- ماذا؟ تعتذر؟ أبعد كل ذلك تعتذر؟ بعد أن جعلتنى أفقد الثقة فى نفسى وفى كل من حولى؟ كنت أشعر طوال الوقت بخيانتك المستمرة لى ليل نهار.. مللت منك ومن نزواتك ومن أخطائك التى لا تغتفر.. طوال تلك السنوات التى جمعتنا كنت أحاول أن أصلح من شأنك وأن أجعلك إنسانًا آخر.. ولكن دون جدوى .. كنت أضحك على نفسى وأنا أوهمها بأنك سوف تتغير وسوف تُنهى تلك العلاقات القذرة فى حياتك ولكنك لم تفعل .. أعطيتك فرصة واثنتان وعشرة دون فائدة .. بل أصبحت كالحيوان الذى يجرى وراء نزواته .. أخبرنى فقط .. أريد أن أعرف السبب .. أبعد كل ما فعلته لك تخوننى أم أن الخيانة تجرى فى عروق الرجال كالدماء؟

- أنتِ لديكِ كل الحق يا غادة .. فأنتِ لا تستحقين ذلك ولا يوجد لدىَّ عذر لخيانتك، ولك...

قاطعته غادة صارخة:

- وهل توقف الأمر عند الخيانة، لقد كنت تنوى قتلى لتأخذ مالى وتتمتع به مع



تلك العاهرة .. فَضَّلتَهَا عليَّ أنا الدكتورة غادة ..وبعد كل هذا تتحدث عن مبرر لكل أفعالك القذرة.

هتف هانى باستعطاف وهو ينتحب:

- أعلم أننى كنت سيء معكِ وأننى قد آذيتك وجرحتك وأهنتك، ولكنها السبب لقد أغوتنى تلك المرأة التى لا تقارن بكِ .. ولكنى أحبك أنتِ يا غادة .. وأنتِ أيضًا تحبيننى .. لقد حاربتِ العالم من أجلى .. أتتذكرى؟ ألا تستطيعين أن تغفرى لى تلك الهفوة وتعطينى فرصة أخيرة لأصلح أخطائى وأعوضكِ عن كل ما سببته لَكِ من آلام؟ فقط أعطينى الفرصة لنفتح صفحة جديدة فى حياتنا سويًا.

دَوَّت ضحكة غادة وهى تهتف فى سخرية:

- صفحة جديدة؟ أبعد أن كنت تنوى قتلى تريد منى أن أعطى لك فرصة أخرى وأبدأ معك صفحة جديدة .. لماذا؟ لقد خنتنى بعد أن جعلت منك رجل أعمال بعد أن كنت حثالة المجتمع بعد أن عاديت الدنيا بأكملها من أجلك.

أدرك هانى أنه لا فائدة وأن محاولته التضرع والتوسل لها بهذه الطريقة لن تجدى نفعًا .. بل على العكس فهى تثيرها أكثروأكثر.. دارت عيناه فى الغرفة حتى وقع نظره على أحمد الذى كان لا يزال جالسًا وهو ينظر إليهم فى لا مبالاة فصرخ ناحيته، وكأنه غريق يتعلق بقشة فى خضم محيط هائج:

- أحمد .. بالله عليك .. انجِدنِى .. أتوسل إليك افعل أى شىء .. أنقذنى.

هز أحمد كتفيه فى لا مبالاة قائلًا:

- ليس لى أى شأن بأموركم الداخلية .. ما يهمنى فقط هو المال لذلك أنا مع من يدفع لى أكثر.

- حسنًا .. حسنًا .. سأعطيك نصف ما أملك مقابل تخليصى .. بالله عليك أسرع..

ضحك أحمد موجهًا نظراته لغادة:



- حتى لو دفعت لى كل أموالك أيها الغبى فقد دفعت زوجتك أكثر وأغلى مما تتصور.

عاد هانى بنظراته إلى غادة مرة أخرى وهو ينتحب ويستعطفها فى يأس:

- غادة فلنتحدث بهدوء .. فكرى جيدًا ولا تضيعى نفسك من أجل شخص مثلى فإذا قتلتِنِى كما تفكرين ستكونين أنتِ المتهمة .. لأنكِ المستفيدة الوحيدة بموتى وسيكون مصيرك هو حبل المشنقة .. سأرضى بأى عقاب فأنا أستحقه خذى كل شىء ولكن انسِ فكرة القتل هذه و...

قاطعته غادة قائلة ببرود:

- ولماذا سأكون أنا المتهمة الوحيدة؟ لماذا لا نقول أن زوج تلك العاهرة كان يراقب امرأته بعد ارتيابه بها واكتشافه لعلاقتكما؟ فاغتنم الفرصة حين جاءت لتلتقى بك وتركـكم فترة ثم اقتحم الشقة ليفاجئكم فى غرفة النوم وأنتم فى وضع شاعرى فأطلق عليكما النار وما سيؤكد هذا أيضًا ملابسكم التى ترتدونها.

- وكيف فتح الباب إذن؟

- ليس هذا من شأنك فكل ذلك سيتم ترتيبه بعد وفاتك.

- ولكن ذلك القيد على يدى وقدمى سيثبت أنه قد تم قتلى وأنا مقيد وهذا سيهدم تلك القصة المفبركة.

- ومن قال لك أن القيد سيظهر على جسدك أيها الغبى .. فلماذا وضعنا إذًا قطع الملابس مكان القيد قبل أن نقيدك؟

- سيكتشف الطب الشرعى الحقيقة بعد أن يتوصل إلى أنها مقتولة منذ عدة أيام.

أطلقت غادة ضحكة مجنونة وهى تهتف:

- لقد أصبح تفكيرك إجراميًا يا عزيزى لكن لا تخشَ ذلك أيضًا فمن قال لك أنها قتلت منذ عدة أيام؟ لقد تم قتلها منذ ساعات قليلة حتى جثتك لن تظهر إلا عندما أعود إلى الإسكندرية فى الأسبوع القادم فأجدك وقد تعفنت.



صاح هانى بهستيريا وقد أدرك أنه مقتولٌ لا محالة:

- غادة أستحلفك بكل ما هو غالٍ لديكِ أن تسامحينى .. أنا آسف .. ارحمينى بالله عليكِ .. أحمد أنقذنى وسأظل أسيرًا لك مدى الحياة.

وعلا نحيبه وهو يحاول أن يتخلص من قيوده ولكن بلا فائدة، وانتابته نوبة من التشنج والبكاء الحاد وهو يتوسل لغادة مردفًا:

- غادة .. بالله عليكِ لا أريد أن يتم إعدامك بسببى فأنا لا أستحق ذلك .. ألقى بى فى الشارع كما كنت .. خذى كل ما أملك من أموال ..خذى الشركة وكل ما لدى .. بل حتى ملابسى فلتأخذيها .. ألقِ بى عاريًا فى الشارع فلن أهتم فأنا أستحق ذلك .. لو سامحتِنى سأتغير إلى الأفضل وسأعوضك عن كل ما سببته لكِ من ألم فقط تريثى وَحَكِّمِى عقلك فيما سوف تفعلينه و...

قاطعته غادة فى غضب قائلة:

- وهل تركت لى ذرة من العقل؟ لا تتوسل فقد حسمت أمرك وانتهى الأمر أما بالنسبة لى أنا وأحمد فنحن شريكان .. فهو من أقنع عشيقتك بالمجىء إلى هنا ثم تخلص منها بالشكل الذى تستحقه وبعد أن أتخلص منك أنا الأخرى بالشكل الذى تستحقه سأعود أنا وأحمد فورًا إلى القاهرة فى مشفاى الخاص وهناك عشرات من الشهود .. أما أحمد فسيشهد أنه كان على علاقة بنبيل علام زوج تلك الفاجرة والذى طلب منه مراقبتكم منذ البداية حتى علم بسفرك إلى الإسكندرية لملاقاتها فى شقتك فأخبره بذلك وهو ما سيؤكده خطاب نبيل علام الذى أرسله إلىَّ شخصيًا يعترف فيه بأنه سوف ينتقم من امرأته لأنه اكتشف وجود تلك العلاقة الآثمة بينك وبين زوجته.

لم يكن هانى منصتًا إليها فقد كان شريط حياته يمر أمام ناظريه فى لحظاته الأخيرة وهو ينتحب، فحين يواجه الإنسان الموت يفقد شجاعته ويسترجع ما اقترفته يداه، ليتساءل فى لحظة صدق .. هل كان كل ذلك يستحق؟ هل ينفعه مالٌ عاش حياته يحارب من أجله، هل يساوى ذلك لحظة متعة عابرة، ليدرك أنه عاش مخدوعًا اغترَّ بدنياه ونسى مصيره، وأن ما جمعه فى حياته لم يكن سوى هباءًا منثورًا.



قطع أحمد صوت نحيب هانى موجهًا حديثه لغادة وهو يغادر غرفة النوم قبل أن يلقى نظرة أخيرة على جثة صفاء ثم يشير إلى هانى قائلًا:

- سأنتظر فى الخارج .. لا تدعى الأمريطول يا غادة .. ولا تنسِ بعد أن تتخلصى من ذلك الكلب أن تحلى قيوده وتأتى ببقية القيد لنتخلص منه.

أومأت برأسها موافقة ثم التفتت إلى هانى واقتربت منه هامسة بعد أن خرج:

- كنت تظن أن أحمد معك .. أليس كذلك؟ لقد خططت أنت لكى يقتلنى كما أخبرته صفاء قبل أن يقتلها، ولكن ما لم تضعه فى حسبانك أن من خان مرة يخون ألف مرة .. وهو خان سيده من أجل المال، وعندما أغريته أنا بالمزيد خانك أنت أيضًا، فالخائن لا دين له، كل ما يهم أحمد هو المال ولقد أعطيته إياه وأكثر، إنه مجرد أبله يظن أننى سأرتبط به ليكبر ويصبح مثلك .. لم يدرك بعد أننى لست تلك الساذجة التى تلدغ من جحرٍ واحدٍ مرتين .. فكلكم لم تكونوا سوى عرائس فى يدى أحركها كيفما أشاء...

زاد نحيب هانى وهو يتوسل إليها فى محاولة يائسة:

- ارحمينى.

أطلقت غادة ضحكة شامتة وهى تهتف فى نشوة عجيبة وكأنها قد فقدت عقلها:

- لن تتخيل مدى المتعة والنشوة التى أشعر بها الآن وأنا أراك عاجزًا ذليلًا تتوسل إلىّ .. لدرجة أننى أفكر فى أن أتمهل فى قتلك حتى أستمتع أكثر، هيا توسل أكثر وأكثر فربما .. حقيقه أنا أستمتع بتوسلك وخاصة بمنظر تلك الساقطة التى شاركتنى فيك وهى جثة هامدة أمام عينيك .. هيا شاركنى هذا المشهد البديع أليست جميلة وهى مدرجة باللون الأحمر!!

قالتها وجذبته من شعر رأسه لتدير وجهه ناحية جثة صفاء ليتعذب أكثر وأكثر ونحيبه يتعالى وهو يتضرع ويتوسل إليها للإبقاء على حياته وهى تنظر إليه بمتعة غريبة دون أن تشعر نحوه بأى شفقة، وهى تردف قائلة فى سخرية:

- لا تحزن على فراقها يا زوجى العزيز.. فسوف أُلحقك بها الآن.



قالتها وهى تضغط على الزناد ضغطة واحدة فقط لتنطلق رصاصة أصابت القلب تمامًا لتجحظ عيناه عدة ثوانٍ ويرقد بجوار صفاء جثة هامدة.

****

توقفت غادة قليلًا بعد أن أطلقت الرصاص على هانى وأردته قتيلًا وتنهدت وهى تحاول أن تتمالك نفسها .. وتبرر لنفسها ما فعلته .. فقد كان فى طريقه لقتلها ولم يترك لها أىَّ خيارٍ آخر لمسامحته .. ستبدأ حياتها من جديد .. ربما مع أحدهم الذى لن يطعنها من الخلف ويخونها مرة أخرى .. ربما كان ذلك الشخص هو سمير بعد أن تغدق عليه أموالها وتحقق له ما يحلم به.

بدأ يلوح لها فى الأفق بصيص من الضوء فى نهاية ذلك الممر المظلم الطويل الذى قضت فيه سنواتها العجاف الأخيرة مع ذلك البائس هانى.

اقتربت من جثة هانى وفعلت كما أخبرها أحمد بكل برود فقطعت الحبل المقيد به وجمعته حتى تتخلص منه.

تساقطت حبات العرق على وجهها بعد انتهائها من مهمتها .. فنظرت إلى مشهد الجريمة بالكامل جريمة تمت بدافع الشرف تمامًا كما خططت لها وبذلك تكون أتمت جريمتها كاملة.

خرجت من الغرفة مشمئزة من الجو المحيط وصاحت منادية على أحمد الذى لم يُجب فلم يكن له أى أثر فى الشقة.

****

اختفى أحمد .. اختفى وكأنه لم يكن له وجود منذ البداية .. اندهشت وركضت إلى الشُرفة سريعًا لتنظر إلى الأسفل فربما كان ينتظرها بجوار السيارة .. لكنها لم تجده .. قررت أن تخرج سريعًا من الشقة وتنتظره فى الخارج .. شيئًا ما داخلها جعلها تتوتر وهى تتجه لباب الشقة لتفتحه ولكنها فوجئت عندما وجدته مغلقًا فصرخت برعب.

حاولت البحث عن مفاتيح الشقة فى حقيبتها فلم تجدها وتذكرت أنها أعطتها



لأحمد .. فهرولت مسرعة إلى حيث ملابس زوجها لتبحث عن مفاتيحه ولكنها لم تجدها أيضًا .. دقت بكفيها على الباب دون جدوى .. تذكرت الهاتف بحثت عن هاتف هانى فاكتشفت اختفاؤه هو الآخر.. هرعت برعبٍ قاتل إلى حقيبتها لتحضر هاتفها .. ولكنها تذكرت أن اللص سرقه منها فى الطريق إلى الإسكندرية ولم تبتع هاتفًا آخر كما نصحها أحمد ..نظرت بحسرة إلى الهاتف المنزلى وهى تتذكر أحمد وهو يقطع كل خطوط الهاتف المنزلى أمامها فى مدخل العمارة قبل أن يصل زوجها حتى لا يتصل هانى بأى شخص لنجدته .. وهى صدقته كالبلهاء .. تمامًا كما خطط هو.

صرخت برعب وقهر مرة أخرى وهى تهرع إلى الباب لتدقه فى عنف وتصرخ مرة أخرى بأعلى صوتها .. ولكن لا مجيب .. تذكرت أنه لا يجب أن يعرف أحد بوجودها حتى لا يفشل ما خططت له فصمتت مضطرة .. فكرت فى مصيرها بجوار الجثتين .. بكت بحرقة وهى لا تدرى ماذا ستفعل .. ذهبت مرة أخرى إلى الشرفة التى كانت عالية .. كان الموت الأسود فقط هو من يرفرف بجناحيه خارجها.

جرت إلى الباب الخارجى مرة أخرى وهى تصرخ فى هستيريا ولكن ما من مجيب لم يعد مهمًا الآن أن يراها أحد فى مسرح الجريمة .. المهم هو كيف ستخرج من تلك المقبرة.

ظلت تصرخ وتدق بيديها على الباب الخارجى حتى تعبت وَخَرَّت يائسة بجوار الباب وقتها وجدت ورقة ملقاة بجواره لم تلاحظها أول الأمر ففتحتها بلهفة وقرأت ما فيها:

(كلنا نرتدى فى الحياة أقنعة مختلفة لكننا نخلعها فى الشدة والمرض والمحن لتظهر لنا من تحتها وجوه ربما تكون أسوأ من مسوخ الشياطين .. وربما تكون ملائكية بريئة .. نقية .. صادقة...)

لم تكد تنتهى من قراءة الورقة حتى شردت فى كثيرٍ من الأمور التى بدأ ينقشع ضبابها الآن ثم انفجرت ضاحكة بهستيريا .. الآن فقط فهمت اللعبة فأمسكت رأسها وهى تتذكر كل ما مر من أحداث، لقد كانت هى الأخرى مجرد دمية تحركها أيدٍ خفية دون أن تدرى.



قادتها قدماها إلى جوار الجثتين .. لتجلس أمامهم فى صمتٍ قاتل .. وهى تسترجع كل شىء .. كيف لم تنتبه لذلك .. لقد خسرت كل شىء وأصبح الموت هو مصيرها المحتوم .. كان المشهد باكمله يؤدى بها إلى الجنون .. وقفت وهى تنظر مليًا إلى المسدس الملقى فى حقيبتها .. فتناولته فى يأس وهى تقترب من المرآة لتنظر لنفسها فى مرارة وحسرة وهى ترفع يدها الممسكة بالمسدس إلى رأسها لتطلق منه رصاصة الرحمة الأخيرة وتلقى مصرعها على الفور.

****

عندما دوت الرصاصة معلنة انتهاء حياة الطبيبة خرج أحمد من مخبأ خاص كان قد اختاره لنفسه قبل تلك الأحداث فى مكانٍ لا يخطر على بال أحد .. ليلقى نظرة أخيرة على مسرح الجريمة ويعيد هاتف هانى الذى كان قد أخذه خلسة دون أن تراه غادة .. ومسح أى أثر لبصماته من عليه وكذلك رقم الشرطة من على الهاتف ومحى أى أثر يدل على وجوده فى هذا المكان.

نظر إلى ساعته فوجد أنه قد تبقى على موعد طائرته التى سوف يهرب بها إلى خارج البلاد ساعتين فقط .. فألقى نظرة أخيرة على مسرح الجريمة وجواز سفره ثم فتح باب الشقة بعد أن أعاد المفاتيح إلى أصحابها وأعاد توصيل سلك الهاتف فى مدخل العمارة والذى قطعه فى الصباح .. مغادرًا مسرح الأحداث الذى شهد مذبحة منذ ساعات .. وهو يعد نفسه لإنجاز مهمة أخيرة عليه أن يقوم بها قبل إسدال الستار على تلك المسرحية.

وللأبد....

****



سقوط الأقنعة

كم هى عجيبة مشاعر البشر التى تتحول فى لحظات فتتقلب القلوب وتتحول أنهار الحب إلى آبارٍ عميقة من الكراهية، وتتمزق خيوط العشق التى تشبه خيوط الفجر الأولى فى نقائها وسطوعها لتحل محلها خيوط من نسج العنكبوت التى ينسجها حول القلوب لتمسى مهجورة جافة قاسية ولكنها الخيانة .. ذلك الخنجر الحاد الذى يسدده الحبيب إلى القلب فيسلب منه الروح، فحين يُقابل الحب بالخيانة والغدر يتحول حتمًا إلى كراهية.





بعد أربعة أيام من أحداث تلك الجريمة التى هزت الإسكندرية .. جلس الزوج نبيل علام دافنًا رأسه بين يديه وهو يبكى بحرقة شديدة على ما حدث لزوجته الحبيبة.

فمنذ الأمس والأحداث المؤسفة تتلاحق فى حياته بصورة لم يكن يتوقعها، ففى صباح الأمس اتصل به سكرتيره الخاص أثناء إقامته فى أحد المصحات العلاجية فى دبى .. ليخبره بذلك الخبر المشؤوم.

لا يتذكر رد فعله فى المصحة عندما أخبره أن زوجته قد وجدت مقتولة فى شقة بالإسكندرية بصورة بشعة، ولم يزد عليه أية تفاصيل أخرى، فهو لم يجسر على التصريح له بما علمه هو من رجال الشرطة الذين حضروا إلى الشركة لأخذ أقوال الزوج وطلبه للحضور إلى الإسكندرية للتعرف على الجثة.

وعندما تمالك نفسه من أثر الصدمة استقل أول طائرة للإسكندرية فى طريقه إلى مديرية أمن الإسكندرية ثم إلى المشرحة ليتعرف على جثة زوجته.

لم يتمالك نفسه عندما وجدها وقد تشوه جسدها من كثرة ما تلقت من رصاصات فتهاوى على الفور بعد أن تعرف عليها.

جلس فى هدوء فى مكتب أحد الأطباء لإفاقته .. وعندما أفاق لم يكن يقوى على الحديث، ولم يُجِب على أسئلة رجال الشرطة الذين التمسوا له العذر لوهنه الشديد.

كل ما علمه منهم فقط أن هناك مذبحة قد وقعت فى إحدى الشقق المطلة على ساحل الإسكندرية بعد حضور زوجة القتيل فجأة إلى شقتها هناك لتشاهد خيانة زوجها مع زوجته .. فقامت على الفور بالتخلص منهم قبل أن تبادر بالانتحار بجوارهم...

لم ينطق بل شعر بمهانة لا يمكن وصفها وهو يتلقى تلك النظرات ممن حوله .. وأصر على الرجوع إلى القاهرة فى اليوم التالى ليدفن زوجته بعد انتهاء التشريح والتصريح بدفن الجثة.

****



فى صباح اليوم التالى وبعد انتهاء مراسم الدفن وتلقى العزاء على المقابر حيث لم يتواجد أحد سوى سكرتيره الخاص وبعض العاملين فى شركته بعد أن أصر نبيل على عدم إخبار أحد بموعد الجنازة وعدم إقامة عزاء، توجه نبيل إلى منزله متعبًا بصحبة سائقه الذى انصرف ليترك نبيل وقد بدأ فى اجترار ذكرياته التى جمعته مع زوجته الراحلة.

وما هى إلا ساعات قليلة حتى أخبره خادمه أن هناك رجلين من رجال الشرطة فى انتظاره فى البهو الخارجي .. فتحامل على نفسه ودخل إلى مكتبه لاستقبالهم وقد بدا فى حالة مزرية مما دعاهم إلى تلخيص الموقف لإنهاء التحقيق وإغلاقه للأبد.

كان يريد من داخله الدفاع عن زوجته أمام أعين الكافة وإيجاد مبرر لخيانتها له لذلك كان يقاطعهم باستمرار قائلًا:

- لم أكن أتصور فى يومٍ من الأيام أن تكون على علاقةٍ بأحدٍ ما .. كيف لم أشعر بتغيرها فى الفترة الأخيرة؟ لقد جمعتنا سويًا قصة حب حتى من قبل أن نتزوج، كانت بالنسبة لى ملاكًا، أقسم لكم، لا أدرى لماذا تغيرت وأصبحت بهذه الصورة البائسة ..إنه ذلك التافه المسمى هانى بالتأكيد هو من راودها عن نفسها .. لقد فعلت كل شىء من أجلها .. حاولت إسعادها دائمًا .. لقد...

لم يستطع إكمال كلامه فقد انخرط فى البكاء بحرقة مما دعا أحد رجال الشرطة إلى تهدئته وهو ينظر إلى زميله قائلًا:

- تقبل أسفنا يا نبيل بك، فنحن نقدر صعوبة ما تمر به .. لا تتخيل مدى صعوبة الموقف الذى نتعرض له فى بعض الأحيان عندما نخبر زوج ما بخيانة زوجته .. ولكن علينا أن ننهى التحقيق حتى لا نسبب لك المزيد من الألم باستدعائك مرة أخرى.

رفع نبيل رأسه ناحية الرجل متسائلًا فأردف الضابط قائلًا:

- من الواضح أنه كانت هناك علاقةٌ ما بين زوجتك الراحلة وبين زوج القاتلة الطبيبة غادة موافى والتى كانت على علم بوجود تلك العلاقة.



نظر نبيل إلى الضابط بوهن وكأنه لا يصدقه ثم أردف قائلًا:

- ربما تكونوا مخطئين فزوجتى تحبنى ولا أتخيل إلى هذه اللحظه أنها فعلت ذلك.

- للأسف يا سيد نبيل لسنا مخطئين فهناك العشرات من المحادثات الهاتفية التى جرت بين الإثنين، كما أن سليمان الممرض الخاص بالقاتلة عند سؤاله أكد وجود تلك العلاقة فقد قام ابنه الذى غادر البلاد قبل الوفاة بيومين بمراقبة زوج القاتلة هانى وعلم أن هناك علاقة بين زوجتك وبينه وقد أخبر الطبيبة بذلك .. والتى يبدو أنها وضعتهما تحت المراقبة طوال هذه المدة .. ومن الواضح أنها كانت تنتظر لتعد له كمينًا داخل شقتهم بالإسكندرية .. ودخلت عليهم وهما فى وضع .. اعذرنى...

أغمض نبيل عينيه فى ألم وهو يشيح برأسه ويشير بيده للضابط قائلًا:

- من فضلك أنا لا أريد معرفة تلك التفاصيل .. يكفينى ما أمر به من آلام نفسية...

قالها ثم استدرك قائلًا:

- ولكن كيف عرفتم أن هذا هو ما حدث بالفعل بالرغم من عدم وجود شهود على الواقعة وانتحار القاتلة كما تدعون بعد ارتكابها للجريمة؟

- بعد الجريمة قام شخصٌ ما بالإتصال بشرطة النجدة وأفاد أنه قد سمع دوى طلقات نارية فظن فى البداية أنها تلك الألعاب النارية التى تصدر صوتًا مزعجًا .. وبعد ساعات سمع نفس الصوت مرة أخرى فقام بفتح النافذة فوجد الطبيبة التى تسكن فى الدور السادس من إحدى العمارات المجاورة تغلق نافذتها فلم يهتم بالأمر.. ولكن بعد نصف ساعة سمع دوى طلقة أخرى فقام بالاتصال بالشرطة .. وعند حضور النجدة وجدوا سيارتين أمام أحد المنازل الخالية من السكان فى هذا الوقت من العام فصعدوا إلى الطابق السادس حيث توجد شقة وحيدة فاقتحمتها القوة



وتم اكتشاف الجريمة والتعرف على هوية الجثث من بطاقتهم الشخصية الموجوده بحوذتهم.

حاول نبيل الوقوف ولكن خانته قدماه وكاد أن يتهاوى على الأرض لولا أن سارع أحد رجال الشرطة بمساعدته ليلمح حقيبة السفر الخاصة بنبيل وقد تناثرت محتوياتها على الأرض وبجوارها عدة هدايا لزوجته .. وعندما وجد نبيل الضابط وقد لاحظ الحقيبة أردف قائلًا:

- هذه بعض من الهدايا التى اشتريتها من أجلها وكنت سأعطيها لها بمجرد رجوعى .. ربما محاولة منى لإصلاح علاقتنا التى بدأت فى التدهور فى الفترة الأخيرة مما جعلها تطلب الطلاق لأكثر من مرة دون سبب .. ولكنى قد علمت الآن السبب الذى دعاها للإلحاح بهذا الشكل .. لقد فهمت الآن كل شيء.

قام الضابط الآخر لينهى المقابلة حتى لا يثقل على نبيل وهو فى تلك الحالة التى يُرثى لها ولكنه توقف عندما لمح جواز سفر ملقى بإهمال أسفل أحد الكراسى بينما لمحه نبيل وهو ينظر بطرف عينيه إليه مما جعل ضربات قلبه تتصاعد فجأه محاولًا أن يُخفى توتره الملحوظ والضابط ينحنى على الأرض ليلتقط جواز السفر مناولًا إياه لنبيل الذى اختطفه من يده بعفوية قائلًا وعلى شفتيه ابتسامة تهكم:

- هذا جواز سفر صفاء .. كنت أخفيه داخل حقيبتى خوفًا من أن تهجرنى فجأة وترحل بعيدًا.

قالها ودخل فى نوبة بكاء مرة أخرى ليستأذن الضباط فى الانصراف بعد أن وقع على بعض أوراق التحقيق.

وعندما خرج الضابطان من الفيلا أشعل أحدهم سيجارته قائلًا للآخر الذى كان يبحث عن مفاتيح سيارته:

- الرجل يكاد يجن يا شوقى كان الله فى عونه.

- أتعرف يا سليم أننى لم أتأثر أبدًا لبكاء الرجل .. فقد خلصته الظروف من امرأة خائنة لا تستحق منه لحظة حزن.



- ولكنه أسير لحبها ويبدو أنه سيظل هكذا لفترة طويلة.

- مستحيل .. أعطه شهرًا واحدًا وستراه قد تزوج غيرها.

- تزوج .. وبعد شهر.. مستحيل يا أخي.

- لماذا مستحيل؟ الرجل ما زال شابًا فى أواخر الثلاثينات ومليونير؟ هل سيظل حزينًا للأبد على امرأة خائنة .. لا أظن..

- يبدو أنك على صواب هذه المرة يا شوقى .. لنحمد الله على أن تلك القضية قد انتهت وتم إغلاقها.

قالها ودلفا إلى السيارة التى انطلقت بهم.

****

فى هذه الأثناء كان نبيل لا يزال يقف منتظرًا ليراقبهم من خلف تلك الستارة الثقيلة لأحد نوافذ مكتبه المطل على الحديقة الخارجية وهو يجفف دموعه ولا يزال الجواز فى يده.

وعند انصرافهم زفر تهيده ارتياح بعمق وجلس إلى مكتبه وهو يفتح جواز السفر على صورة أحمد عواد قائلًا:

- صديقى العزيز.. لا تتخيل مدى معروفك الذى قدمته لى .. لا تتخيل كم أشكرك .. فقد خلصتنى من خطأ عمرى .. ذلك الكابوس الذى لم أكن أتوقع فى يومٍ من الأيام أن أتخلص منه .. لم أتخيل أن كل ما فعلناه كان من الممكن أن يضيع مقابل خطأ ساذج منى .. فلو فتح الضابط الجواز ليجد صورتك وتأشيرة دخول دبى وموعد وصول صاحبه إلى مصر دون تأشيرة دخول .. كان سيرتاب بالتأكيد .. ترى هل كان سيشك فى شيء؟ لا أظن أنه سيفهم أى شيء .. وحتى لو فهم .. فلم يعد يهمنى الآن.

قالها بتهكم وهو يشعل النار فى أوراق الجواز بقداحته الذهبية مردفًا فى هدوء لا يتناسب مع كل ذلك البكاء والنحيب الذى كان يمثله منذ دقائق:

- آن الأوان لتنضم لزميلك العجوز .. ولكن صدقنى مستحيل أن أنسى يومًا ما قمتم به لأجلى.



احترق الجوازعن آخره وقد تصاعد منه الدخان الخانق فتسللت ذرة من الغبار إلى عين نبيل الذى وقف أمام المرآة الموجودة فى مكتبه وهو يمسك منديلًا ليمسحها.. لكنه تسمر فى ذهول أمام المرآة وتوقفت يداه لينظر مندهشًا إلى وجهه الذى نبتت لحيته وعلاه هذا الشارب الخفيف وتلك النظارة التى نسيها على عينيه .. ليصبح شبيهًا بصاحب صورة الجواز المحترق..

والتى ظل منتحلها لأكثر من أسبوعين.

****

بعد زواجه بفترة أحس خلالها أن صفاء تزوجته لأجل ماله فقط .. كان يشعر أن لديها نهم غير طبيعى وجشع بطريقة لم يكن يتصورها، فقد استغلت حبه لها أسوأ استغلال وخاصة عندما ذل لسانه أمامها بموضوع ماضيه المشؤوم ومن وقتها وهى تضغط عليه بما عرفته عنه وتهدده بأن لديها القدرة على الزَجّ به فى السجن .. وبالرغم من حبه لها إلا أنها وأدت ذلك الحب بما كانت تفعله .. فلم يعد يحبها ولكنه ظل يتظاهر بحبه لها .. وفى حقيقة الأمر كان خائفًا.

الخوف من فقدان كل ما جمعه طوال عمره .. الخوف من العبث بماضيه الأسود .. خاصة بعد هروبه من السجن وانتحاله شخصية جديدة ستلازمة طوال حياته.

ظل يتحين الفرصة تلو الأخرى ليتخلص منها .. كانت أخبار نزواتها تصله أولًا بأول ولكنه كان يعجز عن مواجهتها .. فهى تحمل معها سره القديم ولا يستطيع أن يغامر بالتخلص منها .. إلى أن أتت إليه الفرصة أخيرًا عندما اتصلت به غادة .. وقتها قرر تنفيذ ما كان يخطط له منذ فترة .. لذلك تنكر فى شخصية العجوز لمقابلة الطبيبة فى أول لقاء بينهما .. وذلك حتى لا تتعرف عليه الدكتورة فيما بعد تمهيدًا لظهور أحمد عواد أحد الشخصيات التى كان ينتحلها وربما كانت هى الأقرب لشخصيته الحقيقية يومًا ما.



وبعد ظهوره بشخصية أحمد اقترب أكثر منها ومن هانى حتى نال ثقتهما ليفاجأ بمخطط هانى لقتل زوجته .. ذلك المخطط القاتل .. وعندما شعر باقتراب وقت تنفيذ الخطة كان عليه أن يُبعد نبيل عن مسرح الأحداث فسافر إلى دبى بجواز سفره الأصلى .. وعن طريق جواز سفر برع فى تزويره عاد إلى القاهرة بعد يومٍ واحدٍ من سفره منها بشخصية أحمد عواد لاستكمال بقية الخطة.

كل شى كان يسير على ما يرام حتى ظهر ذلك اللص المجهول الذى لا يعرفه ولن يعرفه أبدًا .. والذى قابلهم فى سفرهم إلى الإسكندرية .. وبالتالى كان عليه أن يعدّل من خطته .. وهذا ما حدث.

فقد أخبرها بما أرادها أن تعرفه واتفق معها على ما أرادها أن تقوم به فعلًا اتفق معها أن تختفى فى الإسكندرية ولا تهاتف حتى شقيقها الموجود هناك .. وهكذا مرت الأحداث حتى اتصل بهانى وأبلغه أن كل ما خطط له حدث وأنه قد قتل غادة فأخبره هانى أنه سيحضر بعد يومين إلى الإسكندرية ليتأكد من مقتلها وبعد يومان وفى الموعد المحدد كان قد أحضر صفاء معه للإسكندرية صباح يوم المذبحة بعد أن دس لها ذلك المخدر القوى حتى ينقلها فى هدوء وانتظر حتى زال مفعول المخدر ثم تخلص منها بالرغم من نظراتها الملتاعة وبكائها ونحيبها وتوسلاتها وهو يقتلها والتى لم يلتفت إليها ولم تحرك فيه ساكنًا .. لن ينسى أبدًا ذلك الشعور بالنشوة الذى شعر به وهو يقتلها والذى سيظل يلازمه طوال العمر..

لا يدرى هو نفسه كيف تحول حبه لها إلى كل تلك الكراهية .. كم هى عجيبة مشاعر البشر التى تتحول فى لحظات فتتقلب القلوب وتتحول أنهار الحب إلى آبارٍ عميقةٍ من الكراهية، وتتمزق خيوط العشق التى تشبه خيوط الفجر الأولى فى نقائها وسطوعها لتحل محلها خيوط من نسج العنكبوت التى ينسجها حول القلوب لتمسى مهجورة جافة قاسية ولكنها الخيانة ذلك الخنجر الحاد الذى يسدده الحبيب إلى القلب فيسلب منه الروح، فحين يُقابل الحب بالخيانة والغدر سيتحول حتمًا إلى كراهية.



وبعد أن تخلص من صفاء كان عليه أن يستمر في مخططه الشيطاني حتى النهاية.. فاتصل بغادة داعيًا إياها لمفاجأة لم تكن في الحسبان .. وانتظرها خارج الفندق ثم توجها معًا إلى الشقة لترى جثة صفاء وتتأكد من موتها حتى لا يكون لديها الفرصة للتراجع .. وانتظر مع غادة في السيارة أسفل المنزل حتى وصل هاني وما إن رأوه يصعد حتى صعدا وراءه ليجدوه وقد غاب عن الوعي من أثر الصدمة فقيداه وحاولا إفاقته حتى تنهي غادة ما بدأه هو.

ترك غادة تحادث زوجها واستغل انشغالها ليسرق هاتف هاني مع مفاتيحه ويغلق باب الشقة من الداخل .. وهكذا حتى تمت بقية الجريمة وسمع دوي إطلاق النار على هاني .. ليذهب سريعًا إلى مخبأ خاص كان قد أعده منذ الصباح وهو يعلم تمامًا أن أعصاب الطبيبة لن تحتمل هذا الانهيار، وكما توقع بالفعل .. فبعد فترة سمع صوت إطلاق النار وانتحارها عندما تأكدت أنه لا مفر من الموت أو الفضيحة.

خرج من المخبأ ليزيل كل أثر لوجوده .. وتأكد من انتحار الطبيبة بجوار الجثث الموجودة.

حتى وإن لم تضعف ولم تجسر على قتل نفسها فكان قد عقد العزم على التخلص منها وإظهار الأمر على أنها انتحرت .. كان كل شيء مهيأ تمامًا لما أعده من قبل .. خرج من الشقة بعد أن أغلقها من الخارج بمفتاحٍ اصطنعه لنفسه حتى يوهم الشرطة أن غادة هي من أغلقته ليتسنى لها ارتكاب الجريمة .. ولم ينسَ أن يأخذ معه ذلك الحبل الذي كانت تقيد به هاني حتى لا يكون هناك أي ذريعة للشرطة بأن لها شريك وهو الذي استطاع أن يقيد زوجها نظرًا لعدم قدرتها على ذلك .. ثم اتصل بالشرطة مختلقًا رواياته بسماع دوي رصاص في إحدى العمارات المجاورة.

كان يخطط ليأخذ حقيبة النقود ويخفيها في مكانٍ ما قبل أن يطير إلى دبي بشخصية أحمد عواد ولكن السارق كان قد سبقه إلى النقود.



وبعد سفره فى شخصية أحمد عواد عاد إلى شخصية نبيل علام الأصلية ليقيم فى إحدى المصحات التى هى أقرب إلى فنادق الاستجمام وانتظر حتى يتم إبلاغه بالجريمة باعتباره ذلك الزوج المخدوع. وبالفعل ما هى إلا أربع وعشرون ساعة حتى اتصل به سكرتيره ليعود منهارًا إلى القاهرة.

مر شريط الذكريات هذا أمام نبيل علام أو أيًا كان اسمه الحقيقى وهو لا يزال واقفًا أمام المرآة فابتسم وهو يتنهد بارتياح لأن يد الضابط لم تمتد وتفتح جواز السفر.

****



بعد خمس عشر شهراً

توقفت سيارة فارهة ذات نوافذ سوداء بالكامل أمام الباب الخارجى لفيلا نبيل علام الذى كان منشغلًا باللعب مع كلب كبير الحجم فى حديقته الخاصة بينما همس الجالس خلف عجلة القيادة للسيدة الأنيقة بجواره قائلًا:

- أظن أن هذا العنوان الصحيح؟

أومأت السيدة برأسها فى إيجاب وهى تشير إلى نبيل:

- نعم بالتأكيد .. وهذا هو نبيل شخصيًا..

- هل ستهبطين الآن أم نؤجلها فيما بعد حتى نخطط لما سوف نقوم به .. بعد أن تأكدنا من أوقات وجوده بالمنزل؟

- لا ليس الآن بالطبع .. فيبدو أن السيد مشغول باللهو مع كلبه .. أتعلم أنى أصبحت أعشق الكلاب مؤخرًا .. المشهد يروقنى بالفعل .. إننى مندهشة كيف لهذا القلب الرقيق مع الحيوان أن ينقلب عكسه تمامًا فى معاملته مع البشر.

ضحك الرجل بصوتٍ مسموع قائلًا وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه:

- انظرى من التى تتكلم .. لا تنسِ يا عزيزتى كل ما قمنا به حتى حصلنا أخيرًا على ما أردنا .. لقد عوضنا الله عن كل ما سلب منا بسبب عائلة ذلك الطبيب اللص سارق أموال أبى رحمة الله عليه .. لقد قاسينا وتعبنا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن .. سنوات وسنوات من تهذيب رغبة الانتقام حتى نستطيع ألا نظهر ما يدور بداخلنا .. سنوات وسنوات حتى وصلنا إلى تلك المكانة .. سنوات من الذل والإهانه والتبعية .. ولكن انظرى ها نحن الآن أنت أصبحت سيدة مجتمع .. أما أنا فقد حصلت أخيرًا بعد توقيع ذلك المعتوه دون أن يدرى على عقد بيعه لفيلته الفخمة فى أكتوبر والتى يزيد سعرها عن خمس ملايين من الجنيهات.



ظل يتحدث ويتحدث بجوارها مستعيدًا ما قاموا به سويًا وكأنه لا يصدق أنهم أخيرًا قد حققوا انتقامهم ونالوا ما عاشوا يحلمون به.

بينما ظلت هى صامتة تنظر إلى نبيل الذى كانت ضحكته تملأ أرجاء المكان وهو يصيح على كلبه .. ليجعلها تبتسم على الرغم منها.

ألقت نظرة أخيرة على الفيلا وتمتمت قائلة:

- سنعود هنا مرة أخرى لكن ليس الآن .. سأعود لأكون سيدة هذا المنزل وصاحبة تلك الإمبراطورية .. فى وقتٍ ما .. فلدى حديث شائق مع هذا الرجل قريبًا .. وقريبًا جدًا .. هيا يا أخى العزيز.

وابتسمت ابتسامة خبيثة أثارت فى نفسها بعض الذكريات الأليمة حينما كانت تعمل خادمة .. قبل أن تتغير حياتها بعد استيلائها على تلك الحقيبة الحمراء .. لتتحول بعدها من إلهام رؤوف إلى لوجين إلياس سيدة الأعمال الخيرية.

أما هو فقد تحرك بالعربة مزهوًا بأنه لا يزال محتفظًا باسمه واسم والده.

أمجد رؤوف

تمت

الإسكندرية ٩/ ٢٠١٦

***





نبذة عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائى مصرى من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة

ماجستير فى القانون الجنائى جامعة القاهرة ومُقَيَّد بالدكتوراة بجامعة عين شمس

له العديد من الأعمال فى أدب الجريمة بى دى إف

دقات العاشرة – طقوس - ضحية الجنون

أول الأعمال المطبوعة

- أناشيد الموت إصدار دار أكتب ٢٠١٤
- ميدوم إصدار دار نون ٢٠١٥
- شامبالا إصدار دار نون ٢٠١٦

للتواصل مع الكاتب الأكاونت الشخصى:

https://www.facebook.com/amr.m.marzouk

صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم: عمرو مرزوق

البيدج الأدبى للكاتب على الفيس باسم: عمرو م. مرزوق





شكر خاص

وكالعادة لا يسعنى إلا أن أهدى هذه القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر فى تشجيعى ووقفوا بجانبى فى كل الأوقات فعذرًا لكم ولكنى أود أن أشاركهم لحظات النجاح

برديس محمد ..د/ ميرفت صلاح..مروة الصعيدى

أصدقائى الأدباء:

رحمة أنور..منار حجازى ..ريم غلاب ..الشيماء عبد العال..محمد مسعد..نقيب / ايمن العايدى.. نقيب/احمد ربيع..د/حازم نجيب.. إسلام سمير..د/ محمد الفقى ..اميمه ماهر..ساره شمس الدين..اميره عز ا لدين.. أسماء فخر الدين

أصدقائى الغاليين :

د/ هيثم الحاج على ..أيهاب حسن ..منه عامر..زياد شحاته..الفنان /طارق لطفى..د/ هبه فايز.ايناس عماره.ساره محمد..وسام كامل..محمد البرولسي..باسم الشبراوى..محمد فايز.هبه ابراهيم.. هدى فرحات..د/أحمد السعيد.د/سالى إبراهيم.. مروة أحمد..حسن الحربي.....د/نادية النشار.. طارق وافي.. د/داليا الصياد.. جانا الجمال.. آن أدهم..

وجميع قططى..

شكرا لأنكم فى حياتى

إهداء خاص جدًا

إهداء خاص جدا

روح صديقتى الغالية (د/ غادة نجيب)..من يسكن قلبي لا يمكن أن يموت

وأخيرًا وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحى حسام حسين صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

الكابوس





noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007



الكابوس

انها تلك المعادله الصعبه التى وضعها الإنسان منذ بدء الخليقه ليطيح بإنسانيته.. تلك المعادله التى تفوق بها على أكثر الحيوانات وحشية على وجه البسيطه.. إنها المرأه والمال.. من أجلهم تهتز عروش وتنهار ممالك ويقتل الاخ أخاه.. قد يأخذ أحدهم بيدك ليرتقى بك الى السماء.. وقد يدفع بك لتهوي الى قاع سحيق لتضيع فيه.. ووقتها..... لن تجد حتي غراب قابيل ليرشدك..

تصميم الغلاف: أسامة علام



